بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة
قسم الدراسات العليا
فرع الكتاب والسنة

البيضاوي ومنهجه في التفسير

رسالة

مقدمة لنيل درجة الدكتوراة

إعداد

يوسف أحمد علي

إشراف

الأستاذ الدكتور : محمد شوقي خضر السيد

المُقَدِّمَةُ

المقدمـــــة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه لا من خلفه ، قرآنا عربيا غير ذى عوج ، وأشهد ألا إله إلا اللّه جعل القرآن هدايةً ونوراً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله علّم به بعد الجهالة وهدى به بعد الضلالة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن هدى بهديه الى يوم الدين وبعد .

فإن دراسة أى كتاب من كتب التفسير تلزم الانسان الوقوف على تفسير الآيات القرآنية ومزايا القرآن الكريم ، وما أشارت اليه الآيات من أمر ونهى وقصص فيها من العبر ما يشحذ الهمم ويدعو الى التمسك بالمنهج السوى ، وإقتضاء الصراط المستقيم . ومن الشواهد على وحدانية الله تعالى ومعرفة صفاته وعزته وجبروته وبطشه ورحمته وفضله وكرمه . وفيه من المواعظ والأمثال ما يذدجر به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . بالاضافة الى ما فيه من البلاغة والفصاحة التى تنمّى العقول وتقوّم اللسان .

ولمّا كان من الواجب القيام ببحث لنيل درجة الدكتوراة صممت على دراسة تفسير أقف على منهجه وأتعلم من تحقيقاته للمسائل ما أخذه زاداً وعده للمستقبل فاخترت موضوع : (البيضاوى ومنهجه فى التفسير) ليكون موضوع البحث .

وقد دفعنى لاختيار تفسير البيضاوى من بين كتب التفسير المختلفة دوافع يمكن تلخيصها فى الآتى : ـ

١ -إن شهرة البيضاوى العلمية ومكانته عند علماء أصول الفقه وثناءهم عليه فى دقة عبارته وإختصارها مع جمعها للحقائق العلمية دفعتنى إلى معرفة منهجه فى التفسير وطريقة تناوله للمسائل فى تفسيره للآيات .

٢ - إشتهر عن كتب التفسير بالرأى دخول أشياء غريبة على التفسير كالاسرائيليات، وتأويلات أهل الكلام ، والأحاديث الموضوعة ، فكان من الواجب تنقيتها من الدخيل عليها فأردت أن أدلى بدلوى مع الدلاء وإختيار واحد منها ودراسته واستخراج الحقائق العلمية المفيدة منه وتنقيته من الدخيل فاخترت تفسير البيضاوى .

٣ - دراسة تفسير البيضاوى ومقارنته مع كتب التفسير بالرأى الأخرى . نتوصل من خلالها الى مناهج المفسرين التى بمعرفتها يمكن الوصول الى اختيار التفسير المناسب فى التعلم والتعليم .

خطة البحث ومنهجه : -

يتألف هذا البحث من ثلاثة أبواب تسبقها مقدمة وتمهيد وتلوها خاتمة .

ذكرت فى المقدمة دوافع إختيار الموضوع . وخطته ومنهجه ومصادره . وذكرت فى التمهيد نبذة موجزة عن العصر الذى عاش فيه البيضاوى من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية .

وكان الباب الأول عبارة عن ترجمة للبيضاوى وقد تألف من ثلاثة فصول كان الفصل الأول عن حياته ونشأته ذكرت فيه نسبه ونسبته وعقيدته ومذهبه ونشأته ورحلاته ووفاته .

وكان الفصل الثانى عن شيوخه وتلاميذه . فترجمت بإيجاز لشيوخه وتلاميذه الذين وقفت عليهم .

وأما الفصل الثالث فقد كان عن آثاره ومؤلفاته فتحدثت بإيجاز عن الكتب التى ألفها البيضاوى ثم الكتب التى قام بها بشرحها ثم ذكرت الكتب التى نسبت خطأ له مثل كتاب تاريخ الصين وكتاب الارشاد فى الفقه وكتاب التبصرة فى الفقه وكتاب الذكرة فى الفروع .

والباب الثانى عن تفسير البيضاوى قسمته الى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عن مصادره فى التفسير حيث كانت مصادره القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين كما نقل عن كتب التفسير التى سبقته وكتب الفقه وأصوله وكتب اللغة . فتحدثت عن كل مصدر من هذه المصادر فى مبحث مستقل وأوردت أمثلة عن كل مصدر من مصادره فكنت اكتفى بمثال أو مثالين خشية التطويل مع مناقشة بعض المسائل التى أرى فيها وجها للمناقشة .

والفصل الثانى : عن منهجه فى التفسير ـ قسمته الى مباحث :

كان المبحث الأول : عن موقفه من آيات الصفات تحدثت فيها عن خوضه فى آيات الصفات وإتباعه لأهل الكلام فى القول بالتأويل والرد عليه ، كما تحدثت فى المبحث الثانى عن تناوله لآيات الأحكام وطريقة إستدلاله بها وموقفه من أقوال علماء المذاهب مع مناقشته فى بعض الآراء وترجيح الذى أراه راجحا مع ذكر الدليل . وتحدثت فى المبحث الثالث عن موقفه من القراءات مهدت له بنبذة

وأما الناسخ والمنسوخ فقد ذكرت معناهما في اللغة والشرع وذكرت أقسامهما وأوردت منهج البيضاوى فى الناسخ والمنسوخ فقسمه الى ثلاثة أقسام قسم قال بالنسخ فيه وقسم إعترض على نسخه وقسم سكت عنه مع إختلاف العلماء فيه وأوردت لكل ذلك أمثلة .

وفى الاعجاز البيانى ذكرت أمثلة للتشبيه والاستعارة والمجاز وذكرت أسلوب البيضاوى فى تناوله لما أشارت اليه الآيات .

وفى العام والخاص ذكرت أقسامه مع مقارنة قول البيضاوى مع أقوال بعض المفسرين مع ترجيح ما آراه راجحا مع ذكر الدليل .

أما الباب الثالث فقد كان عن البيضاوى وتفسيره فى الميزان - وهو يتألف من ثلاثة فصول : الفصل الأول فى آراء العلماء فيه والمآخذ التى أخذت عليه ، ذكرت فيه أمثلة من ثناء العلماء عليه وعلى تفسيره ثم عرجت على ذكر المآخذ بدأت بأهمها وهى الأحاديث الموضوعة فى أواخر السور فذكرت نبذة عن أسباب الوضع فى التفسير ثم ذكرت أمثلة لما أورده البيضاوى من الأحاديث الموضوعة معتمداً فى ذلك على كتاب إتحاف الراوى فى تخريج أحاديث البيضاوى والمخطوط بمكتبة جامعة أم القرى . ثم ذكرت من المآخذ عليه متابعته للزمخشرى ومخالفته لقول الجمهور وذكرت لذلك أمثلة مع تأييد قول الجمهور بالدليل ثم ذكرت من المآخذ إستطراده فى النحو والصرف فى بعض المواضع .

وأما الفصل الثاني فقد كان في منزلته بين كتب التفسير بالرأى وهو يتألف من مباحث . مبحث ذكرت فيه نبذة عن معنى التفسير بالرأى وحكمه ومبحث عن جمع البيضاوى لفنون تفرقت في كتب التفسير بالرأى ومبحث عن تأثر البيضاوى بمن قبله من المفسرين ومبحث عن من تأثر به بعده من المفسرين كل ذلك أكتفي فيه بذكر مثال أو مثالين مراعاة لعدم التطويل .

أما الفصل الثالث فقد كان في ميزة تفسيره وقيمته العلمية وهو يتألف من مبحثين : مبحث في نصره للسنة ورده على الفرق الضالة ومبحث في الحواشي والتعليقات عليه ، ذكرت في نصره للسنة رده على المعتزلة في قولهم بالمنزلة بين المنزلتين وقولهم بإنكار الشفاعة وقولهم بالوجوب على الله وقولهم بخلق الأفعال وقولهم بإنكار رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة .

ثم ذكرت رده على الحشوية في قولهم بعدم عصمة الأنبياء ورده على الخوارج في قولهم بخلود صاحب الكبيرة في النار ورده على الشيعة في قولهم بولاية على كرّم الله وجهه ، وقولهم بعصمة الأئمة من آل البيت فذكرت لذلك أمثلة مع تأييد قول البيضاوى .

وأما المبحث الأخير في الحواشي والتعليقات عليه سردت قائمةً بأسماء الحواشي والتعليقات على البيضاوى معتمداً في ذلك على كتاب كشف الظنون وذيله وأضفت اليه ما وقفت عليه من فهارس المخطوطات بجامعة أم القرى ثم اخترت

ثلاثه حواشي لتكون موضع دراسة ونموذجا عن الفوائد التي جاءت من الحواشي على تفسير البيضاوى وهى حاشية الشهاب الخفاجي وحاشية القونوى وحاشية محى الدين شيخ زاده .

وختمت هذا البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها في البحث . ثم ذيلته بفهارس للآيات القرآنية وفهارس للأحاديث النبوية وفهارس للموضوعات وفهارس للمراجع والمصادر .

مصادر البحث :

مصادر هذا البحث كثيرة ومتنوعة كما يراها القارىء في الفهرس الخاص بها . رجعت فيه الى أمهات الكتب مبتدئا بالقرآن الكريم ثم كتب الحديث ثم كتب التفسير وكان جل إعتمادى فيها على تفسير البيضاوى وحواشيه وتفسير الزمخشرى وتفسير الفخر الرازى . هذا بالاضافة الى كتب الفقه وأصوله وكتب اللغة والنحو وكتب القراءات وكتب التراجم وغيرها .

وأما المخطوطات فقد كان من أهمها تفسير الراغب الأصفهاني الذى كلّفني في الحصول عليه العناء الكثير اذ هو موجود بمكتبة أيا صوفيا بتركيا . ومن المخطوطات التي عثرت عليها بجامعة أم القرى : إتحاف الراوى في تخريج أحاديث البيضاوى . وكتاب الانصاف في ما تبع فيه البيضاوى صاحب الكشاف وغيرها .

وفى الختام لا يفوتنى أن أتقدم بالشكر والعرفان للقائمين على إدارة جامعة أم درمان الاسلامية لما هيأوه لى ولاخوانى المبتعثين من فرصة الالتحاق بالدراسات العليا بهذا البلد الأمين . كما أتقدم بالشكر الجزيل للقائمين على إدارة جامعة أم القرى وعلى رأسهم معالى مدير الجامعة وسعادة عميد كلية الشريعة لما بذلوه من جهد لتهيأة الجو المناسب للبحث فلهم من الله حسن الجزاء .

وإعترافا بالفضل وردًا للجميل أتقدم بشكرى الجزيل لسعادة الدكتور محمد أبو النور الحديدى الذى رعى هذا البحث فى أطواره الأولى وأخص بالشكر سعادة الدكتور الأستاذ محمد شوقى الخضر الذى منحنى من وقته الكثير وأفاض علىّ من علمه الجم فتتبع الرسالة من أولها الى آخرها دون ملل وضجر فكان توجيهاته وارشاده أن خرجت الرسالة بهذا الشكل فجزاه الله خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر لكل من أعاننى فى هذا البحث من أساتذة وزملاء ...

....

تمهيـــد

عصـــر البيضـــاوى
الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية

كان القرن السابع الهجرى مسرح أحداث هامة فى تاريخ العالم الاسلامى ، حدثت فيه أحداث سياسية خطيرة كانت نقطة تحول فى تاريخ العالم الاسلامـــى ، وتغيرت فيه نظم الحضارة،وتبدلت فيه الحياة العلمية والثقافية وغير ذلك . ولما كـان للظروف السياسية والاجتماعية والثقافية دور فى تكوين شخصية الإنسان وعلمه وثقافته ودوره فى الحياة كان لابُدَّ أن نلقى الضوء على الأحداث التى مَرَّت فى عصر البيضاوى بشىء من الايجاز فنذكر .

أولا : الناحية السياسية :

ضعفت الخلافة العباسية فى القرن السابع ضعفاً شديداً . وكان الخليفـــة العباسى ببغداد لا يتعدى نفوذه بغداد وما حولها من القرى ، وكانت القـــوة السياسية موزعة بين الأتراك السلاجقة ، والأيوبيين الأكراد فى مصر والشام والحجاز واليمن،ثم جاء بعدهم المماليك فى آخر النصف الأول من القرن السابع وسيطر البربـر على المغرب والأندلس وتبعوا اسمياً للخليفة العباسى ببغداد، ثم ظهرت دول إسلامية مستقلة ، كالدولة الغورية فى بلاد الأفغان والهند ، والدولة الفاطمية فـى مصر جاءت بعدها الدولة الأيوبية ، والدولة الصلحية فى اليمن ، والدولـــة الموحّدية فى المغرب والأندلس ، والدولة الخوارزميـــة والأتابكية فى خوارزم وغيرها . وكان بين هذه الدول من التناحر والنِّزاع ما أدى إلى ضعفها وطمع الأعداء فيها .

أَمَّا فى داخل هذه الدول لم يكن هنالك استقرارٌ ولا أمنٌ بل كان هنالـــك اضطرابات وفتن بين الفرق . فقد حدثت فتنة عظيمة بين أهل السنة والشيعة فـــى

بغداد وراح ضحيتها الكثير من الناس وانتصر الخليفة العباسي لأهل السنة ، والشيء الذى أغاظ وزيره ابن العلقمى فاتصل بالمغول الذين كانت أطماعهم اتجهت نحو العالم الاسلامى، فكانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر فلما جاءهم ابن العلقمى وأخبرهم عن ضعف المسلمين زحفت جيوش المغول على البلاد الاسلامية ، وسقطت الأمارات المجاورة لهم واحدة تلو الأخرى حتى وصلوا بغداد بقيادة هولاكو التترى وانقضوا عليها وقتلوا الخليفة العباسى، وذبحوا العلماء ونشروا الزعر والرعب وقتلوا كل من قابلهم وعاشوا فى الأرض فساداً واستباحوا بغداد أربعين يوماً قتلاً وتخريباً وهتكاً للأعراض، وأحرقوا الكتب ورموها فى نهر دجلة وكان ذلك عام ستة وخمسين وستمائة .

واتجهت جيوش المغول نحو الشام فاحتلوا حلب ودمشق وحماة، فلم يقف زحفهم حتى التقوا بجيوش المماليك فى مصر والشام فى معركة (عين جالوت) فانتصر المسلمون عليهم بقيادة ركن الدين بيبرس، وقتلوا قائد المغول (كبتغا) وكان ذلك عام ثمانية وخمسين وستمائة . (١)

وأمّا فى الغرب فقد كانت الحروب الصليبية سجالاً بين المسلمين والصليبيين الذين كانوا يطمعون فى احتلال مصر والقدس . ولولا وقوف المسلمين تجاههم بصلابة لاستولوا على كثير من الأراضى الإسلامية فى الشام ومصر .

وهكذا كان حالُ المسلمين فى القرن السابع تهاجمهم الملل الكافرة من الشرق والغرب ، ويشعل أعداء الإسلام الفتن من الداخل .

الحالة الاجتماعية :

كان الشعبُ فى العصر العباسى يتألّف من العرب والفرس والأتراك وقليل من اليهود والمسيحيين، الذين كفلت لهم الدولة الاسلامية الأمن والآمان . وقد أدى انقسام

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/٢٦٦ - ٣٠٩

المسلمين فى هذا العصر إلى شيع وطوائف أدى إلى تفكك المجتمع الاسلامى .

فكان السنيون يكوّنون السواد الأعظم ويتمتعون بقسط وافرٍ من الحرية والطمأنينة.

وينقسم الشعب فى ذلك العصر إلى أربع طبقات من ناحية عامة :

١ - طبقة الخاصة وهى خمس طبقات، الخليفة وأهله ورجال دولته من الوزراء والأمراء وقواد الجيش، وطبقة أرباب البيوتات، وطبقة توابع الخاصة من الخدم والأرقاء والخصيان والجوارى .

٢ - طبقة العامة . وهى طبقتان الطبقة الأولى، وهم العلماء والفقهاء والأدباء والتجار والمغنون، وأصحاب الفنون الجميلة والصناع . والطبقة الثانية وهم السواد الأعظم ويتمثّلون فى سكان المدن من الصناع والباعة وأصحاب الحرف وغيرهم وسكان القرى ويتمثلون فى المزارعين والرعاة وغيرهم . (١)

هكذا يتألّف المجتمع فى العصر العباسى وقد كان للعلماء دورٌ فى نصح الخلفاء والولاة وتبصيرهم بالحق وكفهم عن الباطل .

الحالة الثقافية :-

بسقوط الخلافة العباسية التى عاش الاسلام فى ظلّها زهاء خمسة قرون ،ظهرت الدُّول المستقلة فى أرجاء العالم الاسلامى، وكان لهذه الدول دور فى تقدم الحضارة الاسلامية ، ونشر العلوم وتبادل الثقافات ، وذلك أَنَّ بغداد بعد أَنْ كانت مركز الحضارة الاسلامية ظهرت إلى جانبها مراكز أخرى مثل القاهرة وبخارى وغزنة وتبريز وشيزار وقرطبة والرى وخوارزم وغيرها وازدهرت فيها العلوم والآداب وذلك بتشجيع الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء رجال العلم والأدب .

ونمت الثقافة فى هذا العصر وأخذت الطابع الحضارى فكانت مراكز الثقافة هى المسجد والزاوية والكُتّاب والمدرسة وبيت الحكمة والمكتبة . وكانت المدارس التى

---

(١) انظر تاريخ التمدن الاسلامى ٥/ ٢٦ - ٥٦

أُنشئت في هذا العصر أشبه بالجامعات الآن، فقد كان يُدَّرس فيها كثيراً من العلوم المتنوعة وقد انتشرت هذه المدارس وخاصة في بلاد المشرق الاسلامي وقد كان أهم هذه المدارس هي :

١ - المدارس النظامية التي أسسها نظام الملك وزير السلطان (مكشاة) السلجوقي في بغداد ونيسابور .

٢ - المدرسة المستنصرية التي أنشأها في بغداد الخليفة العباسي المستنصر بالله وكانت آيةً من حيث الهندسة والمعمار .

وقد زودت بمكتبة تحتوى على آلاف من الكتب في مختلف العلوم كما خصصت فيها أماكن لنسخ ما يريده الطلبة والناسخون من المخطوطات .

٣ - المدرسة الكاملية التي أسسها الملك الكامل الأيوبي، وقد بنيت لدراسة الحديث خاصة ولكنها لم تقتصر على دراسة الحديث وحده، بل كان يدَّرس فيها غيره . وقد سميت بدار الحديث .

٤ - المدرسة الصالحية التي بناها الملك الصالح نجم الدين الأيوبي .

وقد كانت تضم أربع مدارس لكل مذهب مدرسة خاصة به .

٥ - المدرسة الظاهرية التي بناها الملك الظاهر بيبرس وجعل لها أربع أيوانات وخزانة كتب تضم سائر العلوم وكان يُدَرَّس فيها الفقه على المذهب الشافعي والحنفي وعلم الحديث والقراءات (١) .

وقد كانت في العالم الاسلامي مدارس أخرى على هذا الطراز حيث توجد مدارس هامة في قرطبة وغرناطة وتبريز وشيراز وطوس وغيرها، وكانت لها أهمية كبيرة في نشر العلوم بالاضافة إلى المساجد التي كانت تدرس بها العلوم بمختلف أنواعها .

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/٢٦٦ - ٣٠٩

وأما على صعيد التأليف فقد شعر العلماء بضعف المسلمين وتفككهم وهجوم الأعداء عليهم من كل جانبٍ فشمروا عن ساعد الجد فحاولوا حفظ التراث وجمع تأليف السابقين وخدمته بالاختصار والشرح والتعليق والنظم . فجمعوا عدة علوم فى فنٍ واحدٍ وصهروها ونسقوها لتصير فناً واحداً فمثلاً جمعوا الأصول والجدل والمنطق معاً وعلوم اللغة مع التفسير والفقه وغير ذلك .

وكان علماءُ هذا العصر لهم الما‌م كامل بأكثر العلوم فنجد الواحد منهم يؤلف فى أكثر من فنٍ فمثلاً البيضاوى ألف فى التفسير والحديث وعلم الكلام والمنطق والأصول والفقه وغيرها .

وقد ظهر فى هذا العصر علماء أجلاء حفظوا علم السابقين وأضافوا عليه ما فتح الله به عليهم من العلم والمعرفة، فظهر فى هذه الفترة الشيخ تقى الدين بن الصلاح صاحب التأليف فى علوم الحديث والفقه . وشيخ الإسلام ابن تيمية الذى ألف فى الفقه والعقيدة والحديث والتفسير وغيرها . والشيخ عز الدين بن عبد السلام العالم المشهور ، وابن النجار صاحب التاريخ ، والحافظ ضياء الدين المقدسى صاحب كتاب الأحكام ، وعلم الدين السّخاوى صاحب التصانيف الكثيرة والشرح فى علوم الحديث ، والشيخ الشلوبينى النحوىّ ، والشيخ ابن الحاجب المالكى صاحب المختصرات فى الفقه وأصول الفقه . والرافعى والنووى وغيرهم من العلماء الذين يطول ذكرهم .(١)

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/٢٦٦ - ٣٠٩

الباب الأوّل

البيضاويّ

وفيه ثلاثةُ فُصُولٍ

الفصل الأول : حياته ونشأته .
الفصل الثاني : شيوخه وتلاميذه .
الفصل الثالث : آثاره ومؤلفاته .

الفصل الأول

حياته ونشأته

وفيه :ـ

١ـ نسبه ونسبته .
٢ـ مولده ونشأته .
٣ـ عقيدته ومذهبه .
٤ ـ وفاته .

المبحث الأول

نسبه ونسبته :

هو عبدالله بن أبي القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن علي البيضاوي . وكان يُكنّى بأبي الخير ، ويلقب بناصر الدين ويُعرف بالقاضي[(١)] . ونسب إلى المدينة البَيضاء - بفتح الباء - وهي مدينة قرب شيراز ببلاد فارس . قيل سميت البيضاء لأنَّ لها قلعة بيضاء تبين من بعد ، وكان اسمُها في أيام الفرس دار صفيد فعربت بالمعنى[(٢)] .

وقد شارك البيضاوي في نسبته إلى البيضاء عددٌ من العلماء أصحاب التأليف منهم القاضي أبو بكر البيضاوي ، وهو محمد بن أحمد بن العباس الفارسي . قال ابن السبكي : كان إماماً جليلاً له الرتبة وكان يُعرف بالشافعيّ . له كتابُ التبصرة في الفقه ، والأدلة في تعليل مسائل التبصرة ، والتذكرة في شرح التبصرة والارشاد ، وقد عدَّهُ السبكي في الطبقة الرابعة[(٣)] . وقد حصل اشتباه عند بعض المؤرخين حيث أسند إلى القاضي ناصر الدين البيضاوي بعض مؤلفات القاضي أبوبكر البيضاوي .

ومنهم أبو عبدالله البيضاوي الفقيه ، وهو محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد . قال الخطيب البغدادي : سكن بغداد في دروب السلولي . وكان

---

(١) انظر : ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى ٥/٥٩ وشذرات الذهب ٥/٣٩٢ وبغية الوعاة ٢/٥٠ وطبقات الشافعية للأسنوي ١/٢٨٣ .
والبداية والنهاية ١٣/٣٠٩ ومرآة الجنان ٤/٢٢٠ وكشف الظنون ٢/٨٩ وروضات الجنات ٥/١٣٦ وغيرها من كتب التراجم .

(٢) معجم البلدان ٢/٣٣٥

(٣) انظر طبقات الشافعية الكبرى ٤/٩٦ - ١٠٢ .

يدرس الفقه ويفتي على مذهب الشافعي . وولى القضاء بربع الكرخ ، وحَدَّث شيئاً يسيراً عن أبي بكر بن مالك القطيعي والحسين بن محمد بن عبيد العسكري . قال : كتبت عنه وكان ثقةً صدوقاً ديناً سديداً . مات فجأة في ليلة الجمعة في الرابع عشر من رجب عام أربعة وعشرين وأربعمائة ودُفِنَ صبيحة تلك الليلة في مقبرة باب حرب . (١)

وقد لُقِّبَ البيضاوي بالشيرازي نسبة إلى شِيراز بكسر الشين وهي من أعظم مدن فارس حيث وُلِدَ في إحدى مدنها وترعرع فيها وتقلد القضاء فيها . وقد شاركه في هذا اللقب جمهرة من العلماء أجلاء منهم الإمام أبو إسحاق الشيرازي ، وهو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي أبو إسحاق الشيرازي . صاحب التنبيه والمهذّب في الفقه ، والنكت في الخلاف ، واللمع وشرحه ، والتبصرة في أصول الفقه وغيرها، توفى سنة ست وسبعين وأربعمائة . (٢)

ومنهم الإمام قطب الدين الشِيرازيّ . وهو محمود بن مسعود ابن مصلح الشيرازي ، صاحب التصانيف النافعة في الأصول والمنطق والهيئة والفلك والحديث والعلوم العربية، وُلِدَ بشِيراز سنة أربع وثلاثين وستمائة وتوفى بتبريز عام عشرة وسبعمائة . (٣)

وقد ذكر البيضاوي نسبَهُ في مقدمة كتابه الغاية القصوى في دراية الفتوى حيث قال : (فأعلم أنّي قد أخذت الفقه عن والدي مولى الموالي الصدر العالي ، ولي الله الوالي ، قدوة الخلف وبقية السلف ، إمام الملة والدين

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٥/٤٧٦ ، طبقات الفقهاء ص ١٠٥

(٢) انظر الطبقات الكبرى ٤/٢١٥ والبداية والنهاية ١٢/١٢٤ .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة ٥/١٠٨ ومفتاح السعادة ١/٢٠٤

أبو القاسم عمر قَدَّس الله روحه وهو عن والده قاضي القضاة السعيد فخر الدين محمد بن الامام الماضي صدر الدين أبي الحسن على البيضاوى قَدَّس الله أرواحهم عن الإمام العلامة مجير الدين ....)[١]

ثم ذكر سنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويتبين من ذلك أَنَّ البيضاوى كان القاضى ابن القاضى ابن العالم كما ذكر.

مولده ونشأته :

ولد القاضى ناصر الدين البيضاوى فى بلدة البَيضاء التابعة لمنطقة شيراز، وقد غاب على المؤرخين تاريخ ميلاده فلم يذكروه فى كتبهم، ولم يشر أحدٌ من المترجمين الى تاريخ ولادته ولكن على التقريب فهو من علماء القرن السابع وولادته غالباً فى أوائل القرن السابع أو أواخر القرن السادس.

وأَمَّا نشأته فقد نشأ البيضاوى فى بيت علمٍ وبركةٍ، فأخذ العلم عن والده كما تتلمذ على شيوخ عصره فى مختلف المجالات، فتربى فى مهد العلم وغُذِّى به وتدرج فيه إلى أَنْ بلغَ فيه درجةً ساميةً جمع فيها القرآن وعلومه والفقه وأصوله واللغة وعلومها، كما برع فى علم الكلام والجدل والمنطق والتاريخ والفلسفة فقال عنه العلماء : إنَّه كان إماماً مبرزاً نظّاراً خيراً صالحاً متعبداً فقيهاً أصولياً متكلماً مفسِّراً محدّثاً أديباً نحوياً مفتياً قاضياً عادلاً.[٢]

رحل البيضاوى مع والده إلى شِيراز عاصمة بلاد فارس فقد كانت شيراز آنذاك ملجأ العلماء والفقهاء قصدها العلماء لوجود الأمن بها، إذ كانت بقية العالم الإسلامى فى اضطرابٍ وخوفٍ من هجماتِ التَّتارِ المغوليين. فقضى

---

(١) الغاية القصوى فى دراية الفتوى تحقيق محي الدين على القرة داغى ١ / ١٤٨.

(٢) الفتح المبين فى طبقات الأصوليين ١ / ٨٨.

البيضاوى فى شيراز أغلب حياته ولم يحتج إلى رحلات فى طلب العلم، إذ جمعت شيراز أكابر العلماء فى تلك الفترة . فنهل البيضاوى من معين العلم وأتقنه فصار أستاذاً فى كثير من الفنون ، ثم قُلِّدَ منصب قاضى القضاة بشيراز، وكان سبب ترقيه إلى هذا المنصب هو تفسيره للقرآن فى كتابه أنوار التنزيل وأسرار التأويل، قال الخوانسارى : (وقد صار هذا الكتاب منشأ ترقياته فى العالم ، وسبب تقربه عند سلطان العصر ، واختصاصه بمنصب قضاء القضاة، وذلك أنه كان قد بعث إليه بكتاب تفسيره المذكور ، فاستحسنه منه ، وأشار إليه بأن يطلب من الحضرة السلطانية بأداء هذا العمل السديد كلما يريد ، فقال أريد قضاء البيضاء ، لكى أترفع به بين أهل ديارى الذين كانوا ينظرون إليّ بعين التحقير .) (١)

لم يمكث البيضاوى فى منصب القضاء بشيراز فسرعان ما صرف منه لشدته فى الحق فسعى فى سبيل اعادة منصبه فرحل إلى تبريز فى طلب القضاء قال السبكى : (إنّ البيضاوى لما صرف عن قضاء شيراز رحل إلى تبريز وصادف دخوله اليها مجلس درس لبعض الفضلاء، فجلس فى أخريات القوم بحيث لا يعلم به أحد، فذكر المدرس نكته زعم أنّ أحداً من الحاضرين لا يقدر على جوابها ، وطلب من القوم حلها والجواب عنها ، فإنْ لم يقدروا فالحل فقط ، فإنْ لم يقدروا فاعادتها . فشرع البيضاوى فى الجواب فقال: لا أسمع حتى أعلم أنك فهمت فخيره بين اعادتها بلفظها أو معناها، فبهت المدرس . فقال أعدها بلفظها فأعادها ثم حلّها وبين أن فى ترتيبه إيّاها خللا ثم أجاب عنها وقابلها فى الحال بمثلها، ودعا المدرس الى حلها فتعذر عليه ذلك . وكان الوزير حاضرا ، فأقامه من مجلسه وأدناه الى جانبه ، وسأله من أنت فأخبره أنه البيضاوى وأنه جاء فى طلب القضاء بشيراز، فأكرمه وخلع عليه فى يومه ورده وقد

---

(١) روضات الجنات ٥/١٣٤ .

قضى حاجته .)[١]

وقيل إنّه استند في ذلك إلى شفاعة الشيخ محمد الكحتائي الذي نصحه بالابتعاد عن منصب القضاء فانصاع لأمره .

ففي كلي الروايتين إذا شفع للبيضاوي في تولي القضاء علمه أو شفع له الشيخ الكحتائي أنه نال ذلك المنصب ، ولكنه تركه وقضى بقية عمره في الزهد والعبادة والتدريس والتأليف .

عقيدته ومذهبه :

كان البيضاوي متكلماً أشعريًّا متصوفاً شافعيّ المذهب ، ظهر ذلك في كتاباته في التفسير وغيرها من العلوم التي كتب فيها كالفقه والمنطق والعقيدة .

ففي علم الكلام ألّف كتابَ الطوالع والايضاح ومصباح الأرواح وغيرها ، فكتابه طوالع الأنوار قال فيه الأسنوي:هو كتاب دقيق للغاية وأجل مختصر صنف في علم الكلام.[٢]

وقد ظهر علم الكلام والعقيدة الأشعرية في تفسير البيضاوي ظهوراً بينا فقد كان يجنح إلى مذهب التأويل في تفسير الآيات التي فيها ذكر الصفات الخبرية عن المولى عَزَّ وجَلَّ فمثلاً في قوله تعالى : " الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ .... الآية ".[٣]

قال البيضاوي : (حملهم إيّاه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له أو كناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم من نفاذ أمره .)[٤]

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٥/٥٩
(٢) نهاية السول ١/د
(٣) سورة غافر آية ٨
(٤) تفسير البيضاوي ٦١٨

وفى قوله تعالى : " يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ..... الآية " [١] قال البيضاوى :
(حالٌ أو استئناف مؤكِّد على سبيل التخييل .) [٢]

وغير ذلك مما بسطنا القول فيه فى موضعه فى الفصل الثانى من الباب الثانى (منهجه فى التفسير).

أما بالنسبة لمذهبه فقد كان مذهبُ الشافعى أكثرَ انتشاراً فى بلاد فارس وخراسان وبغداد وما حولها فكان من تأثير ذلك أَنْ اختار البيضاوى مذهب الشافعى ودافع عنه وإنْ كان قد اتقن فقه بقية المذاهب إلاَّ أَنَّ مذهب الشافعى غلب على فقه فظهر فى مؤلفاته . ففى تفسير آيات الأحكام كان يذكر أقوالَ الفقهاء ويشير إلى ذكر مذهبه بقوله (قال أصحابنا) ففى قوله تعالى :
" .... فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وأَيدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً .) [٣]

قال البيضاوى : (أى فتعمدوا شيئاً من وجه الأرض طاهراً . ولذلك قالت الحنفية:لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به أجزأه . وقال أصحابنا لابُدَّ أَنْ يعلق باليد شىء من التراب لقوله تعالى فى سورة المائدة :
" فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وأَيدِيكُم مِّنهُ " [٤] أى من بعضه وجعل من الابتداء الغاية تعسف ، ولا يفهم من ذلك إلاَّ التبعيض .) [٥]

وقد كان والد البيضاوى شافعى المذهب فكان لذلك أثر فى تكوين شخصية البيضاوى واختياره لمذهب الشافعى . وقد صنفه السبكى ضمن فقهاء الشافعية وكذلك الاسنوى فى طبقات الشافعية فكان يدرس فقه الشافعية لتلاميذه

---

(١) سورة الفتح آية ١٠
(٢) تفسير البيضاوى ص ٦٧٨
(٣) سورة النساء آية ٤٣
(٤) سورة المائدة الآية ٦
(٥) تفسير البيضاوى ص ١١٢

كما ألف كتاب الغاية القصوى في دراية الفتوى في فقه الشافعية وشرح كتاب الشيرازى المسمى بالتنبيه في فقه الشافعية وغير ذلك .

وفاتـــــه :

توفي البيضاوى في تبريز ببلاد فارس ودُفِنَ في " خرانداب " بتبريز على شرقى تربة الخواجة ضياء الدين يحيى على ما ذكر الخوانسارى (١) .

وأمَّا تاريخ وفاته فقد اختلف فيه المؤرخون . فقال السبكى (٢) والأسنوى (٣) : سنة احدى وتسعين وستمائة . وقال ابن كثير في تاريخه (٤) والخوانسارى (٥) وجمهور المؤرخين: توفي سنة خمس وثمانين وستمائة . وقال الشهاب الخفاجي في حاشيته على أنوار التنزيل : (والمشهور الذى اعتمده وصححه المؤرخون في التواريخ الفارسية أنَّه تُوفي في شهر جمادى الأولى سنة تسع عشرة وسبعمائة تقريباً ويشهد له ما في آخر تاريخه نظام التواريخ وهو المعتمد .) (٦)

ولتباين هذه الأقوال في تاريخ وفاته حيثُ لا يمكنُ الترجيح فالمعول عليه هو الآخذ بقولِ جُمهور المؤرخين أنه توفي عام خمس وثمانين وستمائة والله أعلم بالصَّوابِ.

---

(١) روضات الجنات ٥/ ١٣٤

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٥٩

(٣) طبقات الشافعية للأسنوى ١/ ٢٨٣.

(٤) البداية والنهاية ١٣/ ٣٠٩

(٥) روضات الجنات ٥/ ١٣٤.

(٦) عناية القاضى وكفاية الراضى ١/ ٣،٤

الفصـــل الثانـــــــــى

شـــــيوخـــه وتلاميـــــذه

ويحـتوى على مبحثـــين :

المبحــث الأول : شـــــيوخـــــه

المبحــث الثانى : تـلاميـــــــــذه

----

*

المبحث الأول

شيوخه :

تلقى البيضاوى العلم على كثيرٍ من العلماء فى عصره فدرس الفقه والقراءات واللغة والنحو والمنطق وغيرها،فقد كانت تبريز أنذاك قبلة العلماء فى بلاد فارس ومن أشهر شيوخ البيضاوى ما يلى :

١ - والده :

فكان البيضاوى أوّلَ ما نهل من العلم نهل من معين والده أبوالقاسم عمر بن محمد بن على البيضاوى .. ترجم له صاحب كتاب شَدّ الأزار فقال : (مقتدى عصره ، وأوحد دهره ، كان إماماً متبحراً جمع بين العلم والتقوى وتقلد القضاء بشيراز سنين دَرَّسَ وأسمع وحدَّث وروى عن شيخه عبد الرحيم بن عبد الرحمن السجستانى . توفى فى ربيع سنة خمس وسبعين وستمائة ودفن بالضفة الجنوبية من المدرسة الغربية بالسوق الكبير .)(١)

تأثَّر البيضاوى بوالده وظهر ذلك فى فتواه . فقد صَرَّح بفتوى والده فى تفسيره لآية الصدقات فقال : (ظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية ، ووجوب الصرف إلى كلِّ صنفٍ وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك ،وإليه ذهب الشافعى رضى الله عنه ، وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين جواز صرفها إلى صنفٍ واحدٍ ،واختاره بعض أصحابنا ، وبه قال الأئمة الثلاثة وبه كان يفتى شيخى ووالدى رحمهما الله تعالى .)(٢)

---

(١) شد الأزار وحط الأوزار ص ٢٩٩ .

(٢) تفسير البيضاوى ص ٢٥٨ .

وقد ذكر اليافعى فى ترجمته له أَنَّه تفقَّه على أبيه (١).

وقد ذكر البيضاوى فى مقدمة كتابه الغاية القصوى فى دراية الفتوى إجازته العلمية وسند أخذه العلم من والده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبق ذكر ذلك (٢).

٢ - الشيخ محمد الكحتائى :

وهو الشيخ محمد بن محمد الكحتائى الصُّوفىّ ، وهو من شيوخ البيضاوى الذين صحبهم واقتدى بهم فى الزهد والعبادة .

فقد كان البيضاوى يقتدى بالشيخ الكحتائى ويستجيب لإرشاده وتوجيهه ، فقد لزمه البيضاوى واقتدى بسلوكه فى الزهد والعبادة إلى أنْ مات . فقد ذكر السبكى فى الطبقات الكبرى أَنَّ البيضاوى عندما صرف عن قضاء شيراز دخل تبريز ومكث بها فاستشفع من الشيخ محمد بن محمد الكحتائى للأمير فى طلب القضاء ، فلما أتاه على عادته قال إنَّ هذا الرجل عالم فاضل يريد الاشتراك مع الأمير فى السعير ، يعنى أنّه يطلب منكم مقدار سجادة فى النار ، وهى مجلس الحكم ، فتأثر البيضاوى من كلامه وترك المناصب الدنيوية ولازم الشيخ إلى أَنْ ماتَ وصنَّف التفسير باشارة شيخه ولما مات دفن عند قبره .) (٣)

وقد ذكر هذه القصة أيضاً الخوانسارى فى روضات الجنات (٤).

٣ - عمر البوشكانى :

وهو شرف الدين عمر الزكى البوشكانى قال صاحب شَدّ الأزار (هو مولانا شرف الدين عمر الزكى البوشكانى . أستاذ العلماء ورجع الفضلاء ، وملجأ

---

(١) مرآة الجنان ٤/٢٢٠
(٢) الغاية القصوى فى دراية الفتوى ص ١٥
(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٥/٥٩
(٤) روضات الجنات ٥/١٣٤ .

الأكابر في عهده ، وجامع أقسام العلوم من المنقول والمعقول ، لم يترك فناً إلاّ درسه ، ولا علماً إلاّ مارسه ، وكان مع ذلك أحد العباد المرتاضين ، يصلى كل يوم وليلة صلوات كثيرة ، ويجتهد في أمر وضوئه وطهارته اجتهاداً بليغاً ، لم يخط قط خطوة إلاّ في رضى الله تعالى ، ولم يتكلم بكلمة هجر مدة عمره ، وكانت له سدة يجلس عليها متى درس ، تعظيماً للعلم ومكانته ، وكان أكابر العلماء يتتلمذون عليه منهم الشيخ ظهير الدين بن عبد الرحمن بن على بن برغش ، ومولانا نظير الدين محمود بن مصلح الشيرازى . قرأ عليه الكليات وأثنى عليه في ديباجة شرحه لذلك الكتاب فقال : هو علامة وقته وشيخ الكُلّ في الكل والقاضى ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى قد تأدّب به وتخرج لديه . وكان عين تلامذته . ويقال إنّ أصول تصانيف القاضى كلها كانت في أجزاء مسوداته . وقد تصرف القاضى فيها ونقلها إلى البياض . وله كرامات كثيرة ، وعبارات بليغة توفى سنة ثمانين وستمائة ودفن بالصفة الجنوبية من تلك المدرسة ، ورثاه القاضى ناصر الدين بقصيدة طويلة ، وكانت مكتوبة على مرقده ، فمحاها يد الأنام وبدل الصندوق بمرور الأيام .) (١)

٤ - نصير الدين الطوسى :

ذكر الخوانسارى في روضات الجنات أنّه من شيوخ البيضاوى (٢) الذين تتلمذ عليهم وترجم له ابن كثير في البداية والنهاية فقال : (هو محمد بن عبد الله الطوسى ، كان يقال له المولى نصير الدين ، ويقال الخواجا نصير الدين ، اشتغل في شبيبته وحصل علم الأوائل جَيّداً ، وصَنّف في ذلك في علم الكلام ، وشرح الاشارات لابن سينا ، وقد ذكره بعض البغاددة فأثنى عليه وقال : كان

---

(١) شَدّ الازار ص ٢٩٩

(٢) روضات الجنات ٥/١٣٤ .

عاقلاً فاضلاً كريمَ الأخلاق ، توفى فى بغداد فى ثانى عشر ذى الحجة من هذه السنة . (يعنى سنة اثنين وسبعين وستمائة) وله خمس وسبعون سنة ، فرحمه الله تعالى .

٥ - شهاب الدين السهروردى :

هو عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن حمويه صاحب عوارف المعارف قال عنه ابن كثير : (اسمه عبد الله البكرى البغدادى ، شهاب الدين أبو حفص السهروردى ، شيخ الصُّوفية ببغداد ، كان من كبار الصالحين وسادات المسلمين ، وتردد فى الرسلية بين الخلفاء والملوك مراراً ، وحصلت له أموال جزيلة ففرّقها بين الفقراء والمحتاجين ، وقد حج مرة وفى صحبته خلق من الفقراء لا يعلمهم إلاّ الله عز وجل ، وكانت فيه مروءة واغاثة للمهلهوفين ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وكان يعظ الناس -إلى أنْ قال - توفى فى هذه السنة (يعنى سنة ثلاثين وستمائة) وله ثلاث وتسعون سنة رحمه الله تعالى.) (١)

وقال عنه السبكى: أنه كان فقيهاً فاضلاً صوفياً إماماً بارعاً شيخ وقته فى علم الحقيقة سلك طريق الرياضبات والمجاهدات وقرأ الفقه والخلاف والعربية ، وسمع الحديث ثم انقطع ولازم الخلوة ، وداوم الصوم والذكر والعبادة ، ثم عقد مجلس الوعظ بمدرسة عمه على دجلة وقصد من الأقطار . (٢)

وأمَّا انتساب البيضاوى اليه بالتلمذة فقد ذكره الخوانسارى نقلاً عن الشيخ أبى القاسم الكازرونى أنَّه ذكر فى كتابه الموسوم بسلم السموات مورداً اسم البيضاوى أنه صحب الخواجة نصير الدين والشيخ شهاب الدين السهروردى . (٣)

---

(١) البداية والنهاية ١٣/١٣٨ ، ١٣٩ .
(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٨/٣٣٨- ٣٤١
(٣) روضات الجنات ٥/١٣٤ .

هؤلاء الشيوخ الذين ذكرتهم للبيضاوى هم الذين وقفت عليهم وليسوا هم كل شيوخ البيضاوى، لأَنَّ الواقعَ غير ذلك فالبيضاوى قد بَـرَعَ فى علم الفلك واللغة والمنطق والتاريخ فَلابُدَّ من أن يكون درس كل هذه العلوم على الشيوخ ولكن فيما يبدو أَنَّ شهرة البيضاوى غطت على كثير من أسماء شيوخه لذا أهملهم التاريخ .

....

المبحث الثاني

تلاميذه :

تلقى العلم على البيضاوى عددٌ كبيرٌ من التلاميذ، إذْ كانت له الدروس وحلقات العلم ، ولكن التاريخ لم يسجل عنهم إلاّ القليل، والسبب فى ذلك يرجع إلى قولنا بأنّ شهرة البيضاوى العلمية شغلت المؤرخين من النظر إلى تلاميذ البيضاوى وشيوخه، إلاّ قليلاً ممن أشتهر منهم ، وممن أشتهر من هؤلاء التلاميذ :

١ - جمال الدين الكسائى :

وهو جمال الدين محمد بن أبى بكر بن محمد المقرىء قال أبو القاسم جنيد الشيرازى صاحب كتاب شَدّ الأزار : كان من علماء المشايخ بشيراز تتلمذ على القاضى إمام الدين البيضاوى دَرَّسَ الكتبَ، وله تصانيف فائقة منها : كتاب نور الهدى فى شرح مصابيح الدُّجى . وكتاب النَّجم فى الأصول . وسير القرائح فى الأحاجى وغيرها . كان يعظ النَّاس ويدعوهم إلى الله تعالى سنين ومرقده خلف درب كازرون فى رباط .(١)

٢ - روح الدين الطَّيّار :

وهو الشيخ روح الدين بن الشيخ جلال الدين الطَّيار تلقى العلم على البيضاوى وشرح كتابه المصابيح شرحاً وافياً وصَنّف كتاباً فى الكلام، توفى سنة نيف وتسعمائة ودفن بجوار والده الشيخ جلال الدين رحمة الله تعالى عليهم أجمعين .(٢)

---

(١) شد الأزار ص ١١٧

(٢) راجع شد الأزار ٢٩٩ - ٣٩٢

٣ - رزين الدين الخنجي :

وهو القاضي رزين الدين علي بن روز بها بن محمد الخنجي ، قدوة أرباب العلم والتقوى ، وأسوة أصحاب الدرس والفتوى ، قد جمع بين المشروع والمعقول ، وصنف في الفروع والأصول . ومن مصنفاته المعتبر في شرح المختصر لابن الحاجب ، وكتاب النهاية في شرح الغاية للبيضاوي ، وكتاب الشكوك على الكافية ، وكتاب القواعد في النحو، توفي في صفر سنة سبع وسبعمائة ودفن بقبته العالية .(١)

٤ - روح الدين أبو المعالي :

هو القاضي الكريم العادل الرحيم روح الدين أبو المعالي الذي لا يحكم إلاّ بالحق ولا يضن بعلم على الخلق ، يحيي الليالي بالتلاوة والذكر ويتولى أمور المسلمين بالنهار . شرح كتاب الغاية القصوى شرحاً وافياً . قضى نحبه ليلة الجمعة الأولى من رجب ودُفِنَ بحظيرته المباركة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة .(٢)

٥ - فخر الدين الجاربردي :

وهو الإمام أحمد بن الحسن فخر الدين الجاربردي .

قال السبكي : (كان فاضلاً ديناً متفنناً مواظباً على الشغل بالعلم وإفادة الطلبة . شرح منهاج البيضاوي في أصول الفقه ، وتصريف ابن الحاجب ، وقطعة من الحاوي ، وله على الكشاف حواشي مشهورة وقد قرأه مرات عديدة . بلغنا أنَّه اجتمع بالقاضي ناصر الدين البيضاوي وأخذ عنه . توفي بتبريز في شهر رمضان سنة ست وأربعين وسبعمائة) .(٣)

(١ ، ٢) راجع شد الازار ص ٢٩٩ - ٣٩٢

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٥/١٦٩ .

٦ - تاج الدين الهنكي :

ذكره السّبكي في ترجمة الايجي فقال :

(واشتغل على الشيخ تاج الدين الهنكي تلميذ القاضي ناصر الدين البيضاوي .[1]

٧ - كمال الدين المراغي :

وهو عمر بن إلياس بن يونس المراغي أبو القاسم الصوفي كمال الدين، وُلِدَ باذربيجان سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وقدم دمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة وهو ابن نيف وثمانين سنة ، وجاور قبل ذلك بالقدس ثلاثين سنة ، وأقام قبلها بمصر خمس عشرة سنة ، قال البدر النابلسي : سمع صحيح البخاري على العز الحَرّاني ، والترمذي على محمد بن ترجم ، وسمع على القاضي ناصر الدين البيضاوي المنهاج والغاية القصوى والطوالع .

ولما كان بدمشق كان يذكر أَنَّ الجلال القزويني قرأ عليه قديماً ويعتب عليه في عدم انصافه له ، قال البدر وأجازني مروياته سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة بالقدس . وقال الذهبي في معجمه : كان شيخنا حسناً صالحاً خيراً له حظٌ من الاشتغال قديماً وحديثاً ، وقدم الشام سنة نيف وثمانين وستمائة[2] ، ولم تحدد المصادر تاريخ وفاته. وهؤلاء ممن وقفت عليهم من تلاميذ البيضاوي الذين أخذوا عنه العلم، وأمّا تلاميذه بالمعنى العام فمن الصعوبة حصرهم لكثرتهم وخاصة أصحاب الشرح والحواشي لكتبه .

---

(١) طبقات الشافعية ٦/١٠٨

(٢) ترجمته في الدرر الكامنه ٣/٢٣٢ ، الأعلام ٧/٨١

الفصـــل الثالـــث

الكلام على آثـاره ومؤلفاتـه إجمالاً :

ترك البيضاوى آثارا كثيرة ومؤلفات وفيرة فى مختلف المجالات قال عنـه الأسنوى شارح المنهاج : (كان رحمه الله ونفعنا به كثيرَ العبادة وَرِعـاً زاهداً نَظَّاراً عالماً بالتفسير والأصلين (أصول الدين وأصول الفقه) وباللغة والعربية والمنطق . ترك من الآثار النافعة والتآليف الممتعة ما يشهد لـه برسوخ القدم وعلو الكعب فيما زاوله من العلوم النقلية والعقلية .

تلك آثار تدلُّ علينـــا فانظروا بعدنا إلى الآثـــار (١)

ومن أهم تآليفـه :

١ - تفسير القرآن الكريم المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) الذى ذاع ذكره فى سائر الأقطار، وسار مسير الشمس فى رابعة النهار، وتلقاه العلماء شرقا وغربا بالقـول ، ووشحوه بالشروح والحواشى الضافية الذيول، وهـو أجل مؤلفاته (٢).

وسنتكلم عليه إن شاء الله تعالى بالتفصيل فيما بعد وهو موضوع بحثنـــا ودراستنا .

٢ - منهاج الوصول إلى علم الأصول (٢) اختصر فيه كتاب الحاصل لتاج الدين محمد بن الحسين الأرموى الشافعى المتوفى سنة ست وخمسين وستمائـة المختصر من كتاب المحصول لشيخه الإمام محمد بن عمر بن الحسين المشهور بفخر الدين الرازى الشّافعى المولود بالرى فى رمضان عام أربعة وأربعين وخمسائة .

---

(١) نهاية السول شرح منهاج الأصول ١/د

(٢) الكتاب مطبوع ومتداول .

وقد شرح المنهاج جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى وسماه (نهاية السول فى شرح منهاج الأصول).

وشرحه نجم الدين محمد بن عبد القادر الواسطى الشافعى المتوفى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة .

وشرحه ظهير الدين عبد الصمد بن محمود العارقى سنة ثلاث وسبعمائة .

وشرحه سراج الدين أبو حفص عمر بن موسى بن حسن بن محمد القرشى المخزومى الحمصى الشافعى المتوفى سنة احدى وستين وثمانمائة وسماه (توضيح المبهم والمجهول فى شرح منهاج الأصول).

وشرحه أحمد بن اسحاق الشيرازى المتوفى سنة ثلاث وستين وثمانمائة وسماه (الابهاج فى شرح المنهاج).

ونظمه شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الله الكردى الكورانى الشافعى المتوفى سنة عشر وثمانمائة . [١] وغيرهم .

٣ - الغاية القصوى فى دراية الفتوى [٢] اختصر فيه كتاب الوسيط فى فقه الإمام الشافعى لحجة الاسلام الغزالى المتوفى سنة خمس وخمسمائة فى مجلدٍ واحدٍ .

وقد شرحه رزين الدين على بن روز بها بن محمد الخنجى وسماه (النهاية فى شرح الغاية). [٣]

ونظمه أيضاً الشيخُ الإمامُ أبو عبد الله محمد بن الظهيرى الشافعى وسماه الكفاية . [٤]

---

(١) كشف الظنون ٤/٥٨٦ - ٥٩٠

(٢) كتاب الغاية حققه على محى الدين على القرة داغى وطبع فى دار الاصلاح .

(٣) شد الازار ص ٢٩٩

(٤) كشف الظنون ٢/١١٩٣

٤ - طوالع الأنوار فى أصول الدين (١) . قال الأسنوى:هو كتاب دقيق للغاية وأجل مختصر صنف فى علم الكلام (٢).

وقال حاجى خليفة:هو متن متين اعتنى العلماء فى شأنه فصنف عليه أبو الثناء شمس الدين محمود بن عبدالرحمن الأصفهانى شرحاً نافعاً سماه(مطالع الأنظار)وعليه حاشية للمولى مصلح الدين محمد اللارى .

وحاشية لحميد الدين بن أفضل الدين الحسينى المعروف بابن أفضل وهى مقبولة متداولة .

وحاشية للشريف على بن محمد الجرجانى . وشرحه عصام الدين ابراهيم بن محمد الاسفرايينى وهمام الدين الكنارى وحاجى باشا الايدينى سماه(مسالك الكلام فى مسائل الكلام)نقل فيه من فوائد الشارحين وتصانيف المحققين ما قرع سمعه وأعجب ذهنه وغيَّر ما رأى فيه تطويلاً أو تقصيراً أو خللاً مع الضميمة من بنات أفكاره، وشرحه غير هؤلاء خلق كثير .

٥ - التهذيب والأخلاق، وهو كتاب ألَّفه فى التَّصوف (٣) .

٦ - لب الألباب فى علم الإعراب (٤) . اختصر فيه الكافية لابن الحاجب .

قال صاحب كشف الظنون : (وهو منطوٍ على فوائدَ جليلةٍ جليةٍ ومتكفل لغرائب النحو بوجازةِ ألفاظ عبقرية، وقد ذكر فيه ما هو الواجب مما تركه ابن الحاجب، وقد شرحه مولانا بن محمد ابن لير على المعروف ببركلى المتوفى سنة احدى وثمانين وتسعمائة وهو المعروف بامتحان الأذكياء .

---

(١) كتاب الطوالع مطبوع ومتداول .

(٢) نهاية السول ١/د

(٣) ذكره الأسنوى فى ديباجيته على المنهاج ،انظر نهاية السول ١/د

(٤) كتاب اللب مخطوط .

وشرحه بايزيد بن عبد الغفور القونوى من علماء دولة السلطان محمد بن مراد بن سليم خان شرحاً ممزوجاً كثير الفوائد ، وسماه مدرج الفوائد لما الحق به من الزوائد ، وفيه ردود واعتراضات على الشارح البركلى .

ومن شرح اللب خلاصة الكتب ، أوله الحمد لله الذى فتح على جمع أعربوا بالكلمة فى كلامهم أبواب الجنة لمحمد بن على الكونباتى المجاور بمكة المكرمة فى أواخر رمضان سنة إحدى وأربعين وتسعمائة .(١)

٧ - تاريخ الدول الفارسية المسمى بنظام التواريخ(٢)، وهو كتاب ألفه باللغة الفارسية ذكر فيه تاريخ الدول الفارسية منذ أبينا آدم إلى عهد البَيضاوى .(٣)

٨ - مصباح الأرواح(٤) فى الكلام، أوله الحمد لله الأول قبل كل موجود، رتَّبه على مقدمة وثلاثة كتب ، وشرحه القاضى عبيد الله بن محمد الفرغانى التبريزى المعروف بالعبرى، المتوفى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بقال أقول ، وعليه شرح آخر بقال أقول، وهو المسمى بالايضاح، أوله الحمد لله الذى تحيَّرت الأفهام فى عظمته .(٥)

٩ - كتاب فى المنطق .(٦)

١٠ - رسالة فى موضوعات العلوم وتعاريفها .(٧)

---

(١) كشف الظنون ٢ / ١٥٤٦

(٢) نظام التواريخ مخطوط بالفارسية .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ٩ / ٣٣

(٤) كتاب الطوالع مطبوع.

(٥) مصباح الأرواح مخطوط

(٦) كشف الظنون ٢ / ١٧٠٥

(٧) مخطوطه

١٢ - مختصر فى الهيئة (١).

١٣ - كتاب فى أسماء الله الحسنى (٢).

١٤ - الايضاح فى أصول الدين ذكره الأسنوى فى مقدمته على المنهاج وقال لعلّه شرح على كتاب المصباح (٣).

هذا ما أمكننا الوقوف عليه من كتب البيضاوى ولعل الذى لم نقف عليه منها كثير منها ما ألف باللغة العربية ومنها ما ألف باللغة الفارسية فالرجل باعه طويل فى مجالات شتى كعلم الفلك والفلسفة والجدل والمنطق وغيرها .

وأما شروحه على الكتب كثيرة نذكر منها :

١ - شرح مصابيح الامام البغوى فى الحديث المسمى مصابيح السنة وسمى البيضاوى شرحه تحفة الأبرار .

٢ - شرح المحصول فى أصول الفقه للامام فخر الدين الرازى .

٣ - شرح المنتخب فى أصول الفقه للامام فخر الدين الرازى انتخبه من كتابه المحصول (٤).

٤ - شرح مختصر ابن الحاجب الأصولى سماه مرصاد الافهام الى مبادىء الأحكام أوله : الحمد لله الذى هدانا إلى مناهج الحق ، وهو مشروح معزوج لا فرق فيه بين المتن والشرح بشىء أصلاً،بل هو كتأليف مستقل (٥).

٥ - شرح التنبيه لأبى إسحاق الشيرازى فى فقه الإمام الشافعى فى أربع مجلدات ذكره الأسنوى فى مقدمته إلى المنهاج ولم يذكره صاحب كشف

(١ ، ٢ ، ٣) هذه الكتب كلها مخطوطة
(٤) انظر مقدمة الأسنوى على المنهاج ١/د
(٥) المرجع السابق ، كشف الظنون ٢/١٨٥٤

الظنون ضمن الشراح الذين شرحوا التنبيه .(١)

٦ - شرح الكافية فى النحو لابن الحاجب المالكى المتوفى سنة ست وأربعين وخمسمائة .(٢)

٧ - شرح الفصول ، فصول الخواجة نصير الدين الطوسى .

قال الخوانسارى : (ذكره الشيخ أبو القاسم الكازرونى المتكلم الحكيم فى كتابه سلم السماوات موردا اسم الرجل فيه أيضاً بعنوان القاضى ناصر الدين بن القاضى إمام الدين أبى القاسم)(٣)

وهناك كتب نُسِبت خطأً للبيضاوى منها :

١ - تاريخ الصين المأخوذ من كتاب تاريخ العالم . جاء فى دائرة المعارف الاسلامية : (هناك مخطوط محفوظ بين المخطوطات الشرقية بهامبورج تحت رقم ١٨٧ تضمن بعد بدايته تاريخ الصين المأخوذ من تاريخ العالم لرشيد الدين ، ولذلك فقد طبع هذا المخطوط ونسب خطأً للبيضاوى .(٤)

٢ - الارشاد فى الفقه . ذكر الكتبى فى عيون التواريخ أن هذا الكتاب للقاضى ناصر الدين البيضاوى(٥) وهو سهو فقد قال السبكى : (وله - أى لأبى بكر البيضاوى على ما ذكر ابن الصلاح كتاب الارشاد فى شرح كفاية الصيمرى .)(٦)

فاختلط على ابن شاكر الكتبى فاسند ما للقاضى أبى بكر البيضاوى إلى القاضى ناصر الدين البيضاوى .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) كشف الظنون ٢ / ١٣٧٣ .
(٣) روضات الجنات ٥ / ١٣٦
(٤) دائرة المعارف الاسلامية ٩ / ٣٣
(٥) عيون التواريخ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٧٦ تاريخ ج ٢١
(٦) طبقات الشافعية الكبرى ٤ / ٩٦ .

٣ - التبصرة في الفقـه :

ذكر ابن السبكي وإسماعيل البغدادي وغيرهما أَنَّ هذا الكتاب للقاضي ابي بكر البيضاوي .(١)

٤ - التذكرة في الفـروع :

وقد اسنده إلى القاضي ناصر الدين البيضاوي إسماعيل البغدادي (٢) وهو خطأ فقد قال السبكي : (إنَّ القاضي أبا بكر قد شرح كتابـه التبصرة بشرحين أحدهما : " التذكرة في شرح التبصرة " وقفت أنا عليه وهو في مجلدين .)(٣)

وجاء في كشف الظنون في الكلام على هذا الكتاب .

قال حاجي خليفة إِنَّ للامام البيضاوي المفسر تذكرة فيه .(٤)

وهذا مرجوح لأنَّ السبكي قال وقفت أنا عليه وهذا تأكيد ينفي من خالفه ، والله أعلم .

----

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٤/٩٧ ، هدية العارفين ١/٤٦٢ ، ايضاح المكنون ١/٢٢٢

(٢) هدية العارفين ١/٤٦٢

(٣) الطبقات الكبرى ٤/٩٦ .

(٤) كشف الظنون ١/٢٧٧ .

الباب الثّانى

تفسيره

الفصل الأول

مصادره

١ـ مصادره من القرآن الكريم .
٢ـ مصادره من السُّنة النبوية .
٣ـ مصادره من أقوال الصحابة والتابعين .
٤ـ مصادره من كتب التفسير .
٥ـ مصادره من كتب اللُّغة .

مصـــادره من القرآن الكريم

من مصادر البيضاوى فى تفسيره القرآن الكريم القرآنُ نفسه . فقد كان يفسر القرآن بالقرآن فى كثيرٍ من المواضع وله فى ذلك طرق مختلفة ، فمرةً يفسر الآية ويبين المراد منها على ما ظهر من معناها اللغوى ويؤيد تفسيره بآية من القرآن الكريم تعضد ما ذهب إليه فى تفسير الآية . ومرةً يفسر الآية بذكر آية تماثلها فى المعنى من غير أن يذكر تفسيراً من عنده . ومرةً تدل الآية على حكم فقهى ، فيتخذ البيضاوى فيه مذهبا ويأتى بآية أخرى دليلاً على ما ذهب اليه من الحكم الفقهى . وإذا ذكر المعنى مجملاً فى آيات من القرآن الكريم، ذكر الآيات التى ورد فيها مفصلاً . وغير ذلك من الاستشهاد بالآيات .

فعند تفسير قوله تعالى : " فَلَمَّا عَتَوْا عن ما نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ." (١) قال البيضاوى : (عتوا تكبروا عن ترك ما نهوا عنه . كقوله تعالى : " فَعَتَوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ." (٢) و " قلنا لهم كونوا " كقوله تعالى : " إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ." (٣)) (٤)

والمعنى أن القوم استعصوا وتمردوا عن ترك ما نهوا عنه فكان فى الآية محذوف وهو ترك المنهى عنه ، فكان ترك المنهى عنه طاعة والاستعصاء عن ترك المنهى عنه هو المعصية ، كما وضح ذلك الرازى فى تفسيره حين قال :

---

(١) سورة الاعراف آية ١٦٦
(٢) سورة الذاريات آية ٤٤
(٣) سورة النحل آية ٤٠
(٤) تفسير البيضاوى ص ٢٢٧

(وإذا عتوا عما نهوا عنه فقد أطاعوا لأنهم أبوا عما نهوا عنه ومعلـــــوم أنه ليس المراد ذلك . فلابد من اضمار ، والتقدير فلما عتوا عن ترك ما نهوا عنه ، ثم حذف المضاف . وإذا أبوا ترك المنهى كان ذلك ارتكابا للمنهى .)(١)

وأما قوله تعالى : " قلنا لهم كونوا قردة خاسئين " فكما قال البيضاوى هو أمرٌ كونى لا أمرٌ قولى كقوله تعالى " كن فيكون " لأن القوم إذا خوطبوا خطابا فيه أمر بأن يجعلوا من أنفسهم قردة لا يستطيعون، فكان المعنى أنهم مسخوا بأمر من الله تبارك وتعالى . قال الفخر الرازى فى تفسيره ، (ومن الناس من قال : قوله " قلنا لهم كونوا قردة " ليس من المقال بل المراد منه أنه تعالى فعل ذلك . وفيه دلالة على أن قوله " إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ." هو معنى الفعل لا الكلام .)(٢)

وقال الشوكانى : (وقلنا لهم كونوا قردة خاسئين " أى أمرناهم أمراً كونياً لا أمراً قولياً .)(٣) وهو قول جمهور المفسرين .

ومن أمثلة مصادره فى تفسيره القرآن بالقرآن ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ، ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ "(٤) قال البيضاوى : (أنزلنا عليكم أى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة ونظيره قوله تعالـــى : " أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ."(٥) وقوله تعالى : " وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ ."(٦))(٧)

---

(١) التفسير الكبير ١٥/٤٠

(٢) المرجع السابق .

(٣) فتح القدير ٢/٢٥٧

(٤) سورة الأعراف آية ٢٦

(٥) سورة الزمر آية ٦

(٦) سورة الحديد آية ٢٥

(٧) تفسير البيضاوى ص ٢٠٢

والمعنى اطلاق السبب وارادة المسبب ، فالذى أُنزل من السماء هو ماء المطر فنبت به النبات الذى منه الكسوة كالقطن والكتان وأكلت منه الأنعام التى من أصوافها وأد بارها كساء، قال البرسوى : (قد أنزلنا عليكم لباساً : أى خلقناه لكم بانزال سببه من السماء ، وهو ماءُ المطر ، فما تنبته الأرض من القطن والكتان من ماء السماء ، وما يكون من الكسوة من أصواف الأنعام ، فقوام الأنعام أيضاً من ماء السماء .) (١)

ومن أمثلة مصادره فى تفسيره القرآن بالقرآن ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ." (٢)

قال البيضاوى : (تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله : " وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ." (٣)) (٤)

وللعلماء أقوال فى تفسير الآية قال النسفى : (واعلموا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ." أى يميته فتفوته الفرصة التى هو واجدها، وهى التمكن من اخلاص القلب ، فاغتنموا هذه الفرصة ، وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله . أو بينه وبين ما تمناه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزائمه .) (٥)

---

(١) روح البيان ٣/١٤٧

(٢) سورة الأنفال آية ٢٤

(٣) سورة ق آية ١٦

(٤) تفسير البيضاوى ص ٢٣٨

(٥) تفسير النسفى ٢/١٠٠

وقال الراغب الأصفهانى : (أصل الحول تغيُّر الشيء وانفصاله عن غيره . وباعتبار التغير قيل : حال الشيء يحول حولا واستحال : تهيأ لأن يحول . وباعتبار الانفصال قيل : حال بينى وبينك كذا وقوله تعالى : " واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ."

فأُشارة إلى ما قيل فى وصفه يقلّب القلوب وهو أن يلقى فى قلب الانسان ما يصرفه عن مراده لحكمة تقتضى ذلك ، وقيل على ذلك (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) وقال بعضهم فى قوله (يحول بين المرء وقلبه) هو أن يهمله ويرده إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً[(١)] . "

وقال الألوسى عن الآية : " فيها تنبيهٌ على أنه تعالى مطلع من مكنونات القلوب على ما قد يغفل عنه أصحابها ، وجوَّز أنْ يكون المراد من ذلك الحثّ على المبادرة إلى اخلاص القلوب وتصفيتها ، فمعنى يحول بينه وبين قلبه يفوّته الفرصة التى هو واجدها، وهى التمكن من اخلاص القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سالماً كما يريده الله تعالى، فكأنه سبحانه بعد أن أمرهم بإجابة الرسول عليه الصلاة والسلام أشار لهم إلى اغتنام الفرصة من اخلاص القلوب للطاقة، وشبّه الموت بالحيلولة بين المرء وقلبه الذى به يعقل فى عدم التمكن من علم ما ينفعه علمه وإلى هذا ذهب الجبائى .

وقال غيرُ واحدٍ : إنّه استعارة تمثيليه لتمكنه تعالى من قلوب العباد، فيصرفها كيف يشاء بما لا يقدر عليه صاحبها، فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويلهمه رشده ويزيغ عن الصراط السوى قلبه، ويبدله بالأمن خوفاً وبالذكر نسياناً ،

---

(١) مفردات غريب القرآن ص ١٣٧ .

وذلك كمن حال بين شخص ومتاعه فإنّه القادر على التصرف فيه دونه وهذا كما في حديث شهر بن حوشب عن أمّ سلمه وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثاره الدعاء بيا مقلّب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال لها : يا أمّ سلمه انه ليس آدمي إلاّ وقلبه بين أصبعين من أصابع الله تعالى، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ ، ويؤيد هذا التفسير ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : سألتُ النبيّ صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال عليه الصلاة والسلام : يحول بين المؤمن والكفر ويحول بين الكافر والهدى . " .

وقال الألوسى فى آخر كلامه : " قيل: إنّ القوم لما دعوا إلى القتال والجهاد وكانوا فى غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا فى سبيل الله تعالى إذا دعيتم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الأمن خوفاً والجبن جرأةً ". (١)

وقال ابن القيم فى تفسيره للآية " المشهور فى الآية أنه يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الايمان . ويحول بين أهل طاعته وبين معصيته وبين أهل معصيته وبين طاعته . وهذا قول ابن عباس وجمهور المفسرين . وفى الآية قول آخر : أنّ المعنى أنه سبحانه قريبٌ من قلبه لا تخفى عليه خافية . فهو بينه وبين قلبه . ذكره الواحدى عن قتادة .

وكان هذا أنسب للسياق ، لأنّ الاستجابة أصلها بالقلب فلا تنفع الاستجابة بالبدن دون القلب، فإنّ الله سبحانه بين العبد وبين قلبه . فيعلم هل استجاب له قلبه ، وهل أضمر ذلك أو أضمر خلافه .

---

(١) روح المعانى ٧/١٩١ - ١٩٢ .

وعلى القول الأول ، فوجه المناسبه إنكم إنْ تثاقلتم عن الإجابة وأبطأتم عنها،فلا تأمنوا أنْ يحول اللهُ بينكم وبين قلوبكم فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة ، وعقوبة لكم على تركها بعد وضوح الحق واستبانته فيكون كقوله : " وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ." (١) وقوله " فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ " (٢) وقوله . " فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ " . (٣)

ففي الآية تحذيرٌ عن ترك الاستجابه بالقلب وان استجاب بالجوارح" . (٤)

قلت:القول الذى أراه راجحاً هو قول جمهور المفسرين من أن الله يحول بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الايمان،وبين الطاعة وبين أهل المعاصى،وبين المعاصى وبين أهل الطاعة،فالله تعالى هو مقلب القلوب . ولكن هذا القول لا ينافى قول الذين قالوا إنَّ الحيلولة فسخ العزائم وتغيير المقاصد إذ هى جزءٌ من تصريف القلوب كما أنه لا ينافى أيضاً القول بانَّ الحيلولة كناية عن قرب الله تعالى للعبد وهى أقرب إليه من حبل الوريد - وهو الذى ذكره البيضاوى - لأنه لا تعارض بين قرب الله تعالى من الانسان وبين تصريف قلبه وتقليبه فهو القريب المضطلع على قلوبنا أكثر منا وأدرى بأحوالنا منا،فيمكن الجمع بين هذه الأقوال مع تقديم قول الجمهور .

ومن تفسير البيضاوى للقرآن بالقرآن أنه يأتى بالآية دليلاً على ما ذهب إليه من المذهب الفقهى فيما تدل عليه الآية من أحكام فقهية . ومن ذلك فى

---

(١) سورة الأنعام آية ١١٠

(٢) سورة الصف آية ٥

(٣) سورة الأعراف آية ١٠١

(٤) التفسير القيم ص ٢٩١

تفسير قوله تعالى : " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .. الآية "(١)

قال : (الفقيرُ من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته ، من الفقار كأنَّه أصيب فقاره ، والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه كأنَّ العجز أسكنه ويدل عليه قوله تعالى : " أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ. "(٢))(٣)

وللعلماء أقوال فى معنى الفقير والمسكين منهم من قال أن المسكين أحسن حالاً من الفقير - كما قال البيضاوى - ومنهم من قال بعكس ذلك ، إنَّ الفقير أحسن حالا من المسكين ، ومنهم من ساوى بينهما فى المعنى وقال لا فرق بين المسكين والفقير . أورد ذلك الخلاف القرطبى فى تفسيره فقال :

(اختلف علماء اللغة وأهل الفقه فى الفرق بين المسكين والفقير على تسعة أقوالٍ : فذهب يعقوب ، ابن السكيت ، والقتبى ، ويونس ، ابن حبيب ، إلى أنَّ الفقير أحسن حالاً من المسكين قالوا الفقير هو الذى له بعض ما يكفيه ويقيمه والمسكين الذى لا شيء له واحتجوا بقول الراعى : -

أما الفقير الذى كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد

وذهب الى هذا قوم من أهل اللغة والحديث منهم أبو حنيفة والقاضى عبد الوهاب والوفق من الموافقة بين الشيئين كالالتحام ، يقال حلوبته وفق عياله أى لها لبن قدر كفايتهم لا فضل فيه ، عن الجوهرى . وقال آخرون بالعكس، فجعلوا المسكين أحسن حالا من الفقير . واحتجوا بقوله تعالى : " أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ . " فأخبر أنَّ لهم سفينة من سفن البحر . وربما

---

(١) سورة التوبة آية ٦٠

(٢) سورة الكهف آية ٧٩

(٣) تفسير البيضاوى ص ٢٥٨

ساوت جملة من المال . وعضدوه بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تعوذ من الفقر . (١) وروى أنه قال : "اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا". (٢) فلو كان المسكين أسوأ حالا من الفقير لتناقض الخبران ، إذ يستحيل أَنْ يتعوذ من الفقر ثم يسأل ما هو أسوأ حالاً منه ، وقد استجاب الله دعاءه وقبضه وله مال مما أفاء الله عليه ، ولكن لم يكن معه تمام الكفاية ، ولذلك رهن درعَهُ .

قالوا وأَمَّا بيتُ الرَّاعى فلا حجة فيه ، لأنه إنَّما ذكر أن الفقير كانت له حلوبة فى حال . قالوا : والفقير معناه فى كلام العرب المفقور الذى نزعت فقرة من ظهره من شدة الفقر فلا حال أشد من هذه .

وقد أخبر الله عنهم بقوله " لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى الأَرْضِ " . (٣) واستشهدوا بقول الشاعر :

لما رأى لبد النسور تطايرت رفع القوادم كالفقير الأعـزل .

---

(١) أخرجه أبو داود فى الأدب والنسائى فى الاستعاذة عن طريق جعفر بن ميمون قال فيه يحيى ليس بثقة وقال أحمد ليس بقوى فى الحديث وقال أبوحاتم الرازى صالح . انظر مختصر سنن ابن داود للمنذرى ٧/٣٤٥ ، سنن النسائى .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى الزهد عن طريق يزيد بن سنان عن ابن المبارك قال البصيرى فى الزوائد هذا اسناد ضعيف أبو المبارك لا يعرف اسمه وأخرجه الترمذى بسند غريب عن طريق ثابت بن محمد العابد الكوفى . انظر سنن الترمذى ٩/٢١٣ ، سنن ابن ماجة ٢/٤١٢

(٣) سورة البقرة آية ٢٧٣

أى لم يطق الطيران فصار بمنزلة من انقطع صلبه ولصق بالأرض .

وذهب إلى هذا الأصمعى وغيره وحكاه الطحاوى عن الكوفيين وهو أحد قولى الشافعى وأكثر أصحابه . وللشافعى قول آخر : أَنَّ المسكين والفقير سواء لا فرق بينهما فى المعنى، وان افترقا فى الاسم وهو القول الثالث والى هذا ذهب ابن القاسم وسائر أصحاب مالك ، وبه قال أبو يوسف) (١) .

وكأَنَّ القرطبى يفضل قول أصحاب مالك ومن وافقهم من أن المسكين والفقير يتفقان فى المعنى، ويرد قول البيضاوى ومن وافقه من أن المسكين أحسن حالاً من الفقير فقال : (لا حجة فى قول من احتج بقوله تعالى : " أَمَّا السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر ." لأَنَّه يحتمل أن تكون مستأجرة لهم ، كما يقال هذه دارُ فلان إذا كان ساكنها وكانت لغيره . وقد قال تعالى فى وصف أهل النار : " وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ " (٢). فأضافها إليهم ، وقال تعالى : " وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ " (٣).

وقال صلى الله عليه وسلم : " من باع عبداً وله مال " (٤). وهذا كثير جداً يضاف الشئ اليه وليس منه . ومنه قولهم باب الدار وسرج الفرس . ويجوز أن يسموا مساكين من جهة الرحمة والاستعطاف) (٥) .

والقول الذى أراه راجحاً هو قول البيضاوى ومن وافقه أن المسكين أحسن حالاً من الفقير والدليل فى ذلك ظاهر الآية السابقة " أما السفينة

---

(١) تفسير القرطبى ٤/٣٠٠٧ - ٣٠٠٨ - ٣٠٠٩

(٢) سورة الحج آية ٢١

(٣) سورة النساء آية ٥

(٤) أخرجه مسلم فى البيوع ١٠/١٦١ وأبو داود فى البيوع ٣/٢٦٨

(٥) انظر تفسير القرطبى ٤/٣٠٠٧ ، ٣٠٠٨ ، ٣٠٠٩

فكانت لمساكين يعملون فى البحر." وطلب النبى صلى الله عليه وسلم أن يعيش مسكيناً وتعوذه صلى الله عليه وسلم من الفقر . وما ذهب إليه القرطبى من قول أصحاب مالك ومن وافقهم أن الفقير والمسكين سواء فى المعنى قول مرجوح ، لأنَّ الفقير والمسكين وردا بصيغة العطف والعطف اذا اجتمع فيه المعطوفان يقتضى المغايرة فى الغالب وتقديم الفقير فى الآية على المسكين يدل على شدة حاجته .

ومن تفسير البيضاوى القرآن بالقرآن قوله تعالى : " وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُم قُضِىَ بَيْنَهُم بِالقِسطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ "(١). قال البيضاوى : (ولكل أمة من الأمم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضى بينهم ، بين الرسول ومكذبيه بالعدل فأنجى الرسول واهلك المكذبين . وقيل معناه لكل امة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قضى بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله : " وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم .. "(٢))(٣)

وقد ذكر الشوكانى تأويلين للآية أحدهما أنَّ القضاءَ بين الأمم كان فى الدنيا، والتأويل الآخر انه كان فى الآخرة . فقال : (ولكل أمة من الأمم الخالية فى وقت من الأوقات رسول يرسله الله إليهم ، ويبين لهم ما شرعه الله لهم من الأحكام على حسب ما تقتضيه المصلحة فاذا جاء رسولهم اليهم وبلغهم ما أرسله الله به فكذبوه جميعا قضى بيهم أى بين الأمة ورسولها بالقسط ، أى العدل فنجا الرسول وهلك المكذبون له كما قال سبحانه : -

" وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً "(٤).

ويجوز أن يراد بالضمير فى "بينهم" الأمة على تقدير أنه كذبه بعضهم

---

(١) سورة يونس آية ٤٧
(٢) سورة الزمر آية ٦٩
(٣) تفسير البيضاوى ص ٢٨٠
(٤) سورة الاسراء آية ١٥

وصدقه البعض الآخر ، فيهلك المكذبون وينجو المصدقون، وهم لا يظلمون في ذلك القضاء فلا يعذبون بغير ذنب ، ولا يؤاخذون بغير حجة ومنه قوله تعالى : " وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ". وقوله : " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ".(١) والمراد المبالغة في اظهار العدل والنصفة بين العباد)(٢). وهو الذي اراه راجحاً لمناسبته السياق ثم إنَّ الأمة في الغالب لا تكفر بأسرها اذ قد يوجد فيها من يصدق الرسول ويؤمن به ولو واحدا أو اثنين فضلاً عن الكثير. قال الشنقيطي في كتابه أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن في تفسير هذه الآية : (أوضح الله تعالى معنى هذه الآية الكريمة في سورة الزمر بقوله : " وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ . ")(٣) وقال في تفسير قوله تعالى : " وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ".(٤) قال : (ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يوم القيامة يبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم، يشهد عليهم بما أجابوا به رسولهم، وأنه يأتي نبينا صلى الله عليه وسلم شاهداً علينا) . وبيَّن هذا المعنى في غير هذا الموضع كقوله : " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيداً " وكقوله " فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ".(٥) الى غير ذلك من الآيات)(٦).

---

(١) سورة النساء آية ٤١

(٢) (٣) أضواء البيان ٢/٤٨٩

(٤) سورة النحل آية ٨٩

(٥) سورة الاعراف آية ٦

(٦) أضواء البيان ٣/٣٣٥

ومن تفسير البيضاوى القرآن بالقرآن قوله تعالى : (" فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ." (١) مثل قوله : " إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ..." (٢) و " كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ." (٣) وأصله مخلف رسله وعده فتقدم المفعول الثانى ايذاناً بأنه لا يخلف الوعد أصلاً لقوله : " إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ." (٤) واذا لم يخلف وعده أحداً فكيف يخلف رسله . (٥))

وفسر الآية ابن جزى الكلبى فقال : (" فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ " . يعنى وعد النصر على الكفار، فإنْ قيل: هَلَّا قال مخلف رسله وعده ، وَلِمَ قَدَّم المفعولَ الثانى على الأول ؟ فالجوابُ أنه قدم الوعد ليعلم أَنَّه لا يخلف الوعد أصلاً على الاطلاق، ثم قال رسله ليعلم أنه إذا لم يخلف وعده أحدا من الناس ، فكيف يخلف وعد رسله وخيرة خلقه فقدم الوعد أولاً بقصد الاطلاق ، ثم ذكر الرسل لقصد التخصيص . (٦))

وقال العكبرى فى التبيان : (قوله مخلف وعده رسله . الرسل مفعول أول، والوعد مفعول ثانى، واضافه مخلف الى الوعد اتساع، والأصل مخلف رسله وعده ، ولكن ساغ ذلك لما كان كل واحد منهما مفعولاً وهو قريب من قولهم

يا سارق الليلة أهل الدار (٧) . (٨))

---

(١) سورة ابراهيم آية ٤٧

(٢) سورة غافر آية ٥١

(٣) سورة المجادله آية ٢١

(٤) سورة آل عمران آية ٩

(٥) تفسير البيضاوى ص ٣٤٣

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/ ٢٦١ ، ٢٦٢

(٧) البيت من شواهد سيبويه والقائل أبو داود الآيادى أو عدى بن زيد . هكذا فى حاشية التبيان فى اعراب القرآن .

(٨) التبيان فى اعراب القرآن ٢/ ٧٧٤

وقال الشوكاني مخلف منتصبٌ على أنه مفعول تحسبن وانتصاب رسله على أنه مفعول وعده، قيل وذلك على الاتساع والمعنى مخلف رسله وعده قال القنبي هو من المقدم الذي يوضحه التأخير والمؤخر الذي يوضحه التقديم، وسواء في ذلك مخلف وعده رسله ومخلف رسله وعده، ومثل ما في الآية قول الشاعر:

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه

وسائره باد الى الشمس أجمع)(١)

تبين من ذلك أنَّ التأويلات كلها متقاربه في المعنى وقول الجمهور اضافة مخلف الى الوعد من اضافة اسم الفاعل الى المفعول الثاني، كقولهم هذا معطى درهم زيداً . أورد ذلك الألوسي(٢) في تفسيره للآية وهو حسن .

واستشهاد البيضاوي بالآيات " انا لننصر رسلنا " و " كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ." و " إنَّ الله لا يخلف الميعاد ." أخذه من الزمخشري الذي تعقبه ابن المنير(٣) . بأن الفعل إذا تقيد بمفعول انقطع احتمال اطلاقه . وهو هنا كذلك .

والذي أراه راجحاً قول الجمهور من المفسرين والنحاة وهو اضافة مخلف إلى الوعد من إضافة اسم الفاعل إلى المفعول والفعل أخلف لما كان يتعدى الى اثنين جازت اضافته إلى كل منهما فينصب ما تأخر ، وكذلك تعدى الفعل إلى مفعولين ينفى عنه التقييد وإذا انتفى عنه التقييد جاز له الاطلاق .

---

(١) فتح القدير ٣/١١٨

(٢) روح المعاني ١٣/٢٥٣

(٣) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ٢/٣٨٤ .

ومن تفسير البيضاوى للقرآن بالقرآن أن الآيات اذا ذكر المعنى فيها مجملاً يذكر الآيات التى ذكر المعنى فيها مفصلاً .

مثال ذلك ما ورد فى تفسير قوله تعالى : " وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأنهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيراً (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ والملائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِى السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ . قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً ".(١)

قال البينضاوى : (هل كنت إلاَّ بشراً كسائر البشر، رسولاً كسائر الرسل ، وكانوا لا يأتون قومهم إلاَّ بما يظهره الله عليهم على مايلائم حال قومهم ، ولم يكن أمر الآيات إليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله حتى يتخيرونها علىّ . هذا هو الجوابُ المجمل ، وأما التفصيل فقد ذكره فى آيات أخر كقوله : " وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيكَ كِتَاباً فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ."(٢) وقوله تعالى : " وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَومٌ مَّسحُورُونَ ."(٣) (٤))

فهذه الآيات تبينُ ما أُجمل فى سورة الاسراء ، أنَّ الله تعالى إذا أجاب طلبهم لما آمنوا . ولتعللوا بعلل أخرى كقولهم نحن قوم مسحورون . وكقولهم سكِّرت أبصارنا ، وكقولهم هذا سحر مبين . هكذا يفسر البيضاوى القرآن بالقرآن فيستشهد بالآيات ويبين بها المجمل ، ويستدل بها الى ما ذهب اليه ، ويوضح المعنى وغير ذلك فالقرآن مصدر من مصادر البيضاوى فى التفسير .

(١) سورة الاسراء الآيات من ٩٠ -٩٣
(٢) سورة الأنعام آية ٧
(٣) سورة الحجر آية ١٤ ، ١٥
(٤) تفسير البيضاوى ص ٣٨٣

مصادره من السنة

من مصادر البيضاوى فى تفسيره السنة النبوية ، فكان يورد الأحاديث صحيحها ، وحسنها ، ومعلولها ، وضعيفها . ويستشهد بها فى تفسيره للآيات . وعلى الرغم من أن تفسيره لا يعدُّ تفسيراً بالمأثور ، ولكنه يورد الأحاديث لأغراض فى التفسير . منها أنه يورد الحديث لبيان ما تدل عليه الآية . مثال ذلك فى تفسير قوله تعالى : " حَافِظُوا عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (١) ." قال البيضاوى : (هى صلاة العصر لقوله عليه الصلاة والسلام يوم الأحزاب: " شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم ناراً (٢) .") (٣)

والصلاة الوسطى التى خصها الله فى هذه الآية ، اختلف فيها السلف والخلف لاختلاف الأدلة الواردة فيها ، فقيل هى صلاة الفجر ، وقيل الظهر ، وقيل العصر ، وقيل المغرب ، وقيل العشاء . أورد ذلك الخلاف ابن كثير فى تفسيره وذكر أدلة كل فريق فقال : (قيل: إنَّها الصبح حكاه مالك فى الموطأ (٤) بلاغاً عن على وابن عباس .)

وقال هشيم وابن عليه وغندر وابن أبى عدى وعبد الوهاب وشريك وغيرهم عن عوف الإعرابى عن أبى رجاء العطاردى قال : صليت خلف ابن عباس الفجر فقنت فيها

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣٨

(٢) أخرجه البخارى كتاب التفسير ، صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٩/ ٢٦١
وأخرجه مسلم كتاب الصلاة صحيح مسلم بشرح النووى ٥/ ١٢٧

(٣) تفسير البيضاوى ص ٥٤

(٤) موطأ مالك شرح تنوير الحوالك باب الصلاة الوسطى ١/ ١٥٨

ورفع يديه ثم قال : هذه الصلاة الوسطى التى أمرنا أن نقوم فيها قانتين . رواه ابن جرير (١) . ورواه أيضا من حديث عوف عن خلاس بن عمرو عن ابن عباس مثله سواء . وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار . حدثنا عبد الوهاب . حدثنا عوف عن أبى المنهال عن أبى العالية عن ابن عباس أنه صلى الغداة فى مسجد البصرة فقنت قبل الركوع وقال : هذه الصلاة الوسطى التى ذكرها الله فى كتابه فقال : " حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين (٢) ." وقال أيضاً حدثنا محمد بن عيسى الدامغانى أخبرنا ابن المبارك . أخبرنا الربيع ابن أنس عن أبى العالية قال : صليت خلف عبد الله بن قيس بالبصرة صلاة الغداة ، فقلت لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جانبى : ما الصلاة الوسطى ؟ قال : هذه الصلاة (٣) . وروى من طريق آخر عن الربيع عن أبى العالية أنه صلى مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة ، فلما فرغوا قال : قلت لهم : أيتهن الصلاة الوسطى ؟

قالوا : التى قد صليتها قبل (٤) . وقال أيضاً حدثنا ابن بشار . حدثنا ابن عثمة عن سعيد بن بشير عن قتادة عن جابر بن عبد الله قال : الصلاة الوسطى صلاة الصبح (٥) . وحكاه إبن أبى حاتم عن ابن عمر وأبى أمامة وأنس وأبى العالية وعبيد بن عمير وعطاء ومجاهد وجابر بن زيد وعكرمة والربيع بن أنس ، ورواه إبن جرير عن عبد الله بن شداد بن الهاد أيضاً ، وهو الذى نَصَّ عليه الشافعيُّ رحمه الله محتجاً بقوله " وقُوموا للّهِ قانتين " والقنوت عنده فى صلاة الصُّبح .

(١ ، ٢ ، ٣) تفسير الطبرى ٥/٢١٦ ، ٢١٧ ، أشار اليها الحافظ فى الفتح ٨/١٤٦ رجالها ثقات .

(٤ ، ٥) الأول أخرجه ابن جرير ٥/٢١٨ ، وأخرجه عبد الرزاق فى المصنف ١/١٨٣ ، والثانى أخرجه ابن جرير ٥/٢١٩ .

وقيل انها صلاة الظهر . قال أبو داود الطيالسي في مسنده .

حدثنا ابن أبي ذئب عن الزبرقان يعني ابن عمرو عن زهرة يعني ابن معبد قال : كنا جلوساً عند زيد بن ثابت فأرسلوا إلى أسامة فسألوه عن الصلاة الوسطى فقال هي الظهر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليهــــا بالهجير (١).

وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر . حدثنا شعبة . حدثني عمرو بن أبي حكيم . سمعت الزبرقان يحدّث عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابــت قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكــن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت " حافظـوا على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين (٢) ." وقال أبو داود الطيالسي وغيره عن شعبة . أخبرني عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب قال سمعت عبد الرحمن ابن أبان بن عثمان يحدث عن أبيه عن زيد بن ثابت قال : الصلاة الوسطى هي الظهر (٣). ورواه ابن جرير عن زكريا بن يحيى بن أبي زائدة عن عبد الصمد عن شعبة عن عمر بن سليمان عن زيد بن ثابت في حديث رفعه قال : (الصلاة الوسطى صلاة الظهر (٤)، وممن روى عنه انّها الظهر ابن عمر وأبو سعيد

---

(١) رواة أحمد ٥/٢٠٦، وأبو داود كتاب الصلاة ١/١١٢، وابن جريره ٥/٢٠٧ وذكره البخاري في التاريخ الكبير ٢، ١/٣٩٦-٣٩٧ عن ابي داود الطيالسي وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله موثوقون الا أن الزبرقان لم يسمع من أسامة ابن زيد ولا من زيد بن ثابت ١/٣٠٨، ٣٠٩

(٢) رواه أحمد ٥/١٨٣، وأبو داود ١/١١٢، ورواه البخاري في الكبير ترجمه الزبرقان .

(٣) ورواه مالك في الموطأ عن داود بن الحصيني عن ابن يربوع المخزومي ١/١٥٨ وابن جرير ٥/٢٠٠ وأخرجه أحمد في المسند ٥/١٨٣ والطحاوي في معاني الآثار ١/١٦٧، ١٦٨ قال الطحاوي هذا الخبر لزيد لم يروه عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) تفسير الطبري ٥/٢٠٠، مسند أحمد ٥/١٨٣.

وعائشة على اختلاف عنهم . وهو قول عروة بن الزبير وعبد الله بن شداد بن الهاد ورواية عن أبي حنيفة رحمهم الله .

وقيل: إنَّها صلاة العصر . قال الترمذى والبغوى رحمهما الله . وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم، وقال القاضى الماوردى هو قول جمهور التابعين . وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: هو قول أكثر أهل الأثر . وقال أبو محمد بن عطية فى تفسيره: وهو قول جمهور الناس وقال الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى فى كتابه المسمى بكشف الغطاء فى تبيين الصلاة الوسطى: وقد نص فيه أنها العصر وحكاه عن عمر وعلى وابن مسعود وأبى أيوب وعبد الله بن عمرو وسمرة ابن جندب وأبى هريرة وأبى سعيد وحفصه وأم حبيبة وأم سلمة وعن ابن عمر وابن عباس وعائشة على الصحيح عنهم وبه قال عبيدة وابراهيم النخعى ورزين، وزر بن حبيش وسعيد بن جبير . وابن سيرين والحسن وقتادة والضحاك والكلبى ومقاتل وعبيد بن مريم وغيرهم، وهو مذهب أحمد بن حنبل . قال القاضى الماوردى والشافعى قال ابن المنذر: وهو الصحيح عن أبى حنيفة وأبى يوسف ومحمد واختاره ابن حبيب المالكى رحمهم الله .

وقيل: إنَّها صلاة المغرب رواه ابن ابى حاتم عن ابى عباس وفى اسناده نظر، فانه رواه عن أبيه عن أبى المجاهر عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبى الخليل عن عمه عن ابن عباس قال : صلاة الوسطى المغرب، وحكى هذا القول ابن جرير عن قبيصة بن ذؤيب، وحكى أيضاً عن قتادة على اختلاف عنه ووجَّه هذا القول بعضهم بأنها وسطى فى العدد بين الرباعية والثنائية وبأنَّها وتر المفروضات وبما جاء فيها من الفضيلة .

وقيل: إنَّها العشاء الأخيرة اختاره على بن أحمد الواحدى فى تفسيره المشهور .

وقيل: هى واحدة من الخمس لا بعينها وأبهمت فيهن كما أبهمت ليلة القدر فى الحول أو الشهر أو العشر . ويحكى هذا القول عن سعيد بن المسيب وشريح القاضى، ونافع مولى ابن عمر، والربيع بن خيثم، ونقل أيضاً عن زيد ابن ثابت واختاره امام الحرمين الجوينى .)[١]

هكذا ثبت الخلاف فى الصلاة الوسطى لاختلاف الأدلة. والقول الذى أراه راجحاً هو قول البيضاوى ومذهب الامام أحمد من أَنَّ الصلاة الوسطى هى صلاة العصر وذلك لصحة الأحاديث الواردة فى أن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر . والأحاديث التى وردت مع صحتها كانت نَصّاً فى ذلك . منها ما أورده البيضاوى وهو الذى ذكرناه " شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قلوبهم وبيوتهم ناراً ." وكذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : " صلاة الوسطى صلاة العصر ."[٢]

وقد رواه الترمذى وقال حسنٌ صحيحٌ وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة فى الصحيحين وغيرها مما يطول ذكرها . هذا بالاضافة الى قول جمهور الصحابة والتابعين المذكورين آنفاً .

ومن مصادر البيضاوى من السنة النبوية أنه يورد الحديث لتسهيل فهم الآية وتوضيح معناها . مثال ذلك ما جاء فى قوله تعالى فى شأن مريم : " وِإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ."[٣]

قال البيضاوى : " أجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود، وأصل الرجم الرمى بالحجارة . وعن النبى صلى الله عليه وسلم : ما من

---

(١) تفسير ابن كثير بتصرف ١/ ٢٩٠ - ٢٩٤

(٢) سنن الترمذى أبواب الصلاة ١/ ٢٩٣ ، ٢٩٤

(٣) سورة آل عمران آية ٣٦ .

مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها."(١) معناه أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود بحيث يتأثر منه إلا مريم وابنها فإن الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة.)(٢)

وكذلك في تفسير قوله تعالى : " وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ." (٣)

قال: المعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به لزوم الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيامة ."(٤))(٥)

ومنها أنه يورد الحديث ليعضد به حجته ويؤيد ما ذهب إليه من قوله ويرد به على من خالفه مثال ذلك في تفسير قوله تعالى :

" وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ."(٦) قال البيضاوي :

---

(١) أخرجه البخاري من طريق أبي هريرة كتاب التفسير صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٢٧٩/٩

(٢) تفسير البيضاوي ص ٧٢

(٣) سورة آل عمران آية ١٨٠

(٤) أخرجه مسلم في حديث طويل جاء فيه ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه الا جاء كنزه يوم القيامة شجاعا أقرع انظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب اثم مانع الزكاة ٧٠/٧

وأخرجه البخاري في كتاب التفسير قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا أقرع له زبيبتان يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ، يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية .

(٥) تفسير البيضاوي ص ٩٨ .

(٦) سورة البقرة آية ٢٢٨ .

وقروء جمع قرء ، وهو يطلق للحيض كقوله عليه الصلاة والسلام : " دعى الصلاة أيام أقرائك ."(١) وللطهر الفاصل بين الحيضتين كقول الأعشى :

مورثة مالاً وفى الحى رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وأصله الانتقال من الطهر إلى الحيض وهو المراد به فى الآية لأنه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية ـ لقوله تعالى " فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ."(٢) أى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض وأما قوله عليه السلام : " طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان "(٣) فلا يقاوم ما رواه الشيخان فى قصة ابن عمر ـ "مُرْهُ فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إنْ شاء أمسك بعد وإنْ شاء طلق قبل أن يمس فتلك

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب الطهارة بروايات مختلفه واعترض فيها على رواية قتادة عن عروة بن الزبيد وقال لم يسمع قتادة عن عروة شيئًا . ورواه الترمذى برواية فاطمة بنت ابى حبيش وقال فيه حديث حسن صحيح . سنن الترمذى أبواب الطهارة . ورواه ابى ماجة برواية فاطمة أيضا فى كتاب الطهارة . وكذلك النسائى والدارمى عن عائشة فى باب الطهارة .

(٢) سورة الطلاق آية ١

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب الطلاق وقال هو حديث مجهول ، سنن ابى داود بشرح عون المعبود الحديث ٢١٧٥ . وأخرجه الترمذى فى باب الطلاق وقال حديث عائشه حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من حديث مظاهر بن أسلم ومظاهر لا نعرف له فى العلم غير هذا الحديث والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم وهو قول سفيان الثورى والشافعى وأحمد واسحاق

العدة التى أمر الله أن تطلق لها النساء .") (١) وقال القرطبى (٢) :

(واختلف العلماء فى الاقراء : فقال أهل الكوفة هى الحيض، وهو قول عمر وعلى وابن مسعود وابى موسى ومجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة والسدى. وقال أهل الحجاز هى الاطهار ، وهو قول عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت والزهرى وأبان ابن عثمان والشافعى .) (٣)

والقول الذى أراه راجحاً أَنَّ القرء هو الانتقال من الطهر الى الحيض كما قال البيضاوى ومن وافقه . ويمكن أن يذكر فى ذلك سِرٌّ لا يبعد فهمه من دقائق حكم الشريعة ، وهو أَنَّ الانتقال من الطهر إلى الحيض انما جعل قرءاً لدلالته على براءة الرحم ، فإنَّ الحامل لا تحيض فى الغالب، فبحيضها علم براءة رحمها . والانتقال من حيض الى طهر بخلافه ، فان الحائض يجوز أن تحبل فى أعقاب حيضها ، وإذا تمادى أمد الحامل وقوى الولد انقطع دمها ، ولذلك تمدح العرب بحمل نسائها فى حالة الطهر . وهذا نظرٌ دقيق فى غاية الاتجاه لمذهب الشافعى. (٤)

وقد يأتى البيضاوى بالحديث لبيان مالا يعلم إلاّ من النقل وليس للعقل ولا للرأى فيه مجال وذلك على ضربين أحدهما الاخبار عن قصة فى

---

(١) أخرجه البخارى كتاب الطلاق باب مراجعة الحائض ، وباب اذا طلقت الحائض تعتد بذلك الطلاق ـ صحيح البخارى بشرح فتح البارىء ٩/٣٤٥ - ٣٥١ وأخرجه مسلم كتاب الطلاق باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها واللفظ لمسلم صحيح مسلم بشرح النووى ١٠/٦٠

(٢) تفسير البيضاوى ص٦٠

(٣) تفسير القرطبى ٩٢١/١

(٤) المرجع السابق .

العصور السابقة حدثت فى زمان نبى من الأنبياء فيأتى الأثر مبيناً لهـــا وما وقع فيها من أحداث . والثانى الاخبار عن مشهد من مشاهد القيامة وما سيحدث فى اليوم الآخر من العرض والحساب ، ومثال الأول ما جاء فـــى قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح فى قوله تعالى : " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَـا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً (٦٤) فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْـــداً (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً . . . الآيات " (١) .

قال البيضاوى : (روى أن موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبـط ودخوله مصر خطبة بليغة فأعجب بها فقيل له : هل تعلم أحداً أعلم منـك ؟ قال : لا ، فأوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر فى أيام افريدون وكان على مقدمه ذى القرنين وبقى الى أيام موسى . وقيل إنَّ موسى عليه السلام سأل ربه : أى عبادك أحب اليك ؟ قال : الذى يذكرنى ولا ينسانى . قال : فأى عبادك أقضى اليك ؟ قال الذى يقضى بالحـــق ولا يتبع الهوى . قال : فأى عبادك أعلم ؟ قال الذى يبتغى علم النـاس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى . فقال : ان من عبادك أعلم منى فأدللنى عليه قال أعلم منك الخضر . قال : أين أطلبه ؟

---

(١) سورة الكهف الآيات من ٦٠ الى ٦٦

قال : على الساحل عند الصخرة . قال : كيف لى به ؟ قال : أن تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك . فقال لفتاه : إذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان . فلما بلغا مجمع بين البحرين نسى موسى أن يطلب الحوت ونسى يوشع (وهو فتاه) أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه فى البحر . إذ روى أن موسى رقد فاضطرب الحوت المشوى، ووثب فى البحر معجزة لموسى أو الخضر، فلما جاوزا مجمع البحرين وسارا الليلة والغد إلى الظهر، ألقى عليه الجوع والنصب. قال : أرأيت ما دهانا اذ أوينا إلى الصخرة، يعنى الصخرة التى رقد عندها موسى وقيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت، فقد أنسيت ذكر الحوت بما رأيت منه وما أنسانى ذكره الا الشيطان . قال ذلك ما كنا نطلب لأنه أمارة المطلوب، فرجعا فى الطريق الذى جاءا فيه مقتصين حتى آتيا الصخرة فوجدا العبد الصالح، والجمهور على أنه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل: اليسع، وقيل: الياس، فكان من شأنهما الذى قص الله عز وجل فى كتابه .» (١) (٢)

ومثال الثانى ما جاء فى قوله تعالى : « يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا .» (٣)

قال البيضاوى : (جماعات من القبور إلى المحشر . روى أنه عليه السلام سُئِلَ عنه فقال : « تُحشر عشرة أصناف من أمتى بعضهم على صورة قردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون يسحبون على وجوههم ،

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب العلم ، باب ما ذكر فى ذهاب موسى صلى الله عليه وسلم فى البحر الى الخضر ١/١٦٧ وأخرجه مسلم فى كتاب الفضائل باب فضائل زكريا والخضر ١٥/١٣٥ . وأخرجه أحمد فى مسند الانصار حديث عبد الله بن عباس عن ابى بن كعب .

(٢) تفسير البيضاوى بتصرف ص ٣٩٦

(٣) سورة عم الآية ١٨ .

وبعضهم عمى ، وبعضهم صم بكم ، وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع ، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم ، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار ، وبعضهم أشد نتناً من الجيف، وبعضهم ملبسون جلبابا سابقة من قطران لازقة بجلودهم ، ثم فسرهم بالقتّات ، وأهل السحت وآكلة الربا، والجائرين فى الحكم والمعجبين بأعمالهم، والعلماء الذين خالف قولهم فعلهم ، والمؤذين جيرانهم ، والساعين بالناس إلى السلطان ، والتابعين للشهوات والمانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء ." (1) (2)

ومنها أنَّه يذكر الحديث لتبيين سبب نزول الآية ، ومثال ذلك فى سبب نزول قوله تعالى : " وأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكرَى لِلذَّاكِرِينَ ." (3) قال البيضاوى :

(وفى سبب النزول أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : انى قد أصبت من امرأة غير أنى لم آتها فنزلت ." (4)) (5)

وحديث البخارى عن مسعود رضى الله عنه : " أن رجلا أصاب من امرأة قبلة ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فأنزلت عليه

---

(1) ذكره السيوطى فى الدر المنثور وقال : أخرجه ابن مردويه عن البراء ابن عازب عن معاذ بن جبل .

(2) تفسير البيضاوى ص ٧٨٠

(3) سورة هود آية ١١٤

(4) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير ٨/ ٣٥٥ ومسلم فى كتاب التوبه ١٧/ ٨١ وأخرجه أحمد فى مسند عبد الله بن مسعود ١/ ٣٦٠

(5) تفسير البيضاوى ص ٢٥٩ .

" وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ." قال الرجل: إليّ هذه ؟ قال: لمن عمل بها من أمتي ." (١)

ومن روايات مسلم : " عن أنس قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أصبت حدًّا فأقمه عليّ قال: وحضرت الصلاة، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قضى الصلاة، قال: يا رسول الله : إنّي أصبت حدًّا فأقم فيّ كتاب الله . قال: هل حضرت الصلاة معنا ؟ قال نعم ، قال قد غُفِرَ لك ." (٢)

والشاهد في سبب النزول أَنَّ الرجل عندما ارتكب هذا الإثم فعل معه الحسنة وهي الصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم . فَبُشِّرَ بعد الصلاة بالمغفرة فدلَّ ذلك على أنَّ الصلاة بل وكل حسنة تكفر السيئة ذلك ذكرى للذاكرين .

ومن استدلال البيضاوي بالحديث في تفسيره ، أنه يذكر الحديث للدلالة على فضل السورة ، وهو في ذلك لا يتحرج في ذكر الحديث الضعيف والموضوع، وذلك من المآخذ التي أخذت على البيضاوي وسنذكرها في موضعها إنْ شاء الله تعالى في باب البيضاوي وتفسيره في الميزان .

. . . .

---

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب التفسير ٨/٣٥٥

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب التوبة ١٧/٨١ والحديث المذكور يشير من ظاهره الى أن الصلاة تسقط الحدود ولكن الحقيقية أن الصحابي رضي الله عنه ظن أن الذي ارتكبه يوجب الحد في حين أن الذي ارتكبه صغيرة تكفرها الصلاة كما بيّن له النبي صلى الله عليه وسلم

مصـــادره من أقوال الصحابة والتابعـــين

جعل البيضاوى من أقوال الصحابة والتابعين مصدراً من مصادر تفسيره فعندما يفسر الآية ويبين رأيه فيها ، يدعّم ما قاله بقول بعض الصحابـــة أو التابعين توضيحاً للمعنى أو تعضيداً لما قال ، ونذكر من ذلك على سـبيل المثال لا الحصر فى تفسير قوله تعالى : " يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيرَ الأَرضِ وَالسَّمواتُ وبَرَزُوا لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ ." (١)

قال البيضاوى : (والتبديل يكون فى الذات ، كقولك : بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله : " بَدَّلنَاهُمْ جُلُوداً غَيرَهَا ." (٢) وفى الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتماً،إذا أذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله : " يُبَدِّلُ اَللَّهُ سَيِّئَاتِهِم حَسنَاتٍ" . (٣) والآية تحتملها ،فعن على رضى الله تعالى عنه : " تبدل أرضاً من فضـــة وسموات من ذهب ." (٤) وعن ابن مسعود وأنس رضى الله تعالى عنهما : " يحشـر الناس على أرض بيضاء لم يخطىء عليها أحد خطيئة ." (٥)) (٦)

وفى تفسير قوله تعالى : " فَسُبْحَانَ اَللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمدُ فِى السَّمواتِ وَالأَرضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨)" . (٧)

---

(١) سورة ابراهيم آية ٤٨

(٢) سورة النساء آية ٥٦

(٣) سورة الفرقان آية ٧٠

(٤) أخرجه ابن جرير ١٢/ ٢٥١

(٥) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد وقال : أخرجه الطبرانى فى الأوسط والكبير وفيه جرير بن أيوب البجلى وهو متروك ، ورواه فى الكبير موقوفا على عبد الله واسناده جيد مجمع الزوائد ٧/ ٤٥

(٦) تفسير البيضاوى ص ٣٤٣

(٧) سورة الروم آية ١٧ ، ١٨ .

قال البيضاوى : (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، أن الآية جامعة للصلوات الخمس ، تمسون صلاة المغرب والعشاء ، وتصبحون صلاة الفجر ، وعشياً صلاة العصر ، وتظهرون صلاة الظهر[1] .)[2]

ومن مصادر البيضاوى من أقوال الصحابة والتابعين ما ذكره فى آية الوصية عند قوله تعالى : " كُتِبَ عَلَيكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ[3] ."

قال البيضاوى : (إن ترك خيراً أى مالاً . وقيل مالاً كثيراً لما روى عن على رضى الله تعالى عنه أن مولى له أراد أن يوصى وله سبعمائة درهم فمنعه وقال : قال الله تعالى ان ترك خيراً والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رجلاً أراد أن يوصى فسألته كم مالك ؟ فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عيالك ؟ قال أربعة . قالت إنَّما قال الله تعالى ان ترك خيراً وان هذا لشىء يسير فاتركه لعيالك - إلى أن قال - وكان هذا الحكم فى بدء الاسلام فنسخ بآية المواريث إنَّ الله أعطى كل ذى حق حقه ألا لا وصية لوارث وفيه نظر لأن آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث أنها تدل على تقديم الوصية مطلقاً والحديث من الآحاد ، وتلقى الآمه له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ، ولعلَّه احترزعنه من فسر الوصية بما أوصى به الله من توريث الوالدين والأقربين بقوله يوصيكم الله . أو بإيصاء المحتضر لهم بتوفير ما أوصى به الله عليهم[4] .)

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢٩ والحاكم فى كتاب التفسير وقال : حديث صحيح ولم يخرجاه . المستدرك ٢/ ٤١٠ ، ٤١١

(٢) تفسير البيضاوى ٥٨٣

(٣) سورة البقرة آية ١٨٠

(٤) تفسير البيضاوى ص ٥٢

فسر البيضاوى الخير بالمال من غير أن يعزو ما قال . وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى والضحاك وعطاء،ذكرهم ابن جرير في تفسيره فقال : " حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد بن صالح عن معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله "إِنْ تَرَكَ خَيْرًا " يعنى مالا ".(١)

وقال عن مجاهد : " حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله الله : "إِنْ تَرَكَ خَيْرًا " ، مالا "(٢) وقال أيضاً : " حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل عن أبى نجيح عن مجاهد : "إِنْ تَرَكَ خَيْرًا " كان يقول الخير فى القرآن كله المال "لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ"(٣) " الخير المال ، " أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ".(٤) المال ، و "فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا"(٥) المال ، و "إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ " المال ".(٦)

وقال عن قتادة : " حدثنا بشر بن معاذ قال ،حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد عن قتادة : " إِنْ تَرَكَ خيرًا الوصّية ." أى مالاً ".(٧)

وقال عن السدى : " حدثنى موسى بن هارون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط عن السدى : "إِنْ ترك خيرًا الوصية " أما الخير

---

(١) تفسير الطبرى ٣/٣٩٣
(٢) المرجع السابق
(٣) سورة العاديات آية ٨
(٤) سورة ص آية ٣٢
(٥) سورة النور آية ٣٣
(٦) تفسير الطبرى ٣/٣٩٣
(٧) المرجع السابق .

فالمال ." (١)

وقال عن الضحاك : " حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك عن الحسن بن يحيى ، عن الضحاك فى قوله : "إنْ ترك خيراً الوصية" قال المال . ألا ترى أنه يقول : قال شعيب لقومه "إنِّى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ" (٢) يعنى الغنى ." (٣)

وقال عن عطاء : " حدثنى يونس ، قال أخبرنا بن وهب قال ، أخبرنا محمد بن عمرو اليافعى ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن ابى رباح ، تلا " كُتِبَ عَلَيكُمْ إذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إنْ تَرَكَ خَيْرًا . " قال عطاء : الخير فيما يُرى المال". (٤)

وأَمَّا قدر المال وكميته فقد فسره البيضاوى بالمال الكثير، وأورد أثراً عن على رضى الله تعالى عنه ومَنْعُهُ مولاه من الوصية، وقد كان لمولاه سبعمائة درهم . وأثراً آخر عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها منعت رجلاً من الوصية وله ثلاثة آلاف درهم .

والأثر الأول أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه فقال : " عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه قال : دخل عَلَى عليٍّ مولى لهم فى الموت فقال : يا على ! ألا أوصى ؟ فقال على : لا ، إنَّما قال الله تبارك وتعالى : " إن تَرَكَ خَيْرًا " وليس له كثير مال . قال : وكان له سبعمائة درهم ." (٥)

وأخرجه البيهقى فى السنن بمعناه فقال : " أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو زكريا العنبرى ، حدثنا محمد بن عبد السلام ، حدثنا اسحاق بن ابراهيم ،

(١) تفسير الطبرى ٣/٣٩٤
(٢) سورة هود آية ٨٤
(٣) تفسير الطبرى ٣/٣٩٤
(٤) المرجع السابق
(٥) مصنف عبد الرزاق كتاب الوصايا باب الرجل يوصى وله مال قليل ٩/٦٢

حدثنا أبو خالد الأحمر ،عن هشام بن عروة عن أبيه أنَّ عليّاً رضى الله عنه ، دخل على رجل من بنى هاشم وهو مريض يعوده فأراد أنْ يوصى فنهاه وقال : إنَّ الله تبارك وتعالى يقول "إنْ ترك خيراً" مالا فدع مالك لورثتك." (١)
ورواه أيضا ابن جرير عن عبد الرزاق من طريق الحسن بن يحيى. (٢)

وأما الأثر الذى ورد عن عائشة رضى الله عنها فقد أخرجه البيهقى فى السنن فقال :" أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أخبرنا أبو منصور ، حدثنا أحمد ، حدثنا سعيد ، حدثنا أبو معاوية عن محمد بن شريك المكى عن ابن أبى ملكية عن عائشة قالت : قال لها رجل إنّى أريد أَنْ أوصى ، قالت كم مالك ؟ قال ثلاثة آلاف . قالت كم عيالك ؟ قال أربعة . فقالت : قال الله سبحانه : " إنْ ترك خيراً " وان هذا لشىء يسير فاتركه لعيالك فهو أفضل ." (٣)

وأخرجه عبد الرزاق بمعناه فقال : " أخبرنا الثورى عن منصور بن صفية قال : حدثنا عبد الله بن عبيد بن عمير ، أن عائشة سألت عن رجل مات وله أربعمائة دينار وله عدةٌ من الولد ، فقالت عائشة ما فى هذا فضل عن ولده ." (٤)

وأخرجه ابن جرير بمعناه أيضا فقال : " حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن عبد الله بن عيينة - أو عتبة الشك منى - أَنَّ رجلاً أراد أن يوصى وله ولد كثير ، وترك أربعمائة دينار ، فقالت عائشة : ما أرى فيه فضلاً ." (٥)

---

(١) السنن الكبرى للبيهقى كتاب الوصايا ٦ / ٢٧٠
(٢) تفسير الطبرى ٣ / ٣٩٥
(٣) السنن الكبرى للبيهقى كتاب الوصايا ٦ / ٢٧٠
(٤) مصنف عبد الرزاق كتاب الوصايا ٩ / ٦٣
(٥) تفسير الطبرى ٣ / ٣٩٥

وأمّا القول بنسخ الآية بانزال الفرائض والمواريث فمأخوذٌ عن ابن عباس وابن عمر وعكرمة وابن سيرين والحسن البصرى وشريح وقتادة ومجاهد والسدى وغيرهم ، أورد ذلك ابن جرير فقال : عن ابن عباس : " حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه عن ابن عباس قوله : " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ . " ، نسخت الفرائض التى للوالدين والأقربين الوصية ." (١)

وقال عن ابن عمر : " حدثنى محمد بن بشار قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال : حدثنا سفيان ، عن جهضم ، عن عبد الله بن بدر قال : سمعت بن عمر يقول فى قوله : " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الوصية للوالدين والأقربين " قال : نسختها آية الميراث . قال ابن بشار : قال عبد الرحمن : فسألت هضماً عنه فلم يحفظه ." (٢)

وقال عن عكرمة والحسن البصرى : " حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوى عن عكرمة والحسن البصرى قالا : " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الوصية للوالدين والأقربين " فكانت الوصية كذلك حتى نسختها آية الميراث ." (٣)

وقال عن قتادة : " حدثنا أحمد بن المقدام قال : حدثنا المعتمر قال سمعت أبى قال : زعم قتادة عن شريح فى هذه الآية " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الوصية للوالدين والأقربين " قال كان الرجل يوصى بماله كله حتى نزلت آية الميراث ." (٤)

(١، ٢، ٣، ٤) تفسير الطبرى ٣٦١/٣

وأما حديث إنَّ الله أعطى كل ذى حق حقه ألا لا وصية لوارث، فهو حديث صحيح أخرجه البخارى وأصحاب السنن وأما اعتراض البيضاوى على نسخ الحديث للآية فسيأتى الكلام فيه فى علوم القرآن فى تفسيره إن شاء الله تعالى .

هكذا تنوعت أساليب البيضاوى فى ايراد أقوال الصحابة والتابعين، فمرة يفصح عن ذكر أسمائهم ومرة يذكر أقوالهم من غير ذكر أسماء، ومرة يتبنى أقوالهم . والذى أوردناه نذر يسير يبين الشاهد من جعل البيضاوى من أقوال الصحابة والتابعين مصدراً من مصادره فى التفسير .

. . . .

مصادره من كتب التفسير

تأثر البيضاوى ببعض المفسرين ونقل عنهم فى تفسيره ، فنقل عن الزمخشرى ، والفخر الرازى ، والراغب الأصفهانى فى تفسيره للقرآن . ومن أهم كتب التفسير التى نقل عنها تفسير الزمخشرى المسمى بالكشاف بل هو مختصر منه ولذلك يسميه بعض العلماء مختصر الكشاف . ومن أمثلة ذلك ما جاء فى تفسير سورة الفاتحة قال البيضاوى : (الحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى من نعمة أوغيرها ، والمدح هو الثناء على الجميل مطلقاً تقول : حمدت زيداً على علمه وكرمه . ولا تقول حسنه بل مدحته ، وقيل هما أخوان والشكر مقابلة النعمة قولا ، وعملاً ، واعتقاداً . قال :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا .

فهو أعم منهما من وجه وأخص من الآخر . ولما كان الحمد من شعب الشكر أشيع للنعمة وأدل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما فى آداب الجوارح من الاحتمال ، جُعِلَ رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلاة والسلام :

" الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده " (١) . والذم نقيض الحمد، والكفران نقيض الشكر ، ورفعه بالابتداء ، وخبره لله وأصله النصب وقد قرئ . وانما عدل عنه إلى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التى تنصب بأفعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها ، والتعريف فيه للجنس ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد أن الحمد ما هو ، أو للاستغراق إذ الحمد فى الحقيقة كله له إذْ مَا من خيرٍ إلاّ هو موليه بوسط أو بغير وسط

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه فى كتاب الجامع باب شكر الطعام .

كما قال : " وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ." (١) وفيه اشعارٌ بأنه تعالى حى قادر مريد عالم إذ الحمد لا يستحقه إلاّ من كان هذا شأنه ." (٢)

وقال الزمخشرى فى معنى الحمد لله : (الحمد والمدح أُخوان ، وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها ، تقول حمدت الرجل على انعامه ، وحمدته على نسبه وشجاعته . وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال :

أفادتكم النعماء من ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا (٣)

والحمد باللسان وحده ، فهو احدى شعب الشكر، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : " الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده" (٤). وانما جعل رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها، وأدل على مكانتها من الاعتقاد وآداب الجوارح ، لخفاء عمل القلب، وما فى عمل الجوارح من الاحتمال ، بخلاف عمل اللسان ، وهو النطق الذى يفصح عن كل خفى، ويجلى كل مشتبه . والحمد نقيضه الذم ، الشكر نقيضه الكفران . وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذى هو لله، وأصله النصب الذى هو قراءة بعضهم، باضمار فعله على أنه من المصادر التى تنصبها العرب بأفعال مضمرة فى معنى الاخبار ، كقولهم شكرًا وكفراً وعجباً، وما أشبه ذلك . ومنها سبحانك ، ومعاذ الله ينزّلونها منزلة أفعالها ويسدون بها مسدّها، ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة . والعدل بها عن النصب إلى الرفع

---

(١) سورة النحل آية ٥٣

(٢) تفسير البيضاوى ص ٣

(٣) تقدم فى الصفحة السابقة .

(٤) تقدم فى الصفحة السابقة .

على الابتداء ، للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ، ومنه قوله تعالى :
" قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ "(١). رفع السلام للدلالة على أن إبراهيم عليه السلام
حَيَّاهم بتحية أحسن من تحيتهم ، لأنَّ الرفع دل على معنى ثبات السلام لهم دون
تجدده وحدوثه . والمعنى نحمد الله حمداً ، ولذلك قيل : " إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ "(٢) لأنه بيانٌ لحمدهم له كأنه قيل : كيف تحمدونه ؟ فقيل :
اياك نعبد - فإنْ قلتَ ما معنى التعريف ؟ قلت هو نحو التعريف في أرسلها
العراك ،(٣) وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل أحد من أن
الحمد ما هو والعراك ما هو من بين جنس الأفعال ، والاستغراق الذي يتوهمه
كثير من الناس وهم مِنهم).(٤)

هكذا نجد البيضاوي يلخص كلام الزمخشري فيخالفه حينا ويوافقه
أحياناً ، فمثلاً نجده يخالفه في معنى الحمد فقال البيضاوي : هو الثناء على
الجميل الاختياري وقال الزمخشري هو الثناء على الجميل مطلقاً . والشيء المهم
الذي خالفه فيه ، أن التعريف في الحمد يفيد الاستغراق فخالف فيه مذهب
الاعتزال القائل بأن العبد يخلق أفعاله الاختيارية . قال الشريف الجرجاني
في حاشيته على الكشاف : (اختيار الجنس على الاستغراق مبني على طريقة
الاعتزال ، فإنَّ أفعال العباد لما كانت مخلوقة لهم كانت المحامد راجعة
إليهم ، فلا يصح جعل المحامد كلها مختصه به تعالى . وفساده ظاهر ، لأن

---

(١) سورة هود الآية ٦٩

(٢) سورة الفاتحة آية ٥

(٣) هذا طرف من بيت للبيد يقول فيه : فأرسلها العراك ولم يذُدها - ولم يشفق على نغص الدخال أي معتركة يعني الابل يقال أورد إبله العراك اذا أوردها الماء جميعا رفقة .

(٤) الكشاف ١/٤٦ الى ٥٠

اختصاص الجنس به تعالى مستلزم اختصاص أفراده أيضا اذ لو وجد فرد منه لغيره لثبت الجنس له فى ضمنه)[١].

هكذا تحاشا البيضاوى أن يتبع الزمخشرى فى عقيدته الاعتزالية ولكن نجده فى بعض المواضع يتبع الزمخشرى فى أخطاء ومعتقدات لا يجوز اعتقادها وسنذكر ذلك فى موضعه إنْ شاء الله فى ذكر المآخذ التى أخذت على البيضاوى .

وأما من ناحية اللغة فقد ترسم خطى الزمخشرى فى كثير من المعانى ففى تفسير قوله تعالى : " يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "[٢] قال البيضاوى : (استئناف ثالثٌ كأنّه قيل ما يفعلون فى تارتى خفوق البرق وخفيته ؟ فأجيب بذلك وأضاء إمّا متعد والمفعول محذوف بمعنى كلّما ، نوّر لهم ممشى أخذوه . أو لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا فى مطرح نوره . وكذلك أظلم فانه جاء متعدياً منقولاً من ظلم الليل ويشهد له قراء أُظلِمَ على البناء للمفعول . وقول ابن تمام .

هما أظلما حاليّ ثمة أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب

فإنّه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد أَنْ يجعلَ ما يقوله بمنزله ما يرويه . وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام إذا لأنّهم حراص على المشى ، فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ،ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد)[٣] .

---

(١) حاشية الشريف الجرجانى على الكشاف ١/ ٥١ ، ٥٢

(٢) سورة البقرة آية ٢٠

(٣) تفسير البيضاوى ص ١٥

وقال الزمخشري في الآية : (استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته ، وهذا التمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيّب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون ، إذا صادفوا من البرق خفقه مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة، فخطوا خطوات يسيرة ، فإذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة، ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم . أو في ضوء البرق فأعماهم . وأضاء إمّا متعدٍ بمعنى كلما نوّر لهم ممشى ومسلكاً أخذوه والمفعول محذوف ، وإمّا غير متعدٍ بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ، ويعضده قراءة ابن ابي عبلة " كلما ضاء لهم ." .

والمشي جنس الحركة المخصوصة فإذا اشتد فهو سعي، فإذا ازداد فهو عدو ، فإنْ قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام إذا ؟ قلت لأنّهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي وتأتيه، فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها، وليس كذلك التوقف والتحبس . وأظلم يحتمل أَنْ يكون غير متعدٍ وهو الظاهر ، وأن يكون متعدياً منقولاً من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب " أُظلِمَ" على ما لم يُسَمَّ فاعلُهُ وجاء في شعر حبيب بن أوس :

هما أظلما حالي ثمت أجليا ظلا ميهما عن وجه أمرد أشيب

وهو وان كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ـ ومعنى قاموا : وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق إذا ركدت ، وقام الماء إذا جمد) (١) .

انظر كيف لخص البيضاوي كلام الزمخشري وأتى بقوله في إعراب أضاء وأظلم ،

---

(١) الكشاف ١/ ٢٢١

ثم قراءة أظلم على البناء للمفعول والاستشهاد بشعر أبى تمام ثم الحكم على شعره إنه لا يستدل به ولكن يعتمد على بناءً على أنه عالم لغة يواقف قولـه روايته . ذكر البيضاوى ذلك كله من غير أن يذكر شيئاً من عنده .

ومن مصادره فى التفسير . تفسير الفخر الرازى المسمى بالتفسير الكبير ، فقد كان يلخص منه أيضاً كما كان يلخص من الكشاف . ومن أمثلة ذلك فى تفسير قوله تعالى : " رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ... الآية " (١) قال البيضاوى : (أوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه ، وفيه مبالغات ليس فى إيقاعه على نفس المسموع. وفى تنكير المنادى وإطلاقه ثم تقييده ، تعظيماً لشأنه ، والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام وقيل القرآن . والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بإلى واللام لتضمنهما معنى الانتهاء والاختصاص) (٢) .

وقال الفخر الرازى : (فى الآية مسائل : المسألة الأولى ، فى المنادى قولان أحدهما : أنّه محمد عليه الصلاة والسلام ، وهو قول الأكثرين والدليل عليه قوله تعالى : " أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ (٣) ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ (٤) . أَدْعُو اللَّهَ (٥) " . والثانى : أنه هو القرآن قالوا إنّه تعالى حكى عن مؤمنى الإنس ذلك كما حكى عن مؤمنى الجن قوله : " انا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ." قالوا والدليل على أنّ تفسير الآية بهذا الوجه أولى ، لأنّه ليس كل أحد لقى النبى صلى الله عليه وسلم ، أمّا القرآن فكل أحد سمعه وفهمه ، قالوا : وهذا وإن كان مجازاً إلاّ أنّه مجازٌ متعارفٌ ، لأنّ القرآن

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٣ .

(٢) تفسير البيضاوى ص ١٠٠

(٣) سورة النحل الآية ١٢٥

(٤) سورة الأحزاب الآية ٤٦

(٥) سورة الإسراء الآية ١١٠

لما كان مشتملاً على الرشد ، وكان كل من تأمله وصل به إلى الهدى اذا وفقه الله تعالى لذلك ، فصار كأنَّه يدعو الى نفسه وينادى بما فيه من أنواع الدلائل ، كما قيل فى جهنم " تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى " (١). إذ كان مصيرهم إليها ، والفصحاء والشعراء يصفون الدهر بأنه ينادى ويعظ ، مرادهم منها دلالة تصاريف الزمان قال الشاعر :

يا واضع الميت فى قبره　　　خاطبك الدهر ولم تسمع

المسألة الثانية فى قوله : " يُنَادِى لِلإِيمَانِ " (٢) وجوه : الأول : أن اللام بمعنى إلى كقوله : " ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ " (٣). ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا (٤) ، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا (٦) " . ويقال دعاه لكذا والى كذا ، وندبه له وإليه ، وناداه له وإليه ، وهداه للطريق وإليه ، والسبب فى اقامة كل واحدة من هاتين اللفظين مقام الأخرى : أَنَّ معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص حاصلان جميعاً - الثانى، قال أبو عبيدة : هذا على التقديم والتأخير ، أى سمعنا منادياً للايمان ينادى بأَنْ آمنوا ، كما يقال جاءنا منادى الأمير ينادى بكذا وكذا . والثالث: أَنَّ هذه اللام لام الأجل والمعنى : سمعنا منادياً كان نداؤه ليؤمن الناس ، أى كان المنادى ينادى لهذا الغرض ، ألا تراه قال : " أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ " (٧).

---

(١) سورة المعارج آية ١٧

(٢) سورة آل عمران آية ١٩٣

(٣) سورة المجادلة آية ٨

(٤) سورة المجادلة آية ٣

(٥) سورة الزلزلة آية ٥

(٦) سورة الاعراف آية ٤٣

(٧) سورة آل عمران آية ١٩٣ .

أى لتؤمن الناس ، وهو كقوله : " وَمَآ أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ " (١)

المسألة الثالثة قوله : " سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي " نظيره قولك : سمعت رجلا يقول كذا ، وسمعت زيداً يتكلم ، فيوقع الفصل على الرجل ويحذف المسموع ، لأنك وصفته بما يسمع وجعلته حالا عنه فأغناك عن ذكره ، ولأن الوصف أو الحال لم يكن بُدٌّ منه ، وانه يقال سمعت كلام فلان أو قولَه .

المسألة الرابعة ههنا سؤال وهو أن يقال : ما الفائدة فى الجمع بين المنادى وينادى ؟ وجوابه ذكرُ النداء مطلقاً ثم مقيداً بالايمان تفخيماً لشأن المنادى ، لأنه لا منادى أعظم من منادٍ ينادى للايمان ، ونظيره قولك : مررت بهاد يهدى للاسلام ، وذلك لأن المنادى إذا أطلق ذهب الوهم إلى مناد للحرب أو لاطفاء الثائرة أو لإغاثة المكروب ، الكفاية لبعض النوازل ، وكذلك الهادى ، وقد يطلق على من يهدى للطريق ، ويهدى لسداد الرأى ، فإذا قلت ينادى للايمان ويهدى للاسلام فقد رفعت من شأن المنادى والهادى وفخمته) (٢) .

وأما تأثره بالراغب الأصفهانى فيظهر فى تفسير قوله تعالى :

" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً " (٣)

قال البيضاوى : (الخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد آدم عليه الصلاة والسلام، لأنه كان خليفة الله فى أرضه، وكذلك كل نبى استخلفهم الله فى عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم، وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى

---

(١) سورة النساء آية ٦٤

(٢) التفسير الكبير ٩/١٤٤-١٤٥

(٣) سورة البقرة الآية ٣٠

أمره بغير واسطة ولذلك لم يستبئ ملكاً كما قال تعالى : "وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً". [١] ألا ترى أنَّ الأنبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار ، أُرسل إليهم الملائكة ومن كان منهم أعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام فى الميقات ، ومحمداً صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج، ونظير ذلك فى الطبيعة أَنَّ العظم لما عجز عن نوال الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد ، جعل البارئ تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطى ذلك) [٢].

وقال الراغب الأصفهانى : (والخليفة والخلف يتقاربان من قولك خلف فلانٌ فلاناً إذا قام مقامه ، والخلف والسلف يتناقضان، كخلف وقدام فان قيل ما وجه استخلاف الله تعالى ، والخلافه انما تكون للنيابة عن الغير، إمَّا لغيبته أو موته أو عجزه وذلك لا يجوز على الله تعالى . بل قد يكون على غير ذلك وهو أن يستخلف المستخلف غيره امتحاناً أو تهذيباً له ،أو يستخلفه لقصور المستخلف عليه عن قبول التأثير من المستخلف، لا لعجزه، وذلك ظاهر فى الأشياء المصيبة والطبيعية فإنَّ السلطان جعل الوزير بينه وبين رعيته إذ هم أقرب إلى قبولهم منه، وكذا الواعظ جُعِلَ بين العامة والحكماء فإنَّ العامة لا يقبلونه من الحكيم، وليس ذلك لعجز الحكيم بل لعجز العامة عن القبول منه، وعلى هذا العظم واللحم لما تباعد ما بينهما عجز العظم عن قبول الغذاء من اللحم فجعل الله تعالى بحكمته بينهما الغضاريف التى بينهما ولها مناسبة إليها ليأخذ ذلك من اللحم ويعطيه العظم - وكذلك جعل تعالى

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩

(٢) تفسير البيضاوى ص ٢٢

الرسل بين الملك الذى هو من قبله تعالى، وبين العباد لفضل قـــوة اعطائهم ليأخذوا منه الحكمة ويوصلوها إلى الناس وبهذا الوجه قال تعالى : " ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلا" . والخليفة يقال للواحد والجمـــع، وههنا هو جمع فإنّ الخليفة لم يرد به آدم عليه السلام فقط بل أريد به هـو وصالحوا أولاده فهم خلفاؤه وحزبه لقوله تعالى : " أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ "(١)، ونصاره لقوله : " وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ "(٢) . وعباده لقوله : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ "(٣) . وعماره فى الأرض لقوله : " وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا "(٤) . والمقصود واحدٌ بهذه العبارات وان اختلفت بحسب الاعتبارات)(٥) .

. . . .

---

(١) سورة المجادلة آية ٢٢

(٢) سورة الحديد آية ٢٥

(٣) سورة الذاريات آية ٥٦

(٤) سورة هود آيـــة ٦١

(٥) مخطوط مصور من مكتبة آيا صوفيا بتركيا تحت رقم ٢١٢ رقم اللوحة ١١٩، ١٢٠ .

مصادره من كتب الفقهاء

كان البيضاوي في نقله للأحكام الفقهية يعتمد على فقه الشافعية والحنفية ولا يذكر سواهما الا قليلا ولعلَّ ذلك يرجع إلى أنهما المذهبان السائدان في تلك المناطق من بلاد فارس وخراسان .

ومن أمثلة نقله من كتب الفقهاء ما جاء في تفسير قوله تعالى : " وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ." (١) قال البيضاوي : (روى أَنَّ داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان - وهو ابن احدى عشرة سنة - غير هذا ، أرفق بهما . فأمر بدفع الغنم إلى أهل الحرث فينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها، والحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود إلى ما كان ثم يترادّان . ولعلهما قالا اجتهاداً . والأول نظير قول أبي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب إذا أَبق .

وحكمه في شرعنا عند الشافعي ، وجوب ضمان المتلف بالليل، إذ المعتاد ضبط الدواب ليلاً . وكذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطاً وأفسدته فقال : " على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل ". (٢)

وعند أبي حنيفة ، لا ضمان إلاّ أن يكون معها حافظ لقوله عليه

---

(١) سورة الأنبياء آية ٧٨ ، ٧٩

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأحكام باب الحكم فيما أفسدت الماشية وأخرجه أحمد في مسنده ٥/٤٣٦

السلام " جرح العجماء جبار . اهـ "[1])[2]

فمصادره من فقه الحنفية فيما يتعلق بجناية العبد ما جاء في بدائع الصنائع لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني قال : (فأما إذا كان القاتل عبداً والمقتول حراً فالحرُّ المقتول لا يخلو من أن يكون أجنبياً أو يكونَ ولي العبد، فإن كان أجنبياً فالعبد القاتل لا يخلو من أن يكون قناً ، أو مدبراً ، أو أم ولد ، أو مكاتباً، فإن كان قنًا يُدْفَعُ إذا ظهرت جنايته إلاَّ أن يختار المولى الفداء فلابُدَّ من بيان ما تظهر به هذه الجناية وبيان حكم هذه الجناية وبيان صفة الحكم ، وبيان ما يصير به المولى مختاراً للفداء .)[3]

وأما مصادره من فقه الشافعية فيما يتعلق بغرم الحيلولة للعبد المغصوب إذا أبق ما جاء في المهذب لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي قال : (وإذا ذهب المغصوب من اليد وتعذر ردُّهُ ، بأَنْ كان عبداً فأبق ، أو بهيمة فضلت ، كان للمغصوب منه المطالبة بالقيمة لأنَّه حيل بينه وبين مَالَهُ فوجب له البدل كما لو تلف . وإذا قبض البدل ملكه ، لأنه بدل ماله فملكه كبدل التالف ، ولا يملك الغاصب المغصوب ، لأَنَّه لا يصح تملكه بالبيع فلا يملك بالتضمين كالتالف - فإنْ رجعَ المغصوب وجب رده على المالك وهل يلزم الغاصب الأجرة من حين دفع القيمة إلى أن رده ؟ فيه وجهان أحدهما : لا تلزمه لأن منه ملك بدل العين فلا يستحق أجرته .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الديات باب العجماء جبار وأخرجه مسلم في كتاب الحدود باب جرح العجماء والمعدن والبئر جبار وأخرجه أبو داود في كتاب الديات باب الدابة تنفخ برجلها وأخرجه الترمذي في كتاب الأحكام باب ما جاء في العجماء جرحها جبار .

(٢) تفسير البيضاوي ص ٤٣٤

(٣) بدائع الصنائع ٧ / ٢٥٨

والثانى : تلزمه لأنه تلف عليه منافع ماله بسبب كان فى يد الغاصب فلزمه ضمانها ، كما لو لم يدفع القيمة . واذا رد المغصوب وجب على المغصوب منه رد البدل لأنه ملكه بالحيلولة وقد زالت الحيلولة فوجب الرد .) (١)

ومصادره من فقه الحنفية فيما يتعلق بضمان ما أتلفته الدواب ، ما جاء فى بدائع الصنائع أيضاً قال فى حديثه عن شروط وجوب الضمان على المتلف : (ومنها أن يكون المتلف من أهل وجوب الضمان عليه حتى لو أتلفت مال انسان بهيمة لا ضمان على مالكها لأن فعل العجماء جبار فكان هدراً ولا اتلاف من مالكها فلا يجب الضمان عليه) .(٢)

وأمَّا مصادره من فقه الشافعية فى ضمان ما أتلفته الدواب ما جاء فى الوجيز لأبى حامد الغزالى قال : " وما أكلته البهائم من المزارع بالنهار فلا ضمان ، وبالليل يجب الضمان على رب البهيمة الا أن يأكل من البستان وبابه مفتوح بالليل فان التقصير من رب البستان . ولو سرح فى جوار المزارع مع اتساع المراعى ضمن لأنه مفرّط . وحفظ المزارع بالنهار على مالكها وحفظ البهيمة بالليل على مالكها) .(٣)

وأما مصادره من فقه المالكية ما جاء فى تفسير قوله تعالى : "وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ البَحَرَ لِتَأْكُلُواْ مِنه لَحْمَاً طَرِيّاً ... الآية " (٤) قال البيضاوى : (تمسّك به مالك والثورى على أن من حلف ألَّا يأكل لحماً حنث بأكل السمك . وأجيب عنه

---

(١) المهذب كتاب الغصب ١/ ٣٦٨ ، ٣٦٩

(٢) بدائع الصنائع كتاب الغصب شرائط وجوب ضمان المتلف ٧/ ١٦٨

(٣) الوجيز فى فقه مذهب الامام الشافعى كتاب موجبات الضمان ١/ ١٨٦ .

(٤) سورة النحل آية ١٤

بأن مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق ألا ترى أنّ اللهَ سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على أن لا يركب دابة بركوبة) .[١]

وكلام المالكية فى الحنث بأكل السمك ما جاء فى المدونة من سؤال سحنون لابن القاسم قال : (قلت أرأيت إنْ قال ، والله لا أكل لحماً ولا نية له فأكل حيتاناً ؟ قال : بلغنى عن مالك أنه قال : هو حانث لأنّ اللهَ تبارك وتعالى قال فى كتابه ، وهو الذى فى قول البحر " لتأكلوا منه لحماً طريا ")[٢]

وأما مصادره من فقه الحنابلة ما جاء فى تفسير قوله تعالى :
" يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " .[٣]

قال البيضاوى : (فمن اضطر غير باغٍ بالاستئثار على مضطرٍ آخر ولا عادٍ سد الرمق أو الجوعة . وقيل غير باغ على الوالى ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى وقول أحمد رحمهما الله تعالى) .[٤]

معنى كلام البيضاوى أن الذين يفسرون الباغى والعادى بالباغين على الوالى والعادين يقطع الطريق لا يجوز لهم الأكل من الميتة والدم ولحم الخنزير إذا اضطروا لأنهم فى سفر معصيية . وهو قول الشافعى وأحمد رحمهما الله تعالى ، جاء فى المغنى من فقه الحنابلة ما نصه :

---

(١) تفسير البيضاوى ص ٣٥٣

(٢) المدونة الكبرى للامام مالك بن أنس كتاب النذور الثانى ٢/ ١٢٩
يشير بذلك الى قوله تعالى "وهوالذى سخّر لكم البحر لتأكلوا منه لحمًا طريًا " سورة النحل آية ١٤ .

(٣) سورة البقرة آية ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٤) تفسير البيضاوى ص٥ ٣

" ليس للمضطر في سفر المعصية الأكل من الميتة كقاطع الطريق والأبق لقول الله تعالى : " فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ". قال مجاهد : غير باغ على المسلمين ولا عاد عليهم . وقال سعيد بن جبير : إذا خرج يقطع الطريق فلا رخصة له ، فان تاب وأقلع عن معصيته حل له الأكل) .(١)

. . . .

(١) المغني كتاب الصيد والذبائح فصل المضطر في سفر المعصية ٩/٤١٦ ، ٤١٧ .

مصادره من كتب الأصول

أخذ البيضاوى من كتب أصول الفقه كثيراً من الاستدلال بالآيات على الأحكام الأصولية وبل وأكثر من ذلك تأثره بأقوال الذين ناقشوا الاستدلال بتلك الآيات وردوا على المعترضين وكان أهم كتاب اعتمد عليه البيضاوى فى ذلك هو كتاب المحصول للفخر الرازى. ففى قوله تعالى : " وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تبين له الهدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا " (١).

قال : (الآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لأنه سبحانه وتعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل منهما أو أحدهما أو الجمع بينهما، والثانى باطل اذ يقبح أن يقال من شرب الخمر وأكل الخبز استوجب الحد، وكذا الثالث لأن المشاقة محرمة ضُمَّ إليها غيرها، أو لم يضم ، واذا كان اتباع غير سبيلهم محرماً ، كان اتباع سبيلهم واجباً لأن ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم) (٢).

وقال الرازى فى المحصول بعد ذكر الآية : (جمع الله تعالى بين مشاقة الرسول ، واتباع غير سبيل المؤمنين فى الوعيد . فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين مباحاً ، لَمَا جمع بينه وبين المحظور كما لا يجوز أن يقال : إنْ زنيت وشربت الماءَ عاقبتك . فثبت أن متابعة غير سبيل المؤمنين محظورة . ومتابعة غير سبيل المؤمنين عبارة عن متابعة قول أو فتوى غير قولهم وفتواهم . واذا كانت تلك محظورة وجب أن تكون متابعة قولهم وفتواهم واجبة ، ضرورة، لأنَّه لا خروج من القسمين) (٣).

---

(١) سورة النساء آية ١١٥

(٢) تفسير البيضاوى ص ١٢٧

(٣) المحصول فى علم أصول الفقه ٢/٤٦، ٤٧

ومسألة ثبوت الاجماع بدليل من الكتاب ، اختلف فيها العلماء .

وممن خالف مذهب البيضاوى فى الاستدلال على الاجماع من الكتاب ، امام الحرمين الجوينى ، وأبو حامد الغزالى . قال الجوينى : (تسمك القائلون بأيٍ من كتاب الله ، ونحن نذكر أوقعها ، فمما استدل به الشافعى قول الله تعالى : " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ." فاذا أجمع المؤمنون على حكم فى قضية ، فمن خالفهم فقد شاقهم ، واتبع غير سبيلهم ، وتعرض للوعيد المذكور فى مساق الخطاب . وقد أكثر المعترضون . وظنى أن معظم تلك الاعتراضات فاسدة تكلفها المصنفون ، حتى تنتظم لهم أجوبة عنها ولست لأمثالها .

بل أوجه سؤالا واحداً يسقط الاستدلال بالآية فأقول : إنَّ الرب تعالى أراد بذلك من أراد الكفر ، وتكذيب المصطفى صلى الله عليه وسلم والحيد عن سنن الحق . وترتيب المعنى : ومن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين المقتدين به ، نولّه ما تولى . فإنْ سلم ظهور ذلك فذلك . وإلاَّ فهو وجه فى التأويل لائح . ومسلكٌ فى الامكان واضحٌ ، فلا يبقى للمتمسك بالآية إلاَّ ظاهر معرض للتأويل ، ولا يسوغ التمسك بالمحتملات ، فى مطالب القطع ، وليس على المعترض إلاَّ أن يظهر وجها فى الامكان ، ولا يقوم للمحصل عن هذا جواب إنْ أنصف)(١) .

وقال أبو حامد الغزالى : (والذى نراه أن الآية ليست نَصّاً فى الغرض ، بل الظاهر أن المراد بها أَنَّ من يقاتل الرسول ويشاقه ويتبع غير سبيل المؤمنين فى مشايعته ونصرته ، ودفع الاعداء عنه نولّه ما تولى . فكأنه لم يكتف بترك المشاقة

---

(١) البرهان فى أصول الفقه ١/ ٦٧٧ ، ٦٧٨

حتى تنضم إليه متابعة سبيل المؤمنين فى نصرته والذب عنه والانقياد له فيما يأمر وينهى ، وهذا هو الظاهر السابق إلى الفهم ، فان لم يكن ظاهراً فهو محتمل ولو فَسَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية بذلك لقبل ، ولم يجعل ذلك رفعا للنص ، كما لو فَسَّر المشاقة بالموافقة ، واتباع سبيل المؤمنين بالعدول عن سبيلهم) (١).

فالذين يرفضون الاستدلال على الاجماع من الكتاب ، قد استدلوا بأدلةٍ غير الكتاب . فمنهم مَنْ استدل على الاجماع بحديث النبى صلى الله عليه وسلم " لا تجتمع أمتى على ضلالة " (٢) كالغزالى وغيره، ومنهم من استدل على الاجتماع بالاجماع نفسه كالجوينى . وعلى كل فالاجماع ثابت إمَّا بالكتاب ، أو بالحديث ، أو بالاجماع .

ومن مصادر البيضاوى فى كتب الأصول ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بَيَانَهُ (٣) . "

قال البيضاوى : (بيان ما أشكل عليك من معانيه . وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب) (٤) .

---

(١) المستصفى فى علم الأصول ص ٢٠١

(٢) أخرجه ابن ماجة فى كتاب الفتن ٣٦٧/٢
وأخرجه الترمذى فى كتاب الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها ٤/ ٩٨
وأخرجه أحمد فى مسنده ٥/ ١٤٥ . قال البصيرى فى الزوائد هذا اسناد ضعيفا رواه عبد بن حميد وقال ابن حزم فى الاحكام هذا وان لم يصح لفظه ولا سنده فمعناه صحيح ٤/ ٦٤٣

(٣) سورة القيامة آية ١٧

(٤) تفسير البيضاوى ص ٧٧٢

فهو موافق لما قاله الفخر الرازى فى المحصول فقد أوضح الرازى الخلاف فى جواز تأخير البيان وبيّن أوجه الخطاب التى تحتاج إلى بيان، ثم أورد مذهبه الذى تبعه فيه البيضاوى فقال : (اختلفوا فى جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب . والخطاب المحتاج إلى بيان ضربان .

أحدهما :- ما له ظاهرٌ قد استعمل فى خلافه .

والثانى :- لا ظاهر له كالأسماء المتواطئة والمشتركة .

والأوَّلُ أقسام : أحدها تأخيرُ بيان التخصيص .

والثانى :- تأخيرُ بيان النسخ .

وثالثها :- تأخيرُ بيان الأسماء الشرعية .

ورابعها : تأخيرُ بيان اسم النكرة إذا أراد به شيئاً .

مذهبنا : أنه يجوز تأخير البيان إلى وقت الحاجة فى كل هذه الأقسام ، وأما المعتزلة فأكثر من تقدم أبا الحسن - رحمه الله - اتفقوا على المنع من تأخير البيان فى كل هذه الأقسام إلاَّ فى النسخ فانهم جوزوا تأخير بيانه) (١) إلى أن قال : (وأعلم أن الكلام فى هذه المسألة يقع فى مقامين :

أحدهما :- أن يستدل فى الجملة على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب .

وثانيهما :- أن يستدل على جواز ذلك فى كل واحدة من الصور المذكورة .

أما المقام الأول فالدليل عليه قوله تعالى : " إنَّ علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إنَّ علينا بيانه "

وثم فى اللغة للتراخى وهو المطلوب.. الخ) (٢)

. . . .

---

(١) المحصول فى أصول الفقه ١/ من ٢٨٠ الى ٢٨٣

(٢) المرجع السابق .

مصـــادره من كتـــب اللغـــة

تأثر البيضاوى بأهل اللغة ونقل عنهم ويبدو ذلك واضحاً فى تفسيره فنقل عن الخليل وسيبويه وثعلب والزجاج والمبرد والأزهرى وغيرهم . فكـــان يذكر من أخذ عنه فى بعض الأحيان، وفى احيان كثيرة لا يذكر اسم من أخـــذ عنه ويورده بصفة قيــل .

ومن أمثلة ما أخذه من كتاب سيبويه ما جاء فى تفسير قوله تعالى :
" قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ ... الآية " (١) قال البيضاوى : (الميم عوض عـــن يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وفتح همزته وتا القسم وقيل أصله يا الله أمنا بخير، فخفف بحذف حرف النـــداء ومتعلقان الفعل وهمزته - ومالك الملك ... نداء ثانٍ عند سيبويه فان المـيم عنده تمنع الوصفية) (٢) أى أن الاسم الواقع بعد ميم اللهم لا يكون صفة لما قبله، فهو نداء ثان حذف منه حرف النداء تخفيفاً . فكأن ترتيب الآية يا الله يـــا مالك الملك . وقد يقال لا همّ واللهم فالميم بدل من حرف النداء وربما جمـع بين البدل والمبدل منه فى ضرورة الشعر كقول الراجز - عفوت أو عذيت يا اللهما (٣)
وقال سيبويه فى كتابه : (قال الخليل رحمه الله : اللهم نداء والميم هنـــا بدل من يا فهى ها هنا - فيما زعم الخليل رحمه الله - آخر الكلمة بمنزلة يا فـى أولها ، إلاّ أنَّ الميم ها هنا فى الكلمة - كما أن نون المسلمين فى الكلمة - بنيت عليها . فالميم فى هذا الاسم حرفان أولهما مجذوم ، والهاء مرتفعة لأنه وقـع عليها الاعراب . واذا الحقت لم تصف الاسم ، من قِبلِ انَّه صار مع الميم عندهم

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٦
(٢) تفسير البيضاوى ٨٣
(٣) الصحاح للجوهرى ماده ليه ص ٢٢٤٨

بمنزلة صوت كقولك : يا هناه . وأما قوله عز وجل : " اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ . "[1] فعلى يا .)[2]

ومن أمثلة ما أخذه عن المبرد ما جاء في تفسير قوله تعالى :
" وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "[3]. قال البيضاوى : (جملتان عند سيبويه[4] إذْ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أى حكمهما، وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنها معنى الشرط إذ المعنى والذى سرق والتى سرقت)[5]

وقال المبرد فى كتاب الكامل فى قوله تعالى " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ". " وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ "[6] .
قال : (الرفع الوجه ، لأنَّ معناه الجزاء ، كقوله " الزانية " أى التى تزنى ، فإنَّما وجب القطع للسرق والجلد للزنا ، فهذه مجازاة ، ومن ثَمَّ جاز الذى يأتينى فله درهم ، فدخلت الفاء لأنَّه استحق الدرهم بالاتيان ، فإنْ لم ترد هذا المعنى قلت : الذى يأتينى له درهم ، ولا يجوز زيد فله درهم ، أو هذا زيد فحسن جميل : جاز على أنَّ زيداً خبرٌ وليس بالابتداء ، وللاشارة دخلت الفاء ، وفى القرآن : " الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ "[7]. ودخلت الفاء لأنَّ الثواب دخل للانفاق)[8].

(١) سورة الزمر آية ٤٦
(٢) كتاب سيبويه ١٩٦/٢
(٣) سورة المائدة آية ٣٨
(٤) كتاب سيبويه ١٤٢/١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ .
(٥) تفسير البيضاوى ص ١٥١
(٦) سورة النور آية ٢
(٧) سورة البقرة آية ٢٧٤
(٨) الكامل فى اللغة والأدب والنحو والصرف ٦٤٢/٢ .

فسيبويه يقول السارق والسارقة هذه جملة كامله حذف صدرها الذى تقديره فيما يتلى عليكم حكم السارق والسارقة وجملة فاقطعوا هذه مستأنفة ، وعند المبرد و السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جملة واحدة من مبتدأ وخبر دخلت فاء السببية على الخبر لتضمنه معنى الشرط إذ المعنى الذى سرق والتى سرقت فجزاءهما الجلد .

وتأثر البيضاوى بأبى البقاء العكبرى من ناحية اللغة والاعراب فى التفسير ففى تفسير قوله تعالى : " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيَ إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ". (١) قال : (قيل تقديره لا تعبدوا فلما حذف أن رفع كقوله :

ألا أيها الزاجرى احضر الوغى وأنى أشهد اللذات هل أنت مخلدى (٢)

ويدل عليه قراءة "أن لا تعبدوا" فيكون بدلا من الميثاق ، أو معمولاً له بحذف الجار ، وقيل أنه جواب قسم دل عليه المعنى ، كأنه قال : أحلفناهم لا تعبدون . وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به ، والباقون بالياء لأنهم غيب) (٣) .

وهو كلام العكبرى غير أنه فيه تقديم وتأخير قال العكبرى : (" لا تعبدون إلا الله " يقرأ بالتاء على تقدير قلنا لهم لا تعبدون ، وبالياء لأن بنى اسرائيل اسم ظاهر فيكون الضمير حرف المضارعة بلفظ الغيبة لأنَّ الأسماء الظاهرة كلها غيب . وفيه من الإعراب أربعة أوجه أحدها : - أنه جواب قسم دل عليه المعنى ، وهو قوله " أخذنا ميثاقهم ". لأنَّ معناه أحلفناهم ، أو قلنا لهم بالله لا تعبدون .

---

(١) سورة البقرة آية ٨٣

(٢) البيت من شواهد سيبويه وهو لطرفه من معلقته : " ديوان طرفه "

(٣) تفسير البيضاوى ص ١٧

والثانى : ـ أنّ " أَنْ " مراده التقدير أخذنا ميثاق بنى اسرائيل على أن لا تعبدوا إلاَّ الله ، فحذف حرف الجر ثم حذف أن فارتفع الفعل ونظيره

ألا أيها الزاجرى احضر الوغى

بالرفع والتقدير عن أن أحضر .

والثالث : أنه فى موضع نصب على الحال ، تقديره : أخذنا ميثاقهم موحدين ، وهى حال مصاحبة ومقدرة ، لأنَّهم كانوا وقت أخذ العهد موحدين ، والتزموا الدوام على التوحيد .

الرابع : أَنْ يكون لفظه لفظ الخبر ، ومعناه النهى ، والتقدير قلنا لهم لا تعبدوا) (١) .

وفى تفسير قوله تعالى : " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وبِالْيَوْمِ الآخِرِ " (٢) . الآية . قال البيضاوى : (والناس أصله أُناس ، لقولهم : إنسان ، وإنس ، وأناس فحذفت الهمزة حذفها فى لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما) (٣) .

وقال العكبرى : (أصل الناس عند سيبويه أُناس، فحذفت همزته ، وهى فاء الكلمة ، وجعلت الألف واللام كالعوض منها، فلا يكاد يستعمل الناس إلاَّ بالألف واللام ، ولا يكاد يستعمل أُناس بالألف واللام ، فالألف فى الناس على هذا زائدة واشتقاقه من الأنس بضم الهمزة) (٤) .

---

(١) التبيان فى اعراب القرآن بتصرف ١ / ٨٣ ، ٨٤

(٢) سورة البقرة آية ٨

(٣) تفسير البيضاوى ص ١١

(٤) التبيان فى اعراب القرآن ١ / ٢٤

ونقل البيضاوى عن الزجاج والفراء بل وتبنى مذهب البصريين ورد على أهل الكوفة ، يظهر ذلك فى تفسير قوله تعالى : " قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا) [(١)] قال البيضاوى : (أحضروهم وهو اسم فعل لا ينصرف عند أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى تميم ، وأصله عند البصريين هالم من لمّ إذا قصد ، حذفت الألف لتقدير السكون فى اللام فانه الأصل ، وعند الكوفيين هل أم ، فحذفت الهمزة بالتاء حركتها على اللام . وهو يعيد لأن هل لا تدخل على الأمر ، ويكون متعديا كما فى الآية ولازما قوله هلم الينا) [(٢)] .

وقال الزجاج : (هلّم فى قوله : " هلم شهداءكم " وفى قوله : " هَلُمَّ إِلَيْنَا " [(٣)] وهى ها ضمّت الى لمّ فجعلا كالشىء الواحد وفيه لغتان :

احداهما : ـ وهو قول أهل الحجاز ، ولغة التنزيل أن يكون فى جميع الأحوال للواحد والواحدة ، والاثنين والاثنتين ، والجماعة من الرجال والنساء على لفظ واحد ، لا تظهر فيه علامة تثنية ولا جمع كقولهم هلم إلينا فيكون بمنزلة رويد ، وصه ، ومه ، ونحو ذلك نحو الأسماء التى سميت بها الأفعال ، وتستعمل للواحد والجمع ، والتأنيث والتذكير على صورة واحدة .

وفى اللغة الثانية إذا كانت للمخاطب ، مبنية مع الحرف الذى بعدها على الفتح ، كما أن هل تفعلن مبنى مع الحروف على الفتح .

---

(١) سورة الانعام آية ١٥٠

(٢) تفسير البيضاوى ص ١٩٥

(٣) سورة الأحزاب آية ١٨

وقال الفراء : أن أصله هل أمّ . وأم من قصدت . والدليل على فساد هذا القول : أَنَّ هل لا يخلو من أحد أمرين . إمَّا أن يكون بمعنى قد ، وهذا يدخل فى الخبر . وإمَّا أن يكون بمعنى الاستفهام ، وليس لواحد من الحرفين تعلق بالأمر . وان قلت هو خبر بمعنى الأمر ، فإنَّ ذلك لا يدخل عليه هل ،لأَنَّ من قال رحم الله لا يقول : هل رحم الله .)(١)

هكذا استفاد البيضاوى من أقوال اللغويين والنحاة فنقل منها واختصر بعضها وتبنى أقوال البعض،فكانت كتب اللغة مصدراً من مصادر البيضاوى التفسير .

. . . .

---

(١) اعراب القرآن للزجاج بتصرف ١٥٥/١ ، ١٥٦ .

الفَصْلُ الثَّانِى
مَنْهَجُهُ فِى التَّفْسِيرِ

١- موقفه من آيات الصفات .
٢- موقفه من آيات الأحكام .
٣- موقفه من القراءات .
٤- موقفه من الإسرائيليات .

موقفه من آيات الصفات

آيات الصفات هي الآيات التي وردت فيها صفات الله تبارك وتعالى الخبرية كالاستواء والنزول والمجيء ، وكذلك الآيات التي ورد فيها ذكر الوجه واليد وغير ذلك .

وهي تعتبر من متشابه القرآن الذي قال الله تبارك وتعالى فيه : " هُوَ الَّذِيٓ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ . فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ، وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ . وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ".(١)

وأما موقف البيضاوي من مثل هذه الآيات ، فقد انتهج أسلوبَ التأويل ، وسلك مسلك الذين أولوا آيات الصفات .

وقبل الخوض في أقوال الذين قالوا بالتأويل يجدر بنا أن نعرّف التأويل أولاً وما المرادُ منه .

فالتأويلُ له معنىً في اللغة ومعانٍ في الاصطلاح ،

معنى التأويل في اللغة :

التأويل في اللغة معناه التفسير . قال الجوهري : (التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء ، وقد أولته وتأولته تأولاً بمعنى ، ومنه قول الأعشى :

على إنّها كانت تأوّل حبها   تأول ربعي السقاب فأصبحا).(٢)

---

(١) سورة آل عمران آية (٧)

(٢) الصحاح في اللغة باب اللام فصل الألف ص ١٦٢٧ .

معنى التأويل فى الاصطلاح :

وأَمَّا التأويلُ فى الاصطلاح فله معانٍ متعددة تختلف باختلاف أهل الفنون والعقائد . قال ابن تيميه : (لفظُ التأويل يرادُ به ثلاث معانٍ : فالتأويلُ فى اصطلاح كثيرٍ من المتأخرين هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح ، لدليل يقترن بذلك ، فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهرهِ تأويلا على اصطلاح هؤلاء ، وظنوا أَنَّ مراد اللهِ بلفظِ التأويلِ ذلك . وأنَّ للنصوص تأويلاً يخالف مدلولها لا يعلمه إلاَّ اللَّه ولا يعلمه المتأولون) (١) .

وقال فى المعنى الثانى : (إِنَّ التأويل هو تفسيرُ كلام الله تعالى سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه . وهذا هو التأويل فى اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم . وهذا تأويل يعلمه الراسخون فى العلم، وهو موافقٌ لوقف من وقف من السلف على قوله : " وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى العِلْمِ ") (٢) .

وقال فى المعنى الثالث : (إِنَّ التأويل هو الحقيقةُ التى يؤول الكلام إليها وإن وافقت ظاهره . فتأويل ما أخبر الله به فى الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك . هو الحقائق الموجودة أنفسها ، لا ما يتصور من معانيها فى الأذهان ويعبر عنه باللسان . وهذا هو التأويل فى لغة القرآن كما قال تعالى عن يوسف : إنَّه قال : " يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِنْ قَبلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقاً " (٣) .

---

(١) الفتاوى الكبرى ٥/ ٣٥

(٢) سورة آل عمران آية ٨

(٣) سورة يوسف آية ١٠٠

وقال تعالى : " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ" (١) . وقال تعالى :

" فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ." (٢) وهذا هو التأويل الذى لا يعلمه إلاّ الله . (٣)

والتأويلُ الذى سار عليه البيضاوى هو التأويلُ بمعناه الأول وهوصرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح ، فأوّل كثيراً من الآيات التى وردت فيها صفات الله تبارك وتعالى ، والآيات التى ذكرت فيها السمعيات ، كالكرسى والملائكة وغير ذلك ، ونهج فى ذلك نهج المتكلمين من الأشاعرة ، وبعض المعتزلة وغيرهم .

ففى تفسير قوله تعالى : " كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ" (٤) . قال : (ويبقى وجه ربك . ذاته ، ولو إستقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها ، وجدتها بأسرها فانيةً فى حد ذاتها إلاّ وجه اللَّهِ تعالى . أى الوجه الذى يلى جهته) (٥)

وفى تفسير قوله تعالى : " قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" (٦) قال : (خلقته بنفسى من غير توسطٍ كأبٍ وأمٍ والتثنية لما فى خلقه من مزيد القدرة ، أو إختلاف الفعل وقرئ على التوحيد) (٧) .

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٣

(٢) سورة النساء آية ٥٩

(٣) الفتاوى الكبرى ٥/ ٣٥، ٣٦

(٤) سورة الرحمن آية ٢٧ ، ٢٨

(٥) تفسير البيضاوى ص ٧٠٦

(٦) سورة ص آية ٧٥

(٧) تفسير البيضاوى ص ٦٠٦

وفى تفسير قوله تعالى : " ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ . . . الآية "(١)
قال : (حملهم إيّاه وحفيفهم حوله ، مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له أو
كناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم فى نفاذ أمره)(٢) .

وفى تفسير قوله تعالى : " تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ "(٣) . قال : (قبضة
قدرته التّصرف فى الأمور كلها)(٤) .

وقال فى قوله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا "(٥) . قال : (ظهر
آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار
هيبته وسياسته)(٦) .

وقال فى تفسير قوله تعالى : " وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمواتِ والأرضَ "(٧) . قال : (تصوير
لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى : " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ الأَرْضُ جَمِيعاً
قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ والسَّمواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ "(٨) . ولا كرسى فى الحقيقة ولا قاعد ،
وقيل كرسيه مجاز عن علمه أو ملكه مأخوذ من كرسى العالم والملك ، وقيل بين
يدى العرش . ولذلك سُمِّى كرسياً محيط بالسموات السبع ، والأرضون السبع
مع الكرسى إلاّ كحلقه فى فلاة . ففضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على
تلك الحلقة ")(٩)

---

(١) سورة غافر آية ٧
(٢) تفسير البيضاوى ص ٦١٨
(٣) سورة الملك آية ١
(٤) تفسير البيضاوى ص ٧٤٨
(٥) سورة الفجر آية ٢٣
(٦) تفسير البيضاوى ص ٧٩٨
(٧) سورة البقرة آية ٢٥٥
(٨) سورة الزمر آية ٦٧
(٩) تفسير البيضاوى ص ٥٨

وقال في قوله تعالى : " إنَّ ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيامٍ ثم استوى على العرش"[١]. قال : (استوى أمرُهُ ، أو استولى . وعن أصحابنا أنَّ الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف . والمعنى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزهاً عن الاستقرار والتمكن)[٢] وغير ذلك من التأويلاتِ التي تبع فيها مذهب المتكلمين . والتأويل فيما لا مجال للعقل أو الرأي فيه لا يجوز، بل قد يؤدي الى الضلال المبين . ومذهب أهل السنة والجماعة في آيات الصفات ، هو اثبات الصفات لله عَزَّ وَجَلَّ كما قالها تبارك وتعالى من غيرِ تشبيهٍ ولا تعطيلٍ وكما بينها النبي صلى الله عليه وسلم من غير تأويلٍ ولا قول برأي . قال أبو الحسن الأشعري : (قال أصحابُ الحديثِ : لَسْنَا نقولُ في ذلك إلاَّ ما قالَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أو جاءت به الروايةُ من رسولِ اللهِ صلّى اللَّه عليه وسلَّم فنقولُ وجهٌ بلا كيف ويدان وعينان بلا كيف)[٣] .

وأما ما ذهب اليه البيضاوي هو تأويل المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم .

قال عبد القادر بن طاهر البغدادي من الأشاعرة :

(والصحيح عندنا أنَّ وجهه ذاته وعينه رؤيته للأشياء . وقوله " ويبقى وجه ربك " معناه : ويبقى ربك ولذلك قال ذو الجلال والاكرام بالرفع لأنه نعت الوجه . ولو أراد الاضافة لقال ذي الجلال والاكرام بالخفض)[٤] .

وحكى الأشعري قول المعتزلة في الوجه فقال : (قال بعضهم " وهو أبو الهذيل " وجه اللَّهِ هو اللَّه" وقال غيره : معنى قوله "ويبقى وجه ربك" : ويبقى ربك من غير أن يكون يثبت وجهاً يقال انه هو الله ولا يقال ذلك فيه .)[٥]

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٤

(٢) تفسير البيضاوي

(٣) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ١ / ٢١٧

(٤) أصول الدين ص ٤٢٩

(٥) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ١ / ٢١٨

ونقل عن المعتزلة قول الزمخشري في تفسير الكرسي . قال الزمخشري :

" وسع كرسيه أربعة أوجه، أحدها: أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته وسعته ، وما هو إلاّ تصويرٌ لعظمته وتخييلٌ فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد، كقوله " وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ". من غير تصور قبضة وطي ويمين ، وانما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي .

ألا ترى إلى قوله تعالى : " وما قدروا الله حق قدره ". والثاني وسع علمه وسمى العلم كرسياً تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم ، والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك . والرابع ما روى أنه خلق كرسياً هو بين يدي العرش دونه السموات والأرض وهو إلى العرش كأصغر شيء)[1].

أنظر كيف أتى بالتأويل أولاً وذهب فيه ما ذهب، ثم أتى بالحديث في الآخر كالقول الضعيف . وصرف اللفظ عن ظاهره في مثل هذه الآيات لا يجوز، إلاّ بشروط أربعة ذكرها ابن تيمية فقال :

(فصرفها - أي النصوص - عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر، ومجاز ينافي الحقيقة ،لا بُدَّ فيه من أربعة أشياء :

أحدها : أنَّ ذلك اللفظ المستعمل بالمعنى المجازي ، لأنَّ الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي ، ولا يجوز أنْ يراد بشيء منه خلاف لسان العرب أو خلاف الألسنة كلها ، فلابُدَّ أن يكون ذلك المعنى المجازي ما يراد به اللفظ ، وإلاّ فيمكن كل مبطل أَنْ يفسر أي لفظ بأي معنى سنح له وإنْ لم يكن له أصل في اللغة .

---

(١) الكشاف ٣٨٦/١

الثانى : - أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه ، وإلا فاذا كان يستعمل فى معنى بطريق الحقيقة ، وفى معنى بطريق المجاز ، لم يجز حمله على المجازى بغير دليلٍ يوجب الصرف ، باجماع العقلاء . ثم إنْ أدى وجوب صرفه عن الحقيقة فلابُدَّ له من دليلٍ قاطعٍ عقلى أو سمعى يوجب الصرف ، وإنْ ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلابُدَّ من دليل مرجح للحمل على المجاز .

الثالث : - أنه لابُدَّ أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن المعارض . وإلاَّ فاذا قام دليل قرآنى أو إيمانى يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها . ثم إنْ كان هذا الدليل نصاً قاطعاً لم يلتفت الى نقيضه وان كان ظاهرًا فلابُدَّ من الترجيح .

الرابع : - أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته ، فلابُدَّ أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته ، وأنَّه أراد مجازه . سواءً عيَّنه أو لم يعيِّنه ، لاسيما فى الخطاب العلمى الذى أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم دون عمل الجوارح ، فإنه سبحانه وتعالى جعل القرآن نوراً ، وهدىً وبياناً للناس وشفاءً لما فى الصدور وأرسلَ الرسولَ ليبين للناس ما نزل إليهم ، وليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ولئلا يكونَ للناس على الله حجةٌ بعد الرسل) (١) .

فمذهبُ أهل السنة هو الايمان بما جاء فى آيات الصفات وإمرارها بلا كيفٍ من غير تأويل ولا تشبيهٍ ولا تعطيلٍ قال ابن تيمية فى مقدمة التفسير : (وأما أهل السنه فيقولون . الاستواء على العرش صفة لله بلا كيفٍ يجب على الرجل الايمان به ويَكِلِ العلم فيه إلى الله . وسأل رجلٌ مالكَ بن أنس عن

---

(١) الفتاوى الكبرى ٦/ ٣٦٠ ، ٣٦١

قوله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ فأطرق مالكٌ رأسه مليا وعلاه الرحضاء ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيفُ غير معقول ، والايمان به واجبٌ ، والسؤالُ عنه بدعة ، وما أراك إلاَّ ضالاً . ثم أمر به فأخرج ، قال : روى عن سفيان الثورى ، والأوزاعى والليث بن سعد ، وسفيان بن عيينه ، وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة فى هذه الآيات التى جاءت فى الصفات المتشابهة . أمِرُّوها كما جاءت بلا كيفٍ) (١) .

وقال ابنُ كثيرٍ فى آيات الصفات عند تفسير قوله تعالى " ثم استوى على العَرش" . قال : (إنّما نسلك فى هذا المقام مذهب السلف الصالح ، مالك والأوزاعى والثورى والليث بن سعد والشافعى وأحمد واسحاق ابن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً ، وهو امرارها كما جاءت من غير تكييفٍ ولا تشبيهٍ ولا تعطيلٍ . والظاهرُ المتبادر إلى أذهان المشبهين منفيٌ عن الله فإنّ اللهَ لا يشبهه شيءٌ من خلقه " لَيْسَ كَمِثْلِه شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ " (٢) . بل الأمرُ كما قاله الأئمة ، منهم نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى قال : مَنْ شَبَّه اللّهَ بخلقه كَفَرَ ، وَمَنْ جَحَدَ ما وصف اللّهُ به نفسه فقد كَفَرَ . وليس فيما وصف اللّهُ به نفسه ولا رسوله تشبيهٌ فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذى يليق بجلال الله ، ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى) (٣) .

وفى الختام لابُدَّ من ذكر كلمة للشيخ محمد الأمين الشنقيطى فى كتابه أضواء البيان عن تفسير قوله تعالى : " ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْش " (٤) . لخص

---

(١) الفتاوى الكبرى مقدمة التفسير ٣ / ٤٠٠ ، ٤٠١

(٢) سورة الشورى آية ١١

(٣) تفسير ابن كثير ٢ / ٢٢٠

(٤) سورة الأعراف آية ٥٤

حاصل المسألة فى أمرين فقال : (تحقيق المسألة مركب من أمرين :

أحدهما : - تنزيهُ اللّهِ جَلَّ وعلا عن مشابهة الحوادث فى صفاتهم سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

والثانى : - الايمانُ بكل ما وصف اللّه به نفسه فى كتابه ، أو وصفه به رسولُه صلَّى الله عليه وسلَّم . لأنه لا يصف اللّهَ أعلم باللّهِ من اللّه . " أَأَنْتُم أَعْلَمُ أَمِ اللّه " (١)
ولا يصف الله بعد اللّه أعلم باللّه من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، الذى قال فيه : " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى " (٢) . فمن نفى عن اللّه وصفاً أثبته لنفسه فى كتابه العزيز، أو أثبته له رسوله صلى اللّه عليه وسلم زاعماً أن ذلك الوصف يلزمه مالا يليق باللّه جَلَّ وعلا ، فقد جعل نفسه أعلم من اللّه ورسوله بما يليق بالله جَلَّ وعلا . سبحانك هذا بهتان عظيم .

وَمَنْ اعتقد أن وصف اللّه يشابه صفات الخلق ، فهو مشبه ملحد ضال .
وَمَنْ أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى اللّه عليه وسلم مع تنزيهه جَلَّ وعلا عن مشابهة الخلق، فهو مؤمنٌ جامعٌ بين الايمان بصفات الكمال والجلال ، والتنزيه عن مشابهة الخلق، سالمٌ من ورطة التشبيه والتعطيل) (٣)

. . . .

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٠
(٢) سورة النجم آية ٣ ، ٤
(٣) أضواء البيان ٢/٣٠٥

موقفه من آيات الأحكام

كان البيضاوى فى ذكره لآيات الأحكام يحتج لمذهب الشافعية ويذكر أدلتهم ويهمل أدلة مخالفى الشافعية، ففى تفسير سورة الفاتحة قال :

(بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك رحمه الله تعالى والشافعى، وخالفهم قراء المدينة

والبصرة والشام وفقهاؤهما ، ومالك والأوزاعى ولم ينص أبو حنيفه رحمه الله تعالى فيه بشىء فظن أنها ليست من السورة عنده وسئل محمد ابن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى . ولنا أحاديث كثيرة منها ما روى أبو هريرة رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال : " فاتحة الكتاب سبع آيات أولا هُنَّ بسم الله الرحمن الرحيم "(١).

وقول أم سلمة رضى الله عنها : " قرأ رسولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وسَلَّم الفاتحةَ وعَدَّ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آيةً "(٢). ومن أجلهما اُختلِفَ فى أنها آية برأسها أم بما بعدها . والاجماعُ على أَنَّ ما بين الدفتين كلام الله سبحانه وتعالى ، والوفاق على اثباتها فى المصاحف مع المبالغة فى تجريد القرآن حتى لم تكتب آمين)(٣).

(١) أخرجه البيهقى فى السنن كتاب الصلاة باب افتتاح القراءة فى الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم والجهر بها اذا جهر بالفاتحة ٢/ ٤٦ . وأخرجه الدارقطنى كتاب الصلاة باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة والجهر بها ١/ ٣٠٦ ، وله شواهد عديدة .

(٢) أخرجه إبن خزيمة فى كتاب الصلاة باب بسم اللّه الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب ١/ ٢٤٨ وأخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب الصلاة ١/ ٢٣٢

(٣) تفسير البيضاوى ص ٢

هكذا أورد البيضاوى الأدلة النقلية والعقلية وأهمل أدلة مخالفيه، وهى - منها ما أخرجه مسلم عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من صلى صلاةً لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خراج ثلاثاً غير تمام .
فقيل لأبى هريرة إنّا نكون وراء الامام فقال اقرأ بها فى نفسك، فإنّى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى قسّمت الصلاةَ بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدنى عبدى ، واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى علىّ عبدى، واذا قال مالك يوم الدين ، قال مجدنى عبدى ، وقال مرة فوّض إلىّ عبدى ، فإذا قال إيّاك نعبد وإيّاك نستعين ، قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل". [١]

والحديث لم يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم، فلم يقل فإذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ولكن قال فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين . قال النووى : (إحتج القائلون بأن البسملة ليست من الفاتحة بهذا الحديث وهو من أوضح ما احتجوا به . قالوا لأنّها سبع آيات بالاجماع، فثلاث فى أولها ثناء، أولها الحمد لله وثلاث دعاء، أولها اهدنا الصراط المستقيم، والسابعة متوسطة وهى اياك نعبد واياك نستعين . قالوا ولأنه سبحانه وتعالى قال: قسّمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين فلم يذكر البسملة ولو كانت منها لذكرها) . [٢]

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الصلاة باب قراء الفاتحة فى كل ركعة ١٠١/٤ ، ١٠٢

(٢) شرح النووى لصحيح مسلم كتاب الصلاة باب قراء الفاتحة فى كل ركعة ١٠٣/٤ .

وكذلك أخرج مسلم عن أنس ابن مالك قال : " صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم "(١). قال النووى : (وفى رواية " وكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم فى أول قراءة ولا فى آخرها ") إلى أَنْ قال : (إستدل بهذا الحديث مَنْ لا يرى البسملة من الفاتحة ومَنْ يراها منها يقول لا يجهر)(٢).

وغير ذلك من الأحاديث فغلب على البيضاوى ميله لمذهب الشافعى وَمَنْ وافقه، فأورد أدلتهم وترك أدلة المعارضين، فلو أوردها وأبطل الاستدلال بها لكان أولى فى رأيى من اهمالها .

ويظهر ترجيحه لمذهبه وانتصاره له عندما أوّل الأحاديث التى تعارض ما ذهب إليه . فعند تفسير قوله تعالى : " وإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا "(٣). قال البيضاوى : (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ . سافرتم، فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة، بتنصيف ركعاتها، ونفى الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ، ويؤيده أنه صلى الله عليه وسلم أتم فى السفر، وأن عائشة رضى الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت : يا رسول الله قصرت وأتممت وصمت وأفطرت . فقال : أحسنت يا عائشة. وأوجبه أبو حنيفة لقول عمر رضى الله تعالى عنه، صلاة السفر ركعتان تام غير قصر على

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الصلاة باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة ٤/١١٠

(٢) شرح النووى لصحيح مسلم كتاب الصلاة باب حجة من قال لا يجهر بالسملة ٤/١١١

(٣) سورة النساء آية ١٠١

لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضى الله عنها : أوّل ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت فى السفر وزيدت فى الحضر . وظاهرهما يخالف الآية الكريمة فإنْ صحا فالأول مؤوّل بأنه كالتام فى الصحة والاجزاء . والثانى لا ينفى جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الآية بأنهم ألفوا الأربع فكانت مظنة لأن يخطر ببالهم أن ركعتى السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصراً على ظنهم، ونفى الجناح فيه لتطيب به نفوسهم وأقل سفر تقصر فيه أربعة برد عندنا وستة عند أبى حنيفة) (١) .

أخذ البيضاوى بقول الشافعى ومَنْ وافقه، أن القصر فى صلاة السفر رخصة وليس عزيمة لأنّ الآية تنص على نفى الجناح، ونفى الجناح يدل على الرخصة وليس على العزيمة واستدل بما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتم فى السفر ، ثم أورد حديث عائشة رضى الله عنها من أنها أتمت وقصرت وصامت وأفطرت وأقرها النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال : أحسنت يا عائشة .

فاتمام النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة فى السفر قد أخرجه الدارقطنى فقال : " حدثنا المحاملى . حدثنا سعيد بن محمد بن أيوب. حدثنا أبو عاصم . حدثنا عمر بن سعيد عن عطاء عن عائشة : " أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقصر فى الصلاة ويتم ، ويفطر ويصوم ". قال الدارقطنى وهذا اسنادٌ صحيحٌ (٢) .

وحديث عائشة أيضا أخرجه الدارقطنى من طريق أبى بكر النيسابورى (قال حدثنا عبدالله بن محمد بن زياد وعبد الله بن محمد بن اسحاق المروزى

---

(١) تفسير البيضاوى ص ١٢٤

(٢) سنن الدارقطنى مع التعليق المغنى كتاب الصيام ٢/١٨٩ .

قالا : أخبرنا محمد بن ابراهيم بن كثير الصورى ح وحدثنا أبوبكر النيسابورى حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الغزى قالا أخبرنا محمد بن يوسف الغريابى حدثنا العلاء بن زهير عن عبد الرحمن بن الاسود عن أبيه ، عن عائشة قالت: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمرة رمضان، فأفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصمتُ ، وقصر وأتممتُ ، فقلت يا رسول الله بأبى وأمى أفطرت وصمت . وقصرت وأتممت ، فقال أحسنت ياعائشة ". قال الدارقطنى متصل وهو اسناد حَسَنٌ وعبد الرحمن قد أدرك عائشة ودخل عليها وهو مراهق وهو مع أبيه وقد سمع منها)(١) .

والحقيقة أن قصر الصلاة فى السفر هل هو عزيمة أم رخصةٌ أمرٌ اختلف فيه السلف والخلف . فقال قومٌ القصر واجب وعزيمة لا بُدَّ منها، هو قول عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ، وابن عمر وجابر وابن عباس وعمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة وحماد بن أبى سليمان وهو قول أصحاب الرأى .

وقال قوم القصر رخصة والمسافر بالخيار إنْ شاء أتم وإنْ شاءَ قصر وهو قول عثمان بن عفان وسعد بن أبى وقاص، وابن مسعود، وهو قول الشافعى والمالكية وابى ثور وقال به البيضاوى ودافع عنه (٢) .

وأورد البيضاوى أدلة القائلين بوجوب القصر فى السفر . وهى حديث عمر رضى الله عنه أن صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر، وحديث عائشة رضى الله عنها أن الصلاة فرضت ركعتين فأقرت فى السفر وزيدت فى الحضر، وشكَّ البيضاوى

---

(١) سنن الدارقطنى مع التعليق المغنى كتاب الصيام ٢/١٨٨

(٢) انظر مختصر سنن ابى داود للمنذرى ٢/٤٨

فى صحة الحديثين . والغريب أن الحديثين صحيحان، حديث عائشة أخرجه البخارى فقال : " حدثنا عبد الله بن يوسف . قال أخبرنا مالك عن صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : فرض اللّه الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر ، فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر " (١).

وأخرجه مسلم فقال : " حدثنا يحيى بن يحيى قال : قرأت على صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر " (٢).

وحديث عمر رضى الله عنه أخرجه النسائى فقال : " أخبرنا حميد بن مسعدة عن سفيان وهو بن حبيب عن شعبة عن زبيد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عمر قال : صلاة الجمعة ركعتان، والفطر ركعتان، والنحر ركعتان، والسفر ركعتان تمام غير قصر على لسان النبى صلى الله عليه وسلم " (٣).

وأخرجه ابن ماجة فقال : " حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة قال . حدثنا شريك عن زبيد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عمر قال: صلاة السفر ركعتان والجمعه ركعتان والعيد ركعتان . تمام غير قصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم " (٤).

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارىء كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلاة فى الاسراء ١/ ٤٦٤

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٥/ ١٩٤

(٣) سنن النسائى كتاب تقصير الصلاة فى السفر ٣/ ١١٨

(٤) سنن ابن ماجة أبواب اقامة الصلاة باب تقصير الصلاة فى السفر ١/ ١٩١ .

وأخرجه مسلم برواية ابن عباس فقال : " حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد جميعاً عن القاسم بن مالك قال عمرو : حدثنا قاسم بن مالك المزني . حدثنا أيوب بن عائذ الطائي عن بكير بن الأخنس عن مجاهد عن ابن عباس قال : إنَّ الله فرض الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم على المسافر ركعتين وعلى المقيم أربعاً وفى الخوف ركعة " . (١)

إذاً فتأويلُ معنى الحديثين عند البيضاوى لدفع التعارض مقبول ، لكن الشك فى صحة الحديثين غير مقبول ، نسبة لورودهما فى الصحيحين البخارى ومسلم اللذين أجمعت الأمة على صحة ما فيهما من حديث .

وأما تأويل الأحاديث المتعارضه والجمع بينهما فقد اختلف فيه العلماء أيضا ، وأولى ما قيل فيه ، ما قاله النووى وهو موافق لتأويل البيضاوى ، فقد قال النووى رحمه الله : (اختلف العلماء فى القصر فى السفر ، فقال الشافعى ومالك بن أنس وأكثر العلماء يجوز القصر والاتمام والقصر أفضل ، ولنا قول أن الاتمام أفضل ، ووجهه أنهما سواء والصحيح المشهور أن القصر أفضل ، وقال أبو حنيفة وكثيرون القصر واجب ولا يجوز الاتمام ، ويحتجون بهذا الحديث - يعنى حديث عائشة فرضت الصلاة ركعتين ركعتين - وبأن أكثر فعل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كان القصر . واحتج الشافعى وموافقوه بالأحاديث فى صحيح مسلم وغيره أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يسافرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم القاصر ومنهم المتم ومنهم الصائم ومنهم المفطر ، لا يعيب بعضهم على بعض ، وبأن عثمان كان يتم وكذلك عائشة وغيرها وهو ظاهر قول الله عز وجل :

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٥/١٩٧ .

" فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة " وهذا يقتضى رفع الجناح والاباحة.

أما حديث فرضت الصلاة ركعتين فمعناه فرضت ركعتين لمن أراد الاقتصار عليهما، فزيد فى صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتيم، وأقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار. وثبتت دلائل جواز الاتمام فوجب المصير إليها والجمع بين دلائل الشرع) (١).

وهذا حَقٌّ. ولمثل هذا التأويل ذهب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم.

أخرج مسلم فى صحيحه فقال : " حدثنى على بن خشرم، أخبرنا ابن عيينة عن الزهرى عن عروة عن عائشة : أَنَّ الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر . قال الزهرى. فقلت لعروة ما بَالُ عائشة تتم فى السفر ؟ قال: إنَّها تأوَّلت كما تأوّل عثمان" (٢)

وقد كان عثمان رضى الله عنه يتم الصَّلاَة فى السفر آخر خلافته، أُثِـرَ ذلك عنه فى الحج بمنى ، روى ذلك مسلم أيضاً فى صحيحه فقال :

" حدثنى حرملة بن يحيى . حدثنا ابن وهب . أخبرنى عمرو وهو ابن الحارث عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى صلاة المسافر بمنى وغيره ركعتين وأبو بكر وعمر وعثمان ركعتين صدراً من خلافته ثم أتمها أربعاً ". (٣)

---

(١) شرح النووى لصحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٥/١٩٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٥/١٩٥.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٥/٢٠٣.

والتأويل الذى ذهب إليه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن القصر جائز قال النووى : (اختلف فى تأويلهما - يعنى عائشة وعثمان رضى الله عنهما - فالصحيح الذى عليه المحققون أنهما رأيا القصر جائزاً والاتمام جائزاً فأخذا بأحد الجائزين وهو الاتمام) (١) .

والبيضاوى فى بعض آيات الأحكام يردُّ ما نصت عليه الآيةُ من دليلٍ ويخالف صحيح السنة . ففى قوله تعالى " وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُم فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ فِى يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ" (٢) . قال : (كتب لهن . فُرِضَ لَهُنَّ فى الميراث فان أولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون ما لهن وإلاَّ كانوا يفضلونهن طمعاً فى ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة إذ لا يلزم من الرغبة فى نكاحها جريان العقد فى صغرها) (٣) .

والحديث الذى ورد فى البخارى : " حدثنا أبو اليمان . أخبرنا شعيب عن الزهرى . وقال الليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب أخبرنى عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضى الله عنها قال لها : يا أمتاه " وان خفتم الَّا تقسطوا فى اليتامى - إلى ما ملكت ايمانكم " قالت عائشة : يا ابن أختى هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد أن ينتقص

---

(١) شرح النووى لصحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٥/١٩٥ .

(٢) سورة النساء آية ١٢٧

(٣) تفسير البيضاوى ص ١٢٩ .

من صداقها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن فى اكمال الصداق ، وأمروا بنكاح مَنْ سواهن من النساء ، قالت عائشة : استفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله : " ويستفتونك فى النساء - إلى "وترغبون أن تنكحوهن " فأنزل الله عز وجل لهم فى هذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات مال وجمال ورغبوا فى نكاحها ونسبها والصداق ، وإذا كانت مرغوباً عنها فى قلة المال والجمال تركوها وأخذوا غيرها من النساء . قالت : فكما يتركونها حين يرغبون عنها ، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها الا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى من الصداق ".(١)

قال ابن حجر : " فيه دلالة على تزويج الولى غير الأب التى دون البلوغ بكرا كانت أو ثيبا ، لأن حقيقة اليتيمة من كانت دون البلوغ ولا أب لها ، وقد أذن فى تزويجها بشرط الا يبخس من صداقها ، فيحتاج من منع ذلك الى دليل قوى . وقد احتج بعض الشافعية بحديث " لا تنكح اليتيمة حتى تستأمر".(٢) قال : فإنْ قيل الصغيرة لا تستأمر ، قلنا فيه إشارة الى تأخير تزويجها حتى تبلغ فتصير أهلاً للاستئمار . فإنْ قيل لا تكون بعد البلوغ يتيمة ، قلنا التقدير لا تنكح اليتيمة حتى تبلغ فتستأمر ، جمعاً بين الأدلة).(٣)

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب النكاح باب تزويج اليتيمة ٩/١٩٧ ورواه مسلم فى كتاب التفسير ١٨/١٥٤ - ١٥٥.

(٢) مسند احمد ٢/١٣٠ بلفظ (هى يتيمة فلا تنكح الا باذنها)

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى ٩/١٩٧.

وقد يكون الحق مع البيضاوى فى بعض الأحكام وتكون الآية المراد تفسيرها دليلَ المعارضين فيما يعتقدون فيرد الاستدلال بالآية وينصر مذهبه . ففي قوله تعالى : " وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ "(١) قال البيضاوى : (استدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالباً أن لا يقصد منه غيره أصلا . ويدل عليه أن الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على أن الحمر الأهلية حرّمت عام خيبر)(٢) .

وقال ابن رشد : (جمهور العلماء على تحريم لحوم الحمر الانسية إلاَّ ما روى عن ابن عباس وعائشة أنهما كانا يبيحانها ، وعن مالك أَنَّه كان يكرهها . ورواية ثانية مثل قول الجمهور . وكذلك الجمهور على تحريم البغال ، وقوم كرهوها ولم يحرموها وهو مروى عن مالك ، وأما الخيل فذهب مالك وأبو حنيفة وجماعة إلى أنَّها محرمة وذهب الشافعى وأبو يوسف ومحمد وجماعة إلى إباحتها .

والسبب فى اختلافهم فى الحمر الانسية معارضة الآية المذكورة للأحاديث الثابتة فى ذلك من حديث جابر وغيره قال : " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية ، واذن فى لحوم الخيل ".(٣)

---

(١) سورة النحل آية ٨

(٢) تفسير البيضاوى ص ٣٥٢

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الصيد والذبائح باب لحوم الخيل ٩ / ٦٤٨

وأخرجه مسلم فى كتاب الصيد والذبائح باب اباحة أكل لحم الخيل ١٣ / ٩٥

فَمَنْ جمع بين الآية وهذا الحديث حملها على الكراهة ، وَمَنْ رأى النسخ قال بتحريم الحمر أو قال بالزيادة دون أن يوجب عنده نسخاً . وقد احتج مَنْ لم ير تحريمها بما روى عن ابن اسحاق الشيبانى عن أبى أوفى قال : " أصبنا حُمُراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وطبخناها ، فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اكفؤا القدور بما فيها . قال ابن اسحاق . فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال : إنَّما نهى عنها لأنَّها كانت تأكل الجلة ." (١)

وأما اختلافهم فى البغال فسببه معارضة دليل الخطاب فى قوله تعالى : " وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً " . وقوله مع ذلك فى الأنعام "لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ " (٢) للآية الحاصرة للمحرمات لأنه يدل مفهوم الخطاب فيها ، أَنَّ المباح فى البغال إنَّما هو الركوب مع قياس البغل أيضا على الحمار . وأما سبب اختلافهم فى الخيل فمعارضة دليل الخطاب فى هذه الآية لحديث جابر ، ومعارضة قياس الفرس على البغل والحمار له . لكن اباحة لحم الخيل نص فى حديث جابر فلا ينبغى أن يعارض بقياس ولا بدليل خطاب) (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم بغير زيادة إبن إسحاق وسؤاله سعيد بن جبير كتاب الصيد والذبائح ١٣/ ٩٢ والجلّة هى العذرة .

(٢) سورة غافر آية ٧٩

(٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ٢/ ٤٠٢ ، ٤٠٣

وفى بعض الأحيان يذكر أقوال الفقهاء من غير ترجيح ولا مناصرة مذهب ويترك للقارئ الأخذ بأيها شاء مع ذكر الرأى الأقوى أولاً ثم الذى يليه الى آخر الأقوال . ففى تفسير قوله تعالى : " وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (١).

قال البيضاوى : (المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين فكأنه قال : فإنّ لله خمسه يصرف إلى هؤلاء الأخصين به وحكمه بعد باق غير أنّ سهم الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كما فعل الشيخان رضى الله تعالى عنهما ، وقيل إلى الامام ، وقيل إلى الأصناف الأربعة . وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكل معروفا الى الثلاثة الباقية . وعن مالك رضى الله تعالى عنه الآمر فيه مفوض إلى رأى الامام يصرفه إلى ما يراه أهم . وذهب أبو العالية إلى ظاهر الآية فقال : يقسم ستة أقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روى أنه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقى إلى خمسة . وقيل سهم الله إلى بيت المال . وقيل هو مضموم الى سهم الرسول صلى الله عليه وسلم . وذوو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوى القربى عليها فقال له عثمان وجبير

---

(١) سورة الأنفال آية ٤١ .

ابن مطعم هؤلاء اخوتك بنوا هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك منهم . أرأيت اخواننا من بنى المطلب أعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة؟ فقال عليه الصلاة والسلام انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا فى اسلام وشبك بين أصابعه . (١) وقيل بنوا هاشم وحدهم . وقيل جميع قريش والغنى والفقير فيه سواء . وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم ، والمراد باليتامى وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص) . (٢)

قسمة الغنيمة عند جمهور العلماء أَنَّ الخمس للإمام يصرفه كيف شاء من الأصناف المذكورة كاليتامى والمساكين وابن السبيل وغيرهم والأربعة أخماس للمحاربين . قال القرطبى : (الله سبحانه وتعالى أضاف الغنيمة للغانمين فقال : " وأعلموا أَنَّمَّا غنمتم من شيء " ثم عين الخمس لمن سمى فى كتابه وسكت عن الأربعة الأخماس ، كما سكت عن الثلثين فى قوله " وورثة أبواه فلأمه الثلث " فكان للأب الثلثان اتفاقاً . وكذا الأربعة الأخماس للغانمين اجماعاً ، على ما ذكره ابن المنذر ، وابن عبد البر ، والداودى ، والمازرى أيضا والقاضى عياش وابن العربى) . (٣)

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب فرض الخمس باب ومن الدليل على أن الخمس للامام صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٧ / ٥٣ وأخرجه النسائى كتاب قسم الفيء سنن النسائى بشرح السيوطى ٧ / ١٣١ .

(٢) تفسير البيضاوى ص ٢٤٠ ، ٢٤١

(٣) تفسير القرطبى ٨ / ٣

وقال ابن حجر : (أجمعوا على اللام فى قوله تعالى " لله" للتبرك ، إلاّ ما جاء عن أبى العالية فانه قال : تقسم الغنيمة خمسة أسهم ، ثم السهم الأول يقسم قسمين قسمٌ لله وهو للفقراء ، وقسمٌ للرسول وأما من بعده فيضعه الامام حيث يراه) (١) .

وقد كان النبى صلّى الله عليه وسلّم قبل فرض الخمس يعطى الغنيمة للغانمين بحسب ما يؤدى إليه اجتهاده ، فلما فرض الخمس تبين للغانمين أربعة أخماس الغنيمة لا يشاركهم فيها أحد" وخمس خاص بالنبى صلّى اللّه عليه وسلّم مفوض إلى رأيه يضعه حيث يشاء ،وكذلك إلى الإمام من بعده وقد كانوا فى الجاهليه يرون أنّ للرئيس ربع الغنيمة قال الأصمعى ربع فى الجاهلية وخمس فى الاسلام (٢) فأنزل الله تعالى " واعلموا أنّما غنمتم من شىء فانّ لله خمسه " فأسقط حكم الجاهلية وأحكم الدين .

ذلك هو موقف البيضاوى من آيات الأحكام ، يذكر الحكم الذى تدل عليه الآية ويذكر أقوال الفقهاء مع ترجيح مذهب الشافعى فى أغلب الأحيان .

. . . .

---

(١) فتح البارى ٧/٢٥

(٢) انظر تفسير القرطبى ٨/١٤ .

موقفه من القراءات

تمهيد في تاريخ القراءات

نزل القرآن على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عربياً غير ذي عوج، وتلقاه وحياً من الله عَزَّ وجَلَّ عن طريق جبريل عليه السلام ، جامعاً لكل لغات العرب تخفيفاً على القبائل ومراعاةً للهجاتها المختلفة، فلم ينزل القرآن بلغة قريش وحدها بل نزل بلغة تميمٍ ولغة طي ولغة خزاعة وغيرها بل نزل بكل لغات العرب، فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : " أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرفٍ " (١).

وفي حديث عمر رضي الله عنه قال : " إِنَّ هذا القرآن أُنزِل على سبعة أحرفٍ فأقرءوا ما تيسَّر منه " (٢).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُعلِّم أصحابَه القرآن بكل هذه الأحرف فكانت كل قبيلة تقرأ القرآن وكما أقرأها النبي صلَّى الله عليه وسلَّم على لغتها وعلى حرفها . وحدث أنِ التبس على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سمع هشام بن حكيم يقرأ القرآن على حرفه الذي أقراه إيّاه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأنكر عليه عمر ظَنّاً منه أَنَّ قراءة هشام بن حكيم ليست من القرآن فاختصما إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأقر كل على قراءته . روى ذلك البخاري

---

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري كتاب فضائل القرآن ١٠/ ٣٩٨، ٣٩٩
(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري كتاب فضائل القرآن ١٠/ ٤٠١

فقال : عن ابن شهاب قال حدثني عروة ابن الزبير أَنَّ المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القارىء حدثاه أنَّهما سمعا عمر بن الخطاب يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلَّم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال أقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرانيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت إنِّي سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت . ثم قال اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت، إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه ". (١)

وتحدث العلماء في هذه الأحرف والمراد منها واختلفوا في معناها ، قال ابن حجر المراد بالأحرف تأدية المعنى باللفظ المرادف ولو كان من لغة واحدة وعزا هذا القول لابن عبد البر الذي قال أن ذلك نقل عن أكثر أهل العلم . (٢) وقيل المراد بها اختلاف اللغات .

وعلى أي معنى من المعاني فالقرآن نزل على سبعة أحرفٍ من لغات العرب قاطبة ، والكلام في الأحرف السبعة طويل تناولته كتب علوم القرآن .

---

(١) صحيح البخاري بشرح فتح البارىء كتاب فضائل القرآن ١٠/٣٩٩-٤٠١

(٢) انظر المرجع السابق .

وفى فترة نزول القرآن اتخذ النبى صلى الله عليه وسلم كُتَّاباً للوحى وهـم :
عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وزيد بن ثابت وأبى بن كعب وعبد الله
ابن مسعود وأنس بن مالك .

ولما انتقل الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى كان القرآن
قد كتب فى الرقاع والاقتاب وغيرها، وحفظ كذلك فى الصدور عند كثير من الصحابة .
وخلف أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقامت حروب الردة فى عهده وقتل
مِنْ حفظة الوحى فى هذه الحروب عدد كبير، الشىء الذى أخاف عمر رضى
الله عنه فدخل على أبى بكر بعد سنتين من خلافته فقال : إنَّ أصحـاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهافتون فى الحرب تهافت الفراش فى النـار،
وإنّى أخشى أن يقتلوا جميعا وهم حملة قرآن ، فيضيع منه الكثير . وإنى أرى
أن تجمع القرآن كله فى مصحفٍ واحدٍ . فتردد أبو بكر وتوقف فى الأمر، ورأى أنه
يفعل أمراً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال به عمر يراجعه حتى
شرح الله صدره لذلك . وجمع الحفظة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .
وكان منهم زيد بن ثابت وأبى بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعثمان بن عفان
وعلى بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله، وحذيفة بن اليمان، وأبو الدرداء وغيرهم،
فاجتمعوا برئاسة زيد بن ثابت وجمعوا كل ما كتب من القرآن باملاء النبى صلى
الله عليه وسلم . وأمر أبو بكر زيداً أن يكتب القرآن كله على الترتيب الذى تلقاه
هو ومن معه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجمع القرآن على الأحرف السبعة
ووضعت الصحف عند الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه حتى توفى ثم عنـد
عمر رضى الله عنه حتى توفى، ثم عند ابنته حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها .

ومضى الناس يقرأون القرآنَ على الأحرف السبعةِ كلٌ يقرأ ما تيسر لـه منها ويقرئ تلاميذه ما تيسر من هذه الأحرف، وتفرقوا فى الأمصار يعلمـون القرآنَ للناسِ كلٌّ يعلّم بالحرف الذى تيسر له وبدأ الاختلاف بين القـراء. إذ كل مَنْ تعلَّم حرفا غير الحرف الذى تعلمه غيره ظن أَنَّ الحرف الذى تعلمه غيره غير صحيح، حتى إذا كانت سنة ثلاثين من الهجرة اجتمع فى غزوة اذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق ، واستمع بعضهم إلى بعض وهم يتلـون الكتاب فاشتدَّ الخلافُ بينهم فى القراءة وتنازعوا حَتَّى كَادَ يُكفِّر بعضُهم بعضـاً وكان حذيفة بن اليمان حاضراً فهاله الأمرُ فركب إلى الخليفة عثمان بن عفـان وقال له: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. إنّى سمعت أحدهم يقول للآخر قراءتى خيرٌ من قراءتك وإنى أخشى أن يكـون هذا كفرا . ففزع عثمان لذلك فزعاً شديداً . وأرسل الى أم المؤمنين حفصـة بنت عمر أَنْ أرسلى الينا الصحف ننسخها ونردها إليك ففعلت . فجمع عثمان جمهرة من القراء منهم عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بـن الحارث بن هشام وأمّر عليهم زيد بن ثابت وأمرهم أن يكتبوا للناس إماماً، وقـال لهم إذا اختلفتم أنتم وزيد فى شىء فاكتبوه بلسان قريش، فإنَّما بلسانهم نـزل . فكتبوا ثمانية مصاحف . قسمت فى الأمصار كالبصرة والكوفة والشام واليمن ومكـة المكرمة والبحرين ومصحف بالمدينة واحتفظ الخليفة لنفسه بمصحف . وأمـر باحراق ما عدا هذه المصاحف، فأحرقت مصاحف لبعض كبار الصحابة كعبد الله ابن مسعود وابى بن كعب حتى لا يدع فرصة لأى خلاف ممكن . وأمر المقرئين فى الأمصار أن يتمسكوا بهذه المصاحف . وانصاعت الأمة لأمر الخليفة عثمان وجمع الناس على المصحف الأمام .

والشيء الذى يجب ذكره فى هذا المقام أن القرآن لم يكن الاعتماد فيه على المكتوب فحسب بل الاعتماد فيه على المكتوب والمحفوظ فى الصدور، المتلقى بالسند الصحيح شفاهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق التواتر . فكان المحفوظ يوافق المكتوب فى المصحف الامام . وكتب مصحف عثمان رضى الله عنه خاليا من النقط والشكل ليستوعب جميع القراءات المتواترة عن الرسول عليه الصلاة والسلام.

ومضى زمنٌ على هذه الحال والناس يقرأون القرآن بما أقرأهم به الصحابة والتابعون، فظهر أهل البدع والأهواء فصاروا يقرأون القرآن وِفْقَاً لاهوائهم وبدعهم(فأجمع المسلمون أَنْ يتفقوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن فاختاروا من كل مصر وُجِّه إليها مصحف أئمة مشهورين بالثقة والأمانة فى النقل وحسن الدراية وكمال العلم، أفنوا عمرهم فى القراءة والاقراء واشتهر أمرهم وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم) (١).

وتفرَّق القراء فى البلاد، وعسر الضبط فوضع الأئمة ميزاناً يرجع إليه . وهو صحة سند القراءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقتها لرسم مصحف عثمان وموافقتها لوجهٍ من وجوه العربية .

(ولما كانت القراءة بالنسبة للتواتر وعدمه ثلاثة أقسام قسم اتفق على تواتره وهم السبعة المشهورة، وقسم اختلف فيه والأصح بل الصحيح المختار المشهور تواتره وهم الثلاثة بعدها، وقسم اتفق على شذوذه وهم الأربعة الباقية) (٢).

---

(١) اتحاف فضلاء البشر ص ٦

(٢) اتحاف فضلاء البشر ص ٩

أسماء القراء الأربعة عشر ورواتهم : -

١ - نافع المدني بن عبد الرحمن بن ابى نعيم، روى عنه مالك بن أنس وقالون والأصمعي وأبو عمرو بن العلاء وورش وغيرهم واشتهر بالرواية عنه قالون وورش .

٢ - أبو عمرو بن العلاء واسمه زبان بن العلاء التميمي المازني البصري ، روى عنه أبي زيد الأنصاري والأصمعي ويحيى اليزيدي وسيبويه واشتهر بالرواية عنه الدوري والسوسي عن يحيى اليزيدي عنه .

٣ - ابن كثير المكي واسمه عبد الله أبو معبد العطار الداري الفارسي ، روى عنه حماد بن زيد وحماد بن سلمة والخليل بن أحمد واشتهر بالرواية عنه أحمد بن محمد بن عبد الله البزي، ومحمد بن عبد الرحمن الملقب بقنبل من رواية البزي عنه .

٤ - ابن عامر الدمشقي واسمه عبد الله بن عمران اليحصبي . روى عنه يحيى بن الحارث وخلاد بن يزيد واشتهر بالرواية عنه هشام ابن عمار وابن زكوان عن أصحابهما عنه .

٥ - عاصم بن أبي النجود الكوفي . روى القراءة عنه حماد بن زيد وأبو بكر بن عياش واشتهر بالرواية عنه أبوبكر بن عياش وحفص بن سليمان .

٦ - حمزة بن حبيب الزيات الكوفي روى عنه يحيى بن زياد الفراء ويحيى بن المبارك واشتهر عنه بالرواية خلف بن هشام وخلاد بن سليم .

٧ - الكسائي : - واسمه أبو الحسن على بن حمزة أخذ القراءة عنه حفص الدوري، وأبو عبيد القاسم بن سلام واشتهر بالرواية عنه أبو الحارث الليث ابن خالد وحفص بن عمر الدوري .

هؤلاء هم السبعة المشهورين وأما بقية العشرة فهم كالآتى : -

٨ - أبو جعفر يزيد بن القعقاع روى عنه عيسى بن وردان وسليمان بن جماز .

٩ - يعقوب بن اسحاق الحضرمى روى عنه محمد بن المتوكل المشهور برويسى . وروح بن عبد المؤمن .

١٠ - خلف بن هشام البزار روى عنه إسحاق الوراق وادريس الحداد

وأما بقية الأربعة عشر فهم :

١١ - ابن محيصن محمد/بن عبد الرحمن السهمى روى عنه البزى وأبو الحسن ابن شنبوذ .

١٢ - يحيى بن المبارك اليزيدى روى عنه سليمان أبو أيوب بن حكيم الخياط وأحمد بن فرج أبو جعفر الضرير .

١٣ - الحسن البصرى . روى عنه شجاع بن أبى بصر البلخى والدورى .

١٤ - الأعمش وهو سليمان بن مهران روى عنه الحسن بن سعيد المطوعى وأبو الفرج الشنبوذى .(١)

هذه هى القراءات الأربعة عشر منها السبعة المشهورة وقد التبس على كثيرٍ من الناس أنّ القراءات السبعة اليوم هى الأحرف السبعة وهذا خطأ كبير فالقراءات السبعة جزء من الأحرف السبعة وليست تمثل الأحرف السبعة كلها، فالأحرف السبعة تشمل هذه القراءات الأربعة عشر وكذلك قراءة الصحابة التى أحرقت زمن عثمان .

---

(١) راجع اتحاف فضلاء البشر ص ٧ ، والسبعة فى القراءات لابن مجاهد وكتاب النشر فى القراءات العشر .

أما البيضاوى فقد درس هذه القراءات وأوردها فى تفسيره ووجّهها من العربية . فكان يذكر القراءات السبعة المتفق عليها ويذكر معها قراءة يعقوب الحضرمى كجزء من القراءة المتفق عليها، مع العلم أن قراءة يعقوب عند الجمهور فى الثلاثة المختلف فيهم . مثال ذلك فى سورة المائدة عند قوله تعالى : " فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ " .(١)

قال البيضاوى : (برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيون ويعقوب بمعنى فعليه أو فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم)(٢).

وفى قوله تعالى : " فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ " .(٣)

قال البيضاوى : (الأوليان : الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر مبتدأ محذوف أى هما الأوليان، أو خبر آخران، أو مبتدأ خبره آخران أو بدل منهما، أو من الضمير فى يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وأبوبكر عن عاصم " الأولين " على أنه صفة للذين أو بدل منه، أى من الأولين الذين استحق عليهم)(٤).

وفى قوله تعالى فى سورة المائدة أيضا فى قوله تعالى : " وإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِى " الآية .(٥)

---

(١) سورة المائدة آية ٩٥

(٢) تفسير البيضاوى ص١٦٢

(٣) سورة المائدة آية ١٠٧

(٤) تفسير البيضاوى ص ١٦٥

(٥) سورة المائدة آية ١١٠

قال البيضاوى : (قرأ نافع ويعقوب طائراً ويحتمل الأفراد والجمع كالباقر).[١]

هذه أمثلة من سورة المائدة فقط فضلاً عن باقى التفسير تدل على أن قراءة يعقوب الحضرمى عند البيضاوى قراءة لا تقل عن قراءة القراء السبعة ، نافع وابن كثير وعاصم والكسائى وحمزة وأبو عمر وابن عامر .

وأما القراءة الشاذة فقد كان البيضاوى يذكرها أحياناً ولا يكثر من ذكرها ولا يشير إلى أصحابها ، وغالبا ما يذكر قراءة الحسن البصرى فى آخر ذكره للقراءات يذكرها من غير أن يغزوها له مثال ذلك فى قوله تعالى فى سورة الزخرف : " أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ".[٢]

قال البيضاوى : (قرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ ، أى يربى وقرىء ينشأ ويناشأ بمعناه ونظير ذلك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى).[٣]

ويناشا هى قراءة الحسن البصرى .

جاء فى البدور الزاهرة فى القراءات الشاذة : (قرأ الحسن أو من يناشا بياء مضمومة ونون مفتوحة بعدها ألف وشين خفيفة مع البناء للمفعول على وزن يقاتل من باب المفاعلة . والمناشاة بمعنى الانشاء كالمغالات بمعنى الاغلاء).[٤]

---

(١) تفسير البيضاوى ص ١٦٦ .

(٢) سورة الزخرف آية ١٨

(٣) تفسير البيضاوى ص ٦٤٨

(٤) البدور الزاهرة ص ٨٠

موقفه من الأحرف المتروكة : -

والأحرف المتروكة هي الأحرف التي أمر الخليفة عثمان بن عفان بحرقها، وهي التي تخالف المصحف الذي اجتمع عليه الصحابة كحرف أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، وعائشة وغيرها، فقد كانت بها قراءات صحيحة ولكنها أحرقت قطعاً للخلاف بموافقة جميع الصحابة في زمن عثمان رضي الله عنه .
ولكن هذه الأحرف كانت محفوظة في الصدور وتناقلها جيلٌ عن جيلٍ .

وأما البيضاوي فقد تعرض لذكر هذه القراءات فذكر بعضاً منها في تفسيره على سبيل الاستئناس، فكان غالباً ما يذكر قراءة ابي بن كعب وابن مسعود مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى : " النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ".(١)

قال البيضاوي : (قرئ وهو أب لهم أي من الدين فان كل نبي أب لأمته).(٢)

وقراءة وهو أب لهم هي قراءة أبي بن كعب وابن عباس وعكرمة بن أبي جهل .
قال ابن العربي : (وفي رواية عكرمة . وهو أبوهم وأزواجه أمهاتهم ".(٣)

وقال القرطبي : (ان في مصحف أبي بن كعب : " وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم ". وقرأ ابن عباس " أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب وأزواجه أمهاتهم).(٤)

---

(١) سورة الأحزاب آية ٦
(٢) تفسير البيضاوي ص ٥٥٣
(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ١٥٠٧
(٤) تفسير القرطبي ٦/ ٥٢٠٥

وفي قوله تعالى : " وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ".(١)

قال البيضاوي : (وقرئ لا مستقر لها أي لا سكون فإنَّها متحركة دائماً ولا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس).(٢)

وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس. قال القرطبي : (وقرأ ابن مسعود وابن عباس " والشمس تجرى لا مستقر لها " اي انَّها تجرى في الليل والنهار لا وقوف لها ولا قرار إلى أن يكورها الله يوم القيامة).(٣)

وقال تعالى في سورة الصافات : " وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ".(٤)

قال البيضاوي : (قيل إدريس لأنَّه قرئ إدريس وإدراس مكانه وفي حرف أبي وإن إبليس).(٥)

....

(١) سورة يس آية ٣٨

(٢) تفسير البيضاوي ص ٥٨٥

(٣) تفسير القرطبي ٦ / ٥٤٧٢

(٤) سورة الصافات آية ١٢٣

(٥) تفسير البيضاوي ص ٥٩٦

توجيهه للقراءات

وقف البيضاوى عند كل آية فى كتاب الله تعالى فيها قراءات متعددة ، فأورد القراءة وبين وجهها من العربية ، ففى قوله تعالى : " وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا " (١). قال : (أجرى المستقبل مجرى الماضى لتحققه كقوله تعالى : " وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ " (٢). وأن القوة للّه جميعًا ساد مسد مفعولى يرى ، وجواب لو محذوف أى لو يعلمون أن القوة لله جميعًا إذ عاينوا العذاب لندموا أشد الندم ، وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان ، والتقدير : ولو يرى الذين ظلموا أندادهم لا تنفع لعلموا أن القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره . وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب "ولو ترى" على أنه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما . وابن عامر "إذ يُرون" على البناء للمفعول ويعقوب "إنَّ" بالكسر) (٣).

ففى توجيه قراءة نافع وابن عامر "ولو ترى" بالتاء قال : (حجتهما قوله : " وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ " (٤) ، " وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ " (٥) وجواب لو مكفوف ، المعنى : ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين عند رؤيتهم العذاب لرأيت أمراً عظيمًا ينزل بهم . وأَنَّ بمعنى لأن القوة للّه جميعا

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٥

(٢) سورة الأعراف آية ٤٤

(٣) تفسير البيضاوى ص ٣٤

(٤) سورة سبأ آية ٣١

(٥) سورة الأنفال آية ٥٠

ولأن الله شديد العذاب . ويجوز أن يكون العامل فى أن القوة الجواب ، المعنى فلو ترى يا محمد الذين ظلموا لرأيت أن القوة لله جميعاً . وهذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يراد به الناس أى لرأيتم أيها المخاطبون أن القوة لله ، أو لرأيتم أن الأنداد لم تنفع وانما بلغت الغاية فى الضرر . ولا يجوز أن يكون العامل فى "أن ترى" لأنه قد عمل فى الذين) .(١)

وقال فى توجيه قراءة مَنْ قرأ بالياء وهم حمزة والكسائى وأبو عمرو بن العلاء وعاصم وابن كثير ومن وافقهم من غير السبعة . قال : (حجتهم ما جاء فى التفسير : لو رأى الذين كانوا يشركون فى الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعاً . قال الزجاج : (أما مَنْ قرأ أن القوة فموضع أَنْ نَصْبٌ بقوله ولو يرى الذين ظلموا شدة عذاب الله وقوته لعلموا مضرة اتخاذهم الأنداد، وقد جرى ذكر الأنداد، ويجوز أن يكون العامل فى أن الجواب أى : ولو رأى الذين كانوا يشركون فى الدنيا أن القوة لله جميعا . وكذلك نَصْبُ أن الثانية والمعنى ،لو يرى الذين ظلموا فى الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرونه . " أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب")(٢)

وقال فى "إذ يُرونَ العذابَ" : (قرأ ابن عامر اذ يرون العذاب بضم الياء على ما لم يسم فاعله فعل يقع بهم ، تقول أريته كذا وكذا أى أظهرته له وقرأ الباقون اذ يَرون بفتح الياء يعنى الكفار) .(٣)

---

(١) حجة القراءات ص ١١٩ ، ١٢٠

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

ولا يخفى ما فيه من اتفاق بينه وبين توجيه البيضاوى . ولعل البيضاوى تأثر به لأن أبى زرعة من رجال المائة الرابعة والبيضاوى من رجال المائة السابعة .

وفى تفسير قوله تعالى : " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ " (١) .

قال : (قرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية إلى الطعام وجمع المساكين، وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين بغير إضافة الفدية إلى الطعام ، والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين . وقُرِئ يُطوقونه أى يكلفونه أو يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة أو القلادة . ويتطوقونه أى يتكلفونه أو يتقلدونه . ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه على أن أصلهما يطيوقونه يتطيوقونه من فيعل وتفعيل يتطيقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده - وهم الشيوخ والعجائز - فى الافطار والفدية فيكون ثابتاً، وقد أُوِّل به القراءة المشهورة أى يصومونه جهدهم وطاقتهم) (٢) .

وعلى قراءة يطيقونه أَنَّ الآية منسوخة بقوله تعالى " فمن شهد منكم الشهر فليصمه " . وعلى قراءة يطوقونه الآية محكمة . قال الشيخ أبى القاسم هبة الله بن سلامة فى كتابه الناسخ والمنسوخ : (كان الرجل فى بدء الاسلام إن شاء صام وان شاء أفطر، وأطعم مكان يومه مسكينا حتى قال الله تعالى فمن تطوع

---

(١) سورة البقرة ١٨٤

(٢) تفسير البيضاوى ص ٣٤

خيرا فهو خير له فأطعم بمكان يومه مسكينين كان أفضل، والا طعام مد من طعام على قول أهل الحجاز وعلى قول أهل العراق نصف صاع، حتى أنزل الله الآية التى تليها وهى قوله تعالى " فمن شهد منكم الشهر فليصمه ". وهذا الظاهر يحتاج إلى كشف ومعناه - والله أعلم -
من شهد منكم الشهر حاضراً عاقلاً بالغاً صحيحاً فليصمه فصار هذا ناسخاً لقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه) .(١)

وقراءة يطوقونه هى قراءة ابن عباس وابن مسعود، قال البخارى حدثنى اسحاق ،أخبرنا روح ،حدثنا زكريا بن اسحاق ، حدثنا عمرو بن دينار عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ : " وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين ".
قال ابن عباس ليست منسوخة . هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعمان مكان كل يوم مسكيناً) .(٢)

وقال ابن حجر (٣) مذهب ابن عباس فى أن الآية محكمة وليست منسوخة رخالفه الأكثر وهى قراءة ابن مسعود أيضاً وهذه القراءة تضعف تأويل من زعم أن لا محذوفة من القراءة المشهورة وأن المعنى :
وعلى الذين لا يطيقونه فدية وأنه كقول الشاعر :
فقلت يمين الله أبرح قاعداً ،،،البيت، أى لا أبرح قاعدا .

---

(١) الناسخ والمنسوخ ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب التفسير ١٧٩/٨

(٣) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى كتاب التفسير ١٨٠/٨

وقال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى : " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ".(١)

الآية " فى جبريل ثمانى لغات وقد قرئ بهن، أربع فى المشهورة .

جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائى .

وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير .

وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية أبى بكر .

وجبريل كقنديل قراءة الباقين .

وأربع فى الشواذ، جبرئلّ، وجبرائيل كجبراعيل، وجبرائل، وجبرين، ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله) .(٢)

فكلمة جبريل كثرت فيها اللغات، لأنها من الأسماء الأعجمية التى لعبت بها العرب، فنطقت بها على أوجه مختلفة، فقد جاء القرآن الكريم فواقهم على بعضها . قال عبد الفتاح القاضى فى القراءات الشاذة (قرأ ابن محيصن فى المبهج فى أحد الوجهين " وجبريل " بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بعدها وحذف الياء وتشديد اللام ، فقراءته كقراءة شعبة من طريق يحيى بن آدم غير أنه يشدد اللام . وقرأ الحسن بفتح الجيم والراء وألف بعدها وهمزة مكسورة بعد الألف من غير ياء فيكون عنده من قبيل المد المتصل . فقرائته كقراءة شعبة أيضا من الطريق المذكورة غير أنه يزيد الألف بعد الراء) .(٣)

---

(١) سورة البقرة آية ٩٧

(٢) تفسير البيضاوى ص ٢٠

(٣) القراءات الشاذة ٣١

موقفه من القراءات التى طعن فيها النحويون :

اعترض بعض النحويين على قراءات متواترة سبعية لمخالفتها القواعد المشهورة من لغة العرب، وقالوا إِنَّ القرآن هو أفصح كلام بل لا يمكن أَنْ يؤتى بمثله، فلابُدَّ أن يكون على أفصح اللغة . لذا نجدهم ردوا القراءات التى وردت تخالف فصيح اللغة . وكان للبيضاوى موقف من هذا التأويل وله رأى فى توسيع القاعدة حتى جاءت القراءة موافقة لها وعلى فصيح اللغة . والمعلوم أن القراءة تثبت بثلاثة أركان وهى صحة السند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقة الآية لرسم مصحف عثمان رضى الله عنه وهو الامام وموافقة الآية لوجه من وجوه لغة العرب . فالبيضاوى لوسع أفقه وعلمه الشر بلغة العرب كان من أؤلئك الذين أدلوا بدلوهم فى توجيه القراءة توجيهاً يوافق لغة العرب. ففى قوله تعالى : " قَالُوٓا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ ".(١)

قال البيضاوى : (الارجاء التأخير أى آخر أمره وأصله أرجئه كما قرأ أبو عمرو وأبوبكر ويعقوب من أرجأت، وكذلك أرجئهو على قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر على الأصل فى الضمير، وأرجهى" من أرجين كما قرأ نافع فى رواية ورش واسماعيل والكسائى . وأما قراءته فى رواية قالون" أرجهٌ فللاكتفاء بالكسرة عنها، وأما قراءة حمزة وحفصٌ أرجهْ" بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل "جه" كإبل فى اسكان وسطه . وأما قراءة ابن عامر أرجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة، فإِنَّ الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة .

---

(١) سورة الاعراف آية ١١١ .

ووجهه أن الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها)[١] .

والشاهد في هذه الآية قراءة ابن عامر بالهمزة وكسر الهاء وهي قراءة لا يرتضيها النحاة لأنَّ الهاء عندهم لا تكسر إلَّا إذا كان قبلها كسرة أو يـاء ساكنة . قال سيبويه في الكتاب :

(فالهاء تكسر اذا كان قبلها ياء أو كسرة ،لأنَّها خفية)[٢] .

وفي قراءة ابن عامر أن الهاء جاءت بعد همزة ساكنة أي أنها لم تأت بعد ياء ساكنة ولا كسرة ومع ذلك جاءت مكسورة ، لذا وصفها العكبري بالضعف حين قال : (ويقرأ بكسر الهاء مع الهمزة وهو ضعيف ، لأن الهمزة حرف صحيح ساكن فليس قبل الهاء ما يقتضي الكسر)[٣] . ووصفها ابن مجاهد بالوهـم فقال : (قرأ ابن عامر أرجئه - باشباع الضمة في رواية هشام بن عمار مثل أبي عمرو . وفي رواية ابن ذكوان أرجئه بالهمز وكسر الهاء وهمز مرجئون - وترجيء قال أبو بكر - أي ابن مجاهد - وقول ابن ذكوان هذا وهمٌ لأن الهاء لا يجوز كسرها وقبلها همزة ساكنة ، وانما يجوز إذا كان قبلها ياء ساكنة أو كسـرة وأما الهمزة فلا)[٤] .

ووصفها ابن خالويه بالغلط فقال (وروى هشام بن عمار عن ابن عامـر أرجئه بالهمز وكسر الهاء وهو عند النحويين غلط ، لأنَّ الكسر لا يجوز في الهاء

---

(١) تفسير البيضاوي ص ٢١٧

(٢) كتاب سيبويه ٤/١٩٥ .

(٣) التبيان في اعراب القران ١/٥٨٧

(٤) السبعة في القراءات ص ٢٨٨

اذا سكن ما قبلها كقوله (وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي)(١) (٢)

وقد وَجَّه البيضاوى هذه القراءة فقال : إِنَّ الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها . ولبعض النحاة توجيهات للآية تخالف توجيه البيضاوى فعند ابن خالويه أن الهمزة لما كانت ساكنه وسكنت الهاء أيضاً على قراءة سبعية أدى ذلك إلى التقاء الساكنين ، الهمزة الساكنة والهاء الساكنة فتحركت الهاء بالكسر تخلصاً من التقاء الساكنين . قال في الحجة : (له وجه في العربية وذلك أَنَّ الهمزة لما سكنت للأمر ، والهاء بعدها ساكنة على لغة من سكن الهاء كسرها لالتقاء الساكنين)(٣) .

ويرى العكبرى أن الهاء كسرت تبعاً للجيم وأن الهمزة ليست حاجزاً حصينا يمنع الاتباع قال في التبيان : (ووجهه أَنَّه اتبع الهاء كسرة الجيم والحاجز غير حصين)(٤) .

والتوجيه الذى أراه راجحاً هو توجيه البيضاوى من أن الهمزة أجريت مجرى الياء فكانت الهاء بعدها مكسورة ، لأن الهمزة كثيراً ما تبدل ياء في لغة العرب قال سيبويه : (واعلم أن كل همزة كانت مفتوحة وكان قبلها حرف مكسور فانك تبدل مكانها ياء في التخفيف وذلك قولك في المئر : مير . وفي يريد أن يقرئك : يقريك . من ذلك من غلام يبيك ، اذا أردت من غلام أبيك)(٥) .

---

(١) سورة طه آية ٣٢

(٢) الحجة فى القراءات السبع ص ٦٠

(٣) الحجة فى القراءات السبع ص١٦٠

(٤) التبيان فى اعراب القرآن ١/ ٥٨٧

(٥) كتاب سيبويه ٣/ ١٤٣ .

ومن أخذ بهذا التأويل أبو حيان بقوله :

(ان الهمز لما كان كثيراً ما يبدل بحرف العلة أجرى مجرى حرف العلة في كسر ما بعده) .[(١)] واليه ذهب القنوى[(٢)] والألوسى .[(٣)]

وفى قوله تعالى : " قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ "[(٤)]

قال البيضاوى : (قرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ، وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثالا لاجتماع المثلين ودلالة بقاء نون الوقاية على الياء) .[(٥)]

موضع الشاهد فى الآية هو قراءة نافع تبشرون بكسر النون مخففة فى آخر المضارع . ونون الرفع فى المضار لا تجيء مكسورة ، لأن الفعل المضارع اذا اتصلت به واو الجماعة فانه يرفع بثبوت النون[(٦)] وينصب والجزم بحذف النون وهى نون مفتوحة . والفعل تبشرون فى هذه الآية تجرد عن الناصب والجازم ، ومع ذلك جاء مكسور النون على قراءة نافع ، والأصل أن تكون النون مفتوحة لأنها علامة الرفع ولهذا تأولها النحاة . قال أبو حيان : " قرأ الحسن تبشرونى بنون مشددة وياء المتكلم ، أدغم نون الرفع فى نون الوقاية وابن كثير بشدها

---

(١) البحر المحيط ٤/ ٣٦٠

(٢) حاشية القنوى ٣/ ٢٠٧

(٣) روح المعانى ٣/ ٢٢

(٤) سورة الحجر ٥٤

(٥) تفسير البيضاوى ٣٤٨

(٦) شذور الذهب ص٦٠

مكسورة دون ياء ، ونافع بكسرها مخففة وغلّطه أبو حاتم وقال هذا يكون في الشعر اضطراراً) .(١)

وقال أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي : (هذه القراءة - يعني قراءة نافع - طعن فيها جماعة لبعد مخرجها في العربية ، لأنّ حذف النون مع الياء لا يحسن إلاّ في الشعر ، وان قدرت حذف النون الأولى حذفت علم الرفع لغير ناصب ولا جازم ، ولأنّ كسر النون التي هي علم الرفع قبيح ، إنّما حقها الفتح ، والاختيار فتح النون والتخفيف ، لأنه وجه الكلام ورتبة الاعراب، ولأن عليه أكثر القراء) .(٢)

وفي توجيه القراءة اختلف النحاة إلى مذهبين وسبب اختلافهم أن الأصل في تبشرون . تبشرونني نون الرفع ونون الوقاية . فحذفت احدى النونين وبقيت الكسرة علامةً على الياء . فمن النحاة من قال إنّ النون المحذوفة هي نون الرفع ومنهم من قال : ان النون المحذوفة هي نون الوقاية . قال السيوطي : (واختلف في المحذوف فمذهب سيبويه أنها نون الرفع ورجحه ابن مالك لأنها قد تحذف بلا سبب ، ولم يعهد ذلك في نون الوقاية ، وحذف ما عهد حذفه أولى ، ولأنها نائبة عن الضمة . وقد عهد حذفها تخفيفا في نحو : " إنّ اللَّه يأمرْكم "(٣) ، " وما يشعِرْكم "(٤) في قراءة من يسكن ، ولأنها جزء كلمة ،

---

(١) البحر المحيط ٥ / ٤٥٨ ط دار الفكر ١٣٦٨هـ - ١٩٧٨م

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ص ٣١

(٣) سورة البقرة آية ٦٧ وهي قراءة السوسي عن أبي عمرو

(٤) سورة الأنعام آية ١٠٩ .

ونون الوقاية ، حذف الجزء أسهل ، ولأنه لا يحتاج الى حذف آخر للجازم والناصبه ولا تغيير ثانٍ بكسرها بعد الواو والياء ، ولو كان المحذوف نون الوقاية لا حتيج إلى الأمرين . وذهب أكثر المتأخرين إلى أنّ المحذوف نون الوقاية ، وعليه الأخفش الأوسط والصفير والمبرد وابن جنى ، وأبو على ، لأنهـا لا تدل على إعراب ، فكانت أولى بالحذف ، ولأنها إنّما جيء بها لتقـى الفعل من الكسر ، وقد أمكن ذلك بنون الرفع ، فكان حذفها أولى ، ولأنهـا دخلت لغير عامل ، ونون الرفع دخلت لعامل ، فلو كانت المحذوفة لزم وجود مؤثر بلا أثر مع امكانه المقدر كالموجود)(١)

وتوجيه البيضاوى موافق لتوجيه سيبويه ومن وافقه من أن النون المحذوفة هـى نون الجمع فى قوله : (وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمـع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء)(٢)

وهو توجيه سديد وقوى وجهت به قراءة سبعية وهى حجة لا يجوز تضعيفهـا ورميها بالغلط ، ومن توجيه البيضاوى للقراءة التى اعترض عليها النحاة قوله فى تفسير قوله تعالى : " حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يأجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ، واقترَبَ الوَعْدُ الحَقُّ فإذَا هِىَ شَاخِصَةٌ أبصَارُ الَّذِينَ كفروا يَاوَيلنا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَذا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ".(٣)

قال البيضاوى : (إذا الفجائية تسد مسد الفاء الجزائية كقوله تعالى :

---

(١) همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع ١/١٧٧ .

(٢) تفسير البيضاوى ص ٣٤٨

(٣) سورة الأنبياء آية ٩٦ - ٩٧

هذا محذوف
يوسف احمد كمل

" إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ "(١) فاذا جاءت معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد)(٢).

والشاهد فى الآية وقوع إذا الفجائية مع فاء الجزاء فى جواب الشرط وهو محظور عنده النحاة لأن كل واحدة تنوب مناب الأخرى وكل واحدة عوض عن الأخرى فلا يجوز الجمع بين العوض والمعوض .

قال سيبويه : (زعم الخليل أنّ ادخال الفاء على " إذا " قبيحٌ ، ولو كان ادخال الفاء على " إذا " حسنًا لكان الكلام بغير الفاء قبيحًا ، فهذا قد استغنى عن الفاء كما استغنت الفاء عن غيرها فصارت " إذا " ها هنا جوابًا لما صارت الفاء جوابًا)(٣).

ولهذا عمد النحاة إلى تأويل ، منهم من قال الفاء للتأكيد ، وهو قول البيضاوى ومن تبعه ، وقال بعضهم هى عاطفة ، وقيل غير ذلك قال فى الهمع : (وتلزمها الفاء داخلة عليها - يعنى إذا الفائية - واختلف فيها فقال المازنى : هى زائدة للتأكيد ، لأنّ إذا الفجائية فيها معنى الاتباع . ولذا وقعت فى جواب الشرط موقع الفاء ، وهذا ما اختاره ابن جنى. وقال مبرمان : هى عاطفة لجملة إذا ودخولها على الجملة قبلها . واختاره الشلوبينى الصغير وأيده أبو حيان بوقوع ثم موقعها فى قوله تعالى : " ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ "(٤) وقال الزجاج : دخلت على حد دخولها

---

(١) سورة الروم آية ٣٦

(٢) تفسير البيضاوى ص ٤٣٧

(٣) كتاب سيبويه ٣/ ٦٤

(٤) سورة الروم آية ٢٠

هذا محذوف
يوسف احمد

فى جواب الشرط . وزعم أبو عبيدة أن إذا قد تزاد واستدل بقوله : (١)

حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة - شلا كما تطرد الجمالة الشردا

قال فزادها لعدم الجواب فكأنه قال : حتى اسلكوهم ، وتأوله ابن جنى على حذف جواب إذا) (٢) .

والقول الذى أراه راجحاً هو جواز الجمع بين الفاء واذا الفجائية وهو مذهب الكوفيين قال أبو حيان فى البحر المحيط : (ومذهب الكوفيين وهم يجيزون زيادة الواو والفاء فى فإذا هى قاله الحوفى) (٣) وهو قول البيضاوى والألوسى (٤) والزمخشرى (٥) والفخر الرازى (٦) وجمهور المفسرين .

....

هذا محذوف
يوسف احمد على

---

(١) البيت لعبد بن مناف الهذلى انظر الأمالى ٢/ ٣١

(٢) همع الهوامع ٣/ ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٣) البحر المحيط ٦/ ٣٣٩

(٤) روح المعانى ٦/ ٩٣

(٥) الكشاف ٢/ ٥٨٤

(٦) مفاتح الغيب ٢٢/ ٢٢٢

موقفه من الاسرائيليات

الاسرائيليات جمع اسرائيلية نسبة إلى إسرائيل بن يعقوب، وهى القصة أو الأسطورة أو الحادثة تروى عن أهل الكتاب وغالبيتهم من اليهود (١).

وهى من الدخيل على التفسير، وخاصة ما فيه مبالغة ودس، وكذب، وللأسف أن كثيراً من كتب التفسير دخلتها هذه الروايات.

والاسرائيليات من ناحية القبول والرد تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

قال ابن كثير : (هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد فإنها على ثلاثة أقسام (أحدها) ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح (والثانى) ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه (والثالث) ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته.) (٣)

أما البيضاوى فقد كان بصفة عامة يقل الاسرائيليات ولا نوردها إلا نادراً فى تفسير قوله تعالى : " وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ فِى الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً " (٢).

---

(١) انظر دائرة المعارف الاسلامية ٥ / ٣٥١ تعليق الأستاذ أمين الخولى، تحت مادة " تفسير "

(٢) سورة الاسراء الآيات ٤، ٥، ٦، ٧، ٨

(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٩

قال : " سلط الله عليهم الفرس مرةً أخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرن، وقيل: حردوس ، قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دماً يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربانٍ لم يقبل منا، فقال ما صدقونى، فقتل عليه ألوفاً منهم فلم يهدأ الدم ، ثم قال : إن لم تصدقونى ما تركت منكم أحداً ، فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ، ثم قال: يا يحيى قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ بإذن الله تعالى قبل أن لا أبقى أحداً منهم فهدأ) .[1]

وقال ابن كثير : (وقد روى ابن جرير فى المكان حديثاً أسنده عن حذيفة مرفوعاً مطولاً، وهو حديث موضوع لا محالة لا يسترين فى ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث، والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وامامته، وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزى رحمه الله، بأنه موضوع مكذوب، وكتب ذلك على حاشية الكتاب .[2] وقد وردت فى هذا آثار كثيرة اسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها، لأنَّ منها ما هو موضوع من وضع بعض زنادقتهم، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحاً ونحن فى غنية/عنها ولله الحمد) .[3]

وأما ما رواه البيضاوى فى ذلك فقد أخرجه ابن جرير قال : (حدثنى يونس بن عبد الأعلى . حدثنا ابن وهب . أخبرنى سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : ظهر بختنصر على الشام

---

(١) تفسير البيضاوى ص ٣٠١

(٢) تفسير الطبرى ١٧/١٥

(٣) تفسير ابن كثير ٢٥/٣

فخرّب بيت المقدس، وقتلهم، ثم أتى دمشق فوجد بها دما يغلى على كبا فسألهم ما هذا الدم : فقالوا : أدركنا آباءنا على هذا، وكلما ظهر عليه الكبا ظهر، قال فقتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم فسكن[1] قال ابن كثير : (وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب وهذا هو المشهور)[2]. وقد أتى البيضاوى بهذه الرواية وترك

أخبارًا كثيرةً واسرائيليات عديدة فى هذا الموضع لم يلتفت إليها .

وفى موضع آخر نجد البيضاوى يستخف بالروايات الاسرائيلية ثم يؤولها على ما يراه . ففى قوله تعالى : " وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ . وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ . فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ . وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ "[3]

---

(١) تفسير الطبرى ١٥ / ٣٠

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٥

(٣) سورة البقرة آية ١٠٢

قال البيضاوى عن هاروت وماروت : (هما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزاً بينه وبين المعجزة . وما روى أنهما مُثّلا بشرين ورُكِّب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة، فحملتهما على المعاصى والشرك، ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما، فمحكى عن اليهود ولعلّه من رموز الأوائل وحله لا يخفى على ذوى البصائر) . (١)

وخبر هاروت وماروت منقولٌ من كتب بنى إسرائيل كما قال ابن كثير، بعد أن أورد بعض الروايات عن ابن جرير وابن ابى حاتم فكلها ترجع إلى كعب الأحبار نقلها من كتب بنى اسرائيل . (٢)

وفى موضع آخر نجد البيضاوى يبدأ بذكر الصحيح من الروايات وأشهرها، ولكنه يأتى ويذكر الضعيف منها بعد ذلك ولا ينبه على ضعفه ولكن يذكره بلفظ قيل، ففى تفسير قوله تعالى : " وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ " . (٣) قال البيضاوى : (وأظهر ما قيل فيه ما روى مرفوعاً أنه قال : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلاّ امرأةٌ جاءت بشق رجل فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا . وقيل وُلِدَ له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه فى السحاب،

---

(١) تفسير البيضاوى ص ٣٨

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ١٣٨

(٣) سورة ص آية ٣٤ ، ٣٥

فما شعر الا أن ألقى على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه بأن لم يتوكل على الله .
وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب ابنته جراده، فأحبها وكان لايرقا د معها، جزعاً على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورته، فكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه، فأخبره آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج إلى الفلاة باكياً متضرعاً، وكانت له أم ولد اسمها أمينه، إذا دخل للطهارة أعطاها خاتمه، وكان ملكه فيه فأعطاها يوماً فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر، وأخذ الخاتم وتختم به وجلس على كرسيه، فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شيء الا فى نسائه، وغَيَّر سليمان عن هيئته، فأتاها لطلب الخاتم فطردته، فعرف أن الخطيئة قد أدركته، فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى أربعون يوماً عدد ما عبدت الصورة في بيته، فطار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يده فبقر بطنها، فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد إليه الملك) (١).

أورد البيضاوى فى تفسير هذه الآية ، الحديث الصحيح والضعيف من قصص الاسرائيليات ، فبدأ بالحديث الصحيح (لأطوفن الليلة) فقد أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء فقال : (حدثنا خالد بن مَخْلَد . حدثنا مغيرة بن عبدالرحمن . عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " قال سليمان ابن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد فى سبيل الله . فقال له صاحبه : إنْ شاء الله فلم يقل ولم تحمل شيئاً إلّا واحداً ساقطاً احدى شقيه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو قالها لجاهدوا

---

(١) تفسير البيضاوى ص ١٤٩ .

في سبيل الله) .(١)

وأما الحديث الذى أثبت أنَّ له ابناً قتلته الشياطين فألقته على الكرسى ، فقد ذكره السيوطى فى الدر المنثور فقال : (اخرج الطبرانى فى الأوسط وابن مردويه بسندٍ ضعيفٍ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وُلِدَ لسليمانَ ولد فقال للشيطان : تواريه من الموت ؟ قالوا نذهب به إلى المشرق . فقال يصل إليه الموت . قالوا فالى المغرب . قال يصل إليه . قالوا إلى البحار . قال يصل إليه الموت . قال نضعه بين السماء والأرض ، ونزل عليه ملك الموت فقال : إنّى أمرتُ بقبض نسمةٍ طلبتها فى البحار ، وطلبتها فى تخوم الأرض . فلم أصبها ، فبينما أنا صاعدٌ أصبتها ، فقبتها ، وجاء جسده حتى وقع على كرسى سليمان ، فهو قول الله " ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب ")(٢)

وأما الخبر الأخير فيما يتعلق بقصة خاتم سليمان ، فقد كثرت فيه الروايات وتنوعت القصص . وذكرت فيها حوادث وغرائب لا تليق بالأنبياء . قال ابن كثير بعد ذكره لعدد من الروايات فى هذه القصة : " إسناده إلى ابن عباس رضى الله عنهما إنْ صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام ، فالظاهر انَّهم يكذبون عليه ، ولهذا كان فى هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء ، فإنَّ المشهور عن مجاهد وغير واحدٍ من أئمة السلف أن ذلك الجنى لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب أحاديث الأنبياء ٧ / ٢٧٠ ومسلم فى كتاب الايمان والنذور باب الاستثناء فى اليمين وغيرها ١١ / ١١٨ صحيح مسلم بشرح النووى .

(٢) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٧ / ١٨١ ، ١٨٢ .

عز وجلّ منه تشريفاً وتكريماً لنبيه عليه السلام . وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضى الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب والله تعالى أعلم بالصواب) .(١)

وأما النوع الثالث من الاسرائيليات وهو المتوقف فيه . فقد أورد البيضاوى منه نماذج ، منها ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ".(٢)

قال البيضاوى : (ابنى آدم قابيل وهابيل أوحى الله سبحانه وتعالى إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمه الآخر، فسخط منه قابيل لأنّ توأمته كانت أجمل، فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل تزوجها . فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته، فازداد قابيل سخطاً وفعل ما فعل . وقيل كان قابيل صاحب زرع وقرّب أرذأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرّب عجلاً سميناً . وتوعّده أخوه بالقتل لفرط الحسد له، على تقبل قربانه ولذلك قال إنّما يتقبل اللّهُ من المتقين فى جوابه

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/٦٢

(٢) سورة المائدة الآيات من ٢٧ الى ٣١

أي إنّما أُتيت من قبل نفسك بترك التقوى، لا من قبلي، فلِمَ تقتلني؟. وفيه اشارة إلى أنّ الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظاً، لا في ازالة حظه . في ذلك مما يضره ولا ينفعه، وأن الطاعة لا تقبل إلاّ من مؤمن متقٍ . قيل كان هابيل أقوى منه ولكن تحرَّج عن قتله واستسلم له، خوفاً من الله سبحانه وتعالى، لأنّ الدفع لم يبح بعد، أو تحرياً لما هو أفضل . روى أن قابيل لما قتل هابيل تحيّر في أمره ولم يدر ما يصنع به، إذ كان أول ميت من بني آدم، فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر، فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة . قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي ، أي لا أهتدي إلى مثل ما اهتدى إليه والمعنى يا ويلتى أحضري فهذا أوانك، والويل والويلة الهلكة، فأصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحيّر في أمره وحمله على رقبته سنه أو أكثر على ما قيل، وتلمذ ته للغراب واسوداد لونه، وتبرأ أبويه منه، إذ روى أنه لما قتله أُسودّ جسده فسأله آدم عن أخيه، فقال ما كنت عليه وكيلاً فقال بل قتلته، ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه، ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك، وعدم الظفر بما فعله من أجله) .(١)

وأورد ابن كثير في هذه القصة روايات كثيرة عن السدي وابن عباس وغيرهما ، أخرجها ابن جرير وابن اسحاق وابن أبي حاتم وغيرهم . نذكر منها : " روى محمد بن اسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول أن آدم أمر ابنه قابيل أن ينكحَ أخته توأمة هابيل ، وأمر هابيل أنْ ينكحَ أخته توأمة قابيل ، فسلَّم لذلك هابيل ورضي ، وأبى ذلك قابيل وكره تكرماً عن أخت هابيل، ورغب بأخته عن هابيل

---

(١) تفسير البيضاوي بتصرف ١٤٨ ، ١٤٩ .

وقال نحن من ولادة الجنة ، وهما من ولادة الأرض، وأنا أحق بأختي ،
ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول : كانت أخت قابيل من أحسن الناس،
فضن بها على أخيه وأرادها لنفسه والله أعلم أى ذلك كان، فقال له أبوه :
يا بنى انها لا تحل لك فأبى قابيل أن يقبل ذلك من قول أبيه . قال له أبوه :
يا بنى قرّب قرباناً ويقرّب أخوك هابيل قرباناً، فأيكما تُقُبِّل قربانَه فهو أحقّ بها .
وكان قابيل على بذر الأرض، وكان هابيل على رعاية الماشية ، فقرَّب قابيل
قمحاً وَقرَّب هابيل أبكاراً من أبكار غنمه وبعضهم يقول قرب بقرة ، فأرسل الله
ناراً بيضاء فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل ، وبذلك كان يقبل القربان (١)
إذا قبله " ومنها ما رواه محمد بن إسحاق فقال : " عن بعض أهل العلم
بالكتاب الأول : لما قتله سقط فى يده - يعنى هابيل - ولم يدرى كيف يواريه ،
وذلك أنه كان فيما يزعمون أول قتيل فى بنى آدم، وأول ميت (فبعث الله غراباً
يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون
مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين) قال وزعم أهل التوراة
أن قابيل لما قتل أخاه هابيل ، قال الله عز وجل : يا قابيل أين أخوك هابيل ؟
قال ما أدرى ما كنت عليه رقيباً ، فقال الله : إنَّ صوت دم أخيك ليناديني
من الأرض الآن ، أنت ملعون من الأرض التى فتحت فاها فتلقت دم أخيك من يدك ،
فإنْ أنت عملت فى الأرض فإنَّها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فزعاً تائهاً
فى الأرض ". (٢)

---

(١) تفسير ابن جرير ١٠/ ٢٠٦

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٥٠

هكذا يورد البيضاوى الروايات والقصص الاسرائيلية بحذر فينبه على بعضها ويترك الأخرى ويختصر البعض ويذكر الصحيح فى كثير من الأحيان.

وعلى العموم فالحذر من الروايات الاسرائيلية واجب وقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم من سؤال أهل الكتاب . وبوّب البخارى لذلك فقال : " باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء ". (١)

والروايات الاسرائيلية ترجع إلى اليهود والنصارى ومن أصحها ما روى عن كعب الأحبار ولكنه كان يخطىء فى بعض الأحيان، لذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقفون فى ذكر الروايات الاسرائيلية حتى ولو كانت من كعب الأحبار . روى البخارى فقال : " قال أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى أخبرنى حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال : إنْ كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب ". (٢) ومعنى لنبلو عليه الكذب أى نتوقف ونختبر حديثه إنْ كان فيه خطأ أم لا . ولا نتهمه بالكذب . قال السندى فى حاشيته على البخارى : " قوله لنبلو أى لنختبر وقوله "عليه" أى على كعب يعنى كان يخطىء فى بعض الأحيان ولم يرد أنه كذاب ". (٣)

والحق الذى بيّنه النبى صلّى الله عليه وسلّم . أن يكون مصدرنا فى التفسير وغيره كتابَ الله تعالى وسنةَ نبيه صلى الله عليه وسلم وما جاء من أقوال الصحابة

---

(١) صحيح البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٤/ ٢٧٠

(٢) صحيح البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٤/ ٢٧٠

(٣) حاشية السندى على صحيح البخارى بالكتاب والسنة ٤/ ٢٧٠

والتابعين، وأما ما جاء من أهل الكتاب فما وافق شرعنا أخذناه وما خالف تركناه، غير أننا نؤمن بما أنزل الينا وما أنزل إليهم قبل أن يدخله التبديل والتحريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل اليكم الآية" (١) . (٢)

أما ما ورد في كتب التفسير من هذه الروايات في المفسرين من يذكر بعضها ويُنبّه عليه كابن كثير، ومنهم من يذكرها من غير تنبيهٍ كالطبرى والسيوطى والبغوى، ومنهم من يضرب الذكر عنها صفحاً في كثير من الروايات كالبيضاوى وكثير من كتب التفسير بالرأى .

. . . .

---

(١) سورة البقرة آية ٣٦

(٢) صحيح البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٤/ ٢٧٠

الفَصلُ الثَّالِث

عُلومُ القُرآنِ في تفسيرهِ

١- أسباب النزول .
٢- الناسخ والمنسوخ .
٣- العام والخاص .
٤- الإعجاز البياني .
٥- موهم الاختلاف .

علوم القرآن في تفسيره

علوم القرآن كثيرة ومتشعبة تحدّث عنها القدماء والمحدثين، فمنهم من أجمل فيها، ومنهم من فصّل، وكل تحدث حسب تخصصه، ومنهم من تناول آيات القرآن من جهة الحكم الشرعي، ومنهم من تحدث في البلاغة والفصاحة ومنهم من تناول الأحاديث التي تتعلق به من حيث التفسير وسبب النزول الى غير ذلك قال السيوطي : (وان كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها ، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء ، وأبان فيه كل هدى وغي، فترى كل ذى فن منه يستمد ، وعليه يعتمد . فالفقيه يستنبط منه الأحكام ، ويستخرج حكم الحلال والحرام . والنحوى يبني منه قواعد إعرابه ، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدى به الى حسن النظام ، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام، وفيه من القصص والأخبار ما يذكّر أولى الأبصار ، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار ، إلى غير ذلك من العلوم لا يقدر قدرها إلاَّ من علم حصرها) (١)

وقد ذكر جلال الدين السيوطي ثمانين نوعاً من هذه العلوم، وتحدث عن كل نوع وأوجز، وذكر الأمثلة، وساق الشواهد . وقد سبق السيوطي الزركشي وتحدث عن علوم القرآن وذكر منها ما يفتح الأذهان، ويرشد إلى كنوز القرآن ، إلى غير ذلك مما ذكره المفسرون في تفاسيرهم، وما ذكره النحويون في كتبهم .

و أمّا تفسير البيضاوى فقد جاء حافلاً بعلوم القرآن . جمع فيه أقوال السابقين من الفقهاء والمحدثين والنحويين بايجاز غير مخل، واختصار يؤدى إلى المعنى المقصود،

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ص ٣

ويبين ما أشار إليه القرآن من العلوم السامية والحكم الراقية والنكت العجيبة ، والحقائق التى يقف دونها أرباب العقول . كأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ، الحقيقة والمجاز ، والاستعارة ، والأمثال ، والتعريض والكناية ، والخبر والانشاء ، والأقسام ، والجدل وفضائل القرآن ، وموهم التعارض والاختلاف إلى غير ذلك من علوم القرآن . ولحصول الفائدة فاننا نختصر على ذكر أمثلة منها يتضح من خلالها منهج البيضاوى فى تناوله لعلوم القرآن فنذكر منها :

١ - أسباب النزول : -

وأسباب النزول تناوله المفسرون فى تفسيرهم وذكروه عند تفسير الآيات ، وأفرده بعضهم فى كتب مستقلة ذكرها السيوطى فى الاتقان فقال : (أفرده بالتصنيف جماعة أقدمهم على بن المدينى شيخ البخارى ، ومن أشهرها كتاب الواحدى على ما فيه من اعواز ، وقد اختصره الجعبرى فحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً . وألف فيه شيخ الاسلام أبو الفضل بن حجر كتاباً مات عنه مسودة فلم نقف عليه كاملاً ، وقد ألفت فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يؤلف مثله فى هذا النوع سميته لباب النقول فى أسباب النزول)(١).

ولأسباب النزول فوائد جمة غير أنَّها تفسر الآية وتخصص الحكم وتزيل الأشكال إلى غير ذلك قال السيوطى : (منها معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم . ومنها تخصيص الحكم به عند مَنْ يرى أنَّ العبرة بخصوص السبب. ومنها أنَّ اللفظ قد يكون عاماً ويقوم الدليل على تخصيصه فإذا عُرِفَ السبب قصر

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن

التخصيص على ما عدا صورته، فإنْ دخول صورة السبب قطعي واخراجها بالاجتهاد ممنوع كما حكى الاجماع عليه القاضي أبوبكر في التقريب ، والالتفات إلى مَنْ شَذَّ فجوَّز ذلك . ومنها الوقوف على المعنى وازالة الأشكال . قال الواحدى لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها .

وقال ابن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معاني القرآن . وقال ابن تيمية معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، وقد أشكل على مروان بن الحكم معنى قوله تعالى : " لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) " وقال : لئن كان كل امرىء فرح بما أوتى وأحب أنْ يحمد بما لم يفعل معذباً، لنعذبن أجمعون، حتى بَيَّنَ له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إيَّاه وأخبروه بغيره، وآروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا بذلك إليه، أخرجه الشيخان (٢)، وحكى عن عثمان بم مظعون، وعمرو بن معدى كرب أنهما كانا يقولان : الخمر مباحة ويحتجان بقوله تعالى : " لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٣) " .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٨

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٩ / ٣٠١ ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٧ / ١٢٤

(٣) سورة المائدة آية ٩٣ .

ولو علما سبب نزولها لم يقولا ذلك وهو أن ناساً قالوا لما حرّمت الخمر، كيف بمن قتلوا فى سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهى رجس ؟ فنزلت أخرجه أحمد والنسائى وغيرهما (١) . ومن ذلك قوله تعالى : " وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ " (٢) . فقد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة، حتى قال الظاهرية بأن الأيسة لها عدة عليها إذا لم ترتب . وقد بيّن ذلك سبب النزول، وهو أنه لما نزلت الآية التى فى سورة البقرة فى عُدَدِ النساء، قالوا قد بقى عَدَدٌ من عُدَدِ النساء لم يذكرن الصغار والكبار فنزلت أخرجه الحاكم عن أبى (٣)، فعلم بذلك أن الآية خطاب لِمَنْ لم يعلم ما حكمهن فى العدة وارتاب هل عليهن عدة أو لا، وهل عدتهن كالآتى فى سورة البقرة أولا؟ فمعنى إن ارتبتم . ان أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتدون فهذا حكمهن . ومن ذلك قوله تعالى " فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ " (٤) . فانا لو تركنا ومدلول اللفظ لاقتضى أن المصلى لا يجب عليه استقبال القبلة سفراً ولا حضراً وهو خلاف الاجماع فلما عُرِفَ سببُ نزولها عُلِمَ أَنَّهَا فى نافلة السفر، أو فيمن صلى بالاجتهاد، وَبَانَ له الخطأ على اختلاف الروايات فى ذلك . ومن ذلك قوله : " إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا الآية " (٥) . فإنَّ ظاهر

---

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب أبواب التفسير ٤ / ٣٢١

(٢) سورة الطلاق آية ٤

(٣) المستدرك على الصحيحين كتاب التفسير ٢ / ٤٩٢، ٤٩٣

(٤) سورة البقرة آية ١١٥

(٥) سورة البقرة آية ١٥٨ .

لفظها لا يقتضى أن السعى فرض وقد ذهب بعضهم الى عدم فرضيته تمسكا بذلك ، وقد ردت عائشة على عروة فى فهمه ذلك بسبب نزولها وهو أن الصحابة تأثموا من السعى بينما، لأنّه من عمل الجاهلية فنزلت[(١)] ومنها دفع توهم الحصر قال الشافعى ما معناه فى قوله تعالى " قُلْ لَّا أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّآ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "[(٢)]. ان الكفار لما حرّموا ما أحلَّ الله وأحلُّوا ما حرّم الله وكانوا على المضادة والمحادة، فجاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال : لا حلال إلَّا ما حرّمتموه ولا حرام إلَّا ما أحللتموه نازلا منزلة مَنْ يقول لا تأكل اليوم حلاةً فتقول لا أكل اليوم إلَّا حلاوةً، والغرض المضادة لا النفى والاثبات على الحقيقة فكأنه تعالى قال : لا حرام الا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ لغير الله به، ولم يقصد حل ما وراءه اذ القصد اثبات التحريم لا اثبات الحل . قال إمام الحرمين وهذا فى غاية الحسن ولو لا سبق الشافعى إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك فى حصر المحرمات فيما ذكرته الآية . ومنها معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها ، ولقد قال مروان فى عبد الرحمن ابن ابى بكر انه الذى أنزل فيه " والذى قال لوالديه أف لكما " . حتى ردت عليه عائشة وبيَّنْتْ له سببَ نزولها " قالت والله

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارىء كتاب الحج باب وجوب الصفا والمروة ٣/٣٩٢ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٥ .

ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ") (١)

وأما منهج البيضاوى فى أسباب النزول ورواياتها فقد جاء على ثلاثة أقسام :

١ - قسمٌ ورد فى الصحيحين .

٢ - قسمٌ يوافق ما فى الصحيحين .

٣ - قسمٌ يخالف ما ورد فى الصحيحين .

أمَّا القسم الأول فنورد له أمثلة . منها ما جاء فى سبب نزول قوله تعالى : " وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ . الآية " (٢)

قال البيضاوى : (يريد ما ملكت أيمانكم من اللاتى سُبين ولهنَّ أزواج كُفار، فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى، لقول أبى سعيد : " أصبنا سبياً يوم أوطاس (٣) ولهن أزواج، فكرهنا أنْ نقع عليهن فسألنا النبى صلَّى الله عليه وسلَّم فنزلت الآية ") (٤)

وحديث أبى سعيد رواه مسلم فقال : (حدثنا عبيد الله بن عمر بن ميسرة القواريرى حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن أبى عُروبة عن قتادة عن صالح أبى الخليل عن أبى علقمة الهاشمى عن أبى سعيد الخدرى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين بعث جيشاً إلى أوطاس فلقوا عدوا فقاتلوهم فظهروا عليهم وأصابوا لهم سبايا، فكأنَّ ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم تحرّجوا من غشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين فأنزل

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن ١ / ٢٨ ، ٢٩

(٢) سورة النساء آية ٢٤

(٣) أوطاس موضع عند الطائف .

(٤) تفسير البيضاوى ص ١٠٨

الله عز وجل فى ذلك " والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم " أى فهن لكم حلال اذا انقضت عدتهن) .(١)

والمراد بقوله "انقضت عدتهن" أى استبراهن، وهى بوضع الحمل عن الحامل وبحيضة من الحائض. واختلف العلماء فى نكاح السبايا من عبدة الأوثان هل يجوز قبل إسلامهن أم لا؟. قال النووى : (اعلم أَنَّ مذهب الشافعى وَمَنْ قال بقوله من العلماء أَنَّ المسبية من عبدة الأوثان وغيرهم من الكفار الذين لا كتاب لهم، لا يحل وطؤها بملك اليمين حتى تسلم، فما دامت على دينها فهى محرمة، وهؤلاء المسبيات كن من مشركى العرب عبدة الأوثان، فيؤول هذا الحديث وشبهه على أنهن أسلمن، وهذا التأويل لا بد منه والله أعلم) (٢)

ومنها ما جاء فى سبب نزول قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " .(٣)

قال البيضاوى : (روى أَنَّه عليه السلام خلا بمارية فى يوم عائشة أو حفصة، فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرّم مارية فنزلت، وقيل شرب عسلاً عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية، فقلن له انا نشتم منك رائحة المغافير (٤)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الرضاع باب جواز وطء المسبية ١٠ / ٣٤، ٣٥

(٢) شرح النووى لصحيح مسلم كتاب الرضاع باب جواز وطء المسبية ١٠/ ٣٥، ٣٦

(٣) سورة التحريم آية ١

(٤) المغافير جمع مغفور بضم أوله وهو صمغٌ حلوٌ له رائحة كريهة .

فحرّم العسل فنزلت) [١] .

والرواية الثانية أخرجها البخارى فى صحيحه فقال : (حدثنا فردة بن أبى المفراء حدثنا على بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسلَ والحلوى ، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن ، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فغرتُ فسألتُ عن ذلك فقيل لى : أهدت لها امرأة من قومها عكّةَ عسلٍ [٢] ، فسقت النبى صلى الله عليه وسلم منه شربة . فقلت أما والله لنحتالن له ،فقلت لسودة بنت زمعة إنّه سيدنو منك ، فإذا دنا منك فقولى : أكلت مغافير ؟ فانَّه سيقول لك لا فقولى له ما هذه الريح التى أجد منك ؟ فانَّه سيقول لك سقتنى حفصة شربةَ عسلٍ ،فقولى له جرست نحله العُرفُط [٣] ، وسأقول ذلك . وقولى أنتِ يا صفية ذاك . قالت تقول سودة : فوالله ما هو إلاّ أن قام على الباب فأردت أن أباد ئه بما أمرتنى به فرقاً منك . فلما دنا منها قالت له سودة : يارسولَ اللهِ أكلت مغافير ؟ قال لا ، قالت : فما هذه الريح التى أجد منك ؟ قال سقتنى حفصةُ شربةَ عَسَلٍ . فقالت جرست نحله العُرفُط فلمَّا دار إلىّ قلت له نحو ذلك . فَلَمَّا دار إلى صفية قالت له مثل ذلك . فَلَمَّا دار إلى حفصة قالت يا رسول الله : ألا أسقيك

---

(١) تفسير البيضاوى ص ٧٤٥

(٢) العكه بضم العين وتشديد الكاف أصغر من القربة للسمن وهو رقيق صغير وجمعها عكاك وعكاك بضم العين وفتحها انظر لسان العرب فصل العين حرف الكاف ٣٥٦/١٢ .

(٣) العرفط بضم المهملة والفاء بينهما راء ساكنة وأخره طاء مهملة هو الشجر الذى صمغه المغافير .

منه؟ قال لا حاجة لى فيه . قالت تقول سودة والله لقد حرماه قلت لها أسكتى .) (١)

ومنها ما جاء فى سبب نزول قوله تعالى : " وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا . قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ". (٢) قال البيضاوى (روى أَنَّه عليه الصلاة والسلام كان يخطب للجمعه فمرّت عيرٌ تحمل الطعامَ فخرج الناس إليهم إلّا اثنى عشر فنزلت" (٣)

والحديث أخرجه البخارى فقال : (حدثنى محمد قال حدثنى محمد بن فضيل عن حصين عن سالم بن أبى الجعد عن جابر رضى الله عنه قال : أقبلت عير" ونحن نصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم الجمعةَ ،فانفض النَّاسُ إلّا اثنى عشر رجلاً فنزلت هذه الآية . " وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائماً" (٤))

وأما ما جاء موافقاً لما فى الصحيحين فمنه ما جاء فى سبب نزول قوله تعالى : " أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ . الآية " (٥)

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارىء كتاب الطلاق ٩ / ٣٧٤ ، ٣٧٥

(٢) سورة الجمعة الآية ١١

(٣) تفسير البيضاوى ص ٧٣٦

(٤) صحيح البخارى بشرح فتح البارىء كتاب البيوع ٤ / ٣٠٠

(٥) سورة البقرة آية ١٨٧ .

قال البيضاوى : (روى أن المسلمين كانوا اذا أمسوا حلّ لهم الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلوا العشاء الآخرة أو يرقدوا، ثم إنّ عمر رضى الله تعالى عنه باشر بعد العشاء فندم وأتى النبى صلى الله عليه وسلم واعتذر إليه، فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت).(١)

والحديث رواه البخارى بمعناه فى كتاب الصوم وكتاب التفسير، مع اختلاف فى الألفاظ، فقال فى كتاب الصوم : (حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء رضى الله عنه قال : كان أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائماً فحضر الافطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته، ولا يومه حتى يمسى . وإنّ قيس بن حرمة الأنصارى كان صائماً ، فلما حضر الافطار أتى امرأته فقال لها أعندك طعام ؟ قالت لا ، ولكن انطلق فأطلب لك وكان يومه يعمل ، فغلبته عيناه ، فجاءته امرأته ، فلما رأته قالت خيبة لك ، فلما انتصف النهار غُشِى عليه ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية . (أُحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم " ففرحوا بها فرحاً شديداً ، ونزلت " وكلوا وأشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ".(٢)

يبدو واضحاً من رواية البخارى أن معنى سبب النزول لا اختلاف فيه، وهو أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يواصلون الصوم إذا صلوا العشاء الأخيرة أو رقدوا، وهو متفق عند البيضاوى والبخارى، ولكن جاءت فى البخارى زيادة قصة قيس بن حرمة الأنصارى وما حدث له حين نام قبل أن يفطر .

---

(١) تفسير البيضاوى ص ٣٩

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارىء كتاب الصوم ١٢٩/٤ .

وأما ما أورده البخارى فى كتاب التفسير قال فيه : (حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء ح وحدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلمة قال حدثنى إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبى إسحاق قال : سمعت البَرَاء رضى الله عنه : لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، وكان رجال يخونون أنفسهم ،فأنزل الله " علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ") (١)

وجاءت فى تفسير البيضاوى زيادة فى سبب النزول وهى قصة عمر رضى الله عنه حين باشر بعد العشاء،وهذه الزيادة رواها أحمد والحاكم من طريق عبد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ بن جبل،قال : (أحل الصيام ثلاثة أحوال : فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام،وصيام يوم عاشوراء، ثم إنَّ الله فرض عليه الصيام فأنزل الله : " يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيام كما كُتِبَ على الذين من قبلكم الى هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً ، فأجزى ذلك عنه ثم ان الله أنزل الآية الأخرى" شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس"إلى قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض وللمسافر،وثبت الاطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام،فهذان حولان،وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا،فاذا ناموا امتنعوا، ثم ان رجلاً من الأنصار يقال له حرمه كان يعمل صائماً حتى أمسى فجاء الى أهله فصلى العشاء ثم نام،فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارىء كتاب التفسير ١٨١/٨ .

فأصبح صائماً قال فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جهد جهداً شديداً قال مالى أراك قد جهدت جهداً شديداً؟ قال يا رسول الله انى عملت أمس فجئت حين جئت فألقيت نفسى فنمت وأصبحت صائماً . وكان عمر قد أصاب من النساء من جارية أو حرة بعد ما نام، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فأنزل الله " أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم" إلى قوله ثم أتموا الصيام الى الليل) . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .(١)

ومن الموافق لما فى الصحيحين ما جاء فى سبب نزول قوله تعالى : "وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ"(٢) . قال البيضاوى : (كانت لعبد الله ابن أُبَى ست جوارٍ يكرههُنَّ على الزنا وضرب عليهن الضرائب، فشكا بعضهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت)(٣)

وجاء سبب النزول عند مسلم بمعناه فقال : (حدثنى أبو كامل الجحدرى حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر أن جارية لعبد الله بن أبى ابن سلول يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلّم، فأنزل الله لا تكرهوا فتياتكم على البغاء إلى قوله غفور رحيم).(٤)

---

(١) مستدرك الحاكم كتاب التفسير ٢ / ٢٧٤ . وأخرجه أحمد فى مسند ٥ / ٢٤٦ ، ٢٤٧

(٢) سورة النور آية ٣٣

(٣) تفسير البيضاوى ص ٥٨

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب التفسير ١٨ / ١٦٣ .

ومن الموافق لما فى الصحيحين ما جاء فى سبب نزول قوله تعالى :

" يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ " (١)

قال البيضاوى : (روى أن ثابت بن قيس كان فى أذنه وقر وكان جهوريا ، فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه ، فقال يا رسول الله : لقد أنزلت إليك هذه الآية وانى رجلٌ جهير الصوت فأخاف أن يكون عملى قد حبط ، فقال عليه الصلاة والسلام ، لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة . ثم قال البيضاوى قيل كان أبو بكر وعمر بعد ذلك يسرانه حتى يستفهمهما) (٢).

وقد أورد البخارى فى سبب نزول الآية حديثين يوافقان ما أورده البيضاوى مع زيادة فى التوضيح ، الأول ما جاء فى شأن أبى بكر وعمر ، والثانى ما جاء فى قصة ثابت بن قيس. قال البخارى فى الحديث الأول : (حدثنا يسرة بن صفوان بن جميل اللخمى : حدثنا نافع بن عمر ، عن ابن أبى مليكة قال : كاد الخيّران أنْ يهلكا : أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، رفعا أصواتهما عند النبى صلى الله عليه وسلّم ، حين قدم عليه ركبٌ بنى تميم ، فأشار أحدهما بالأقرع ابن حابس أخى بنى مجاشع . وأشار الآخر برجل آخر ، قال نافع لا أحفظ

---

(١) سورة الحجرات آية ٢ ، ٣

(٢) تفسير البيضاوى ص ١٩٧ .

اسمه ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلّا خلافي . قال ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم الآية قال ابن الزبير فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر)(١) .

وأما حديث ثابت بن قيس فقد قال فيه البخاري : (حدثنا على بن عبد الله . حدثنا أزهر بن سعد : أخبرنا ابن عون قال أنبأني موسى بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه ، فأتاه فوجده جالساً في بيته منكسا رأسه . فقال له ما شأنك ؟ فقال شرٌّ ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد حبط عمله ، وهو من أهل النار ، فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه قال كذا وكذا ، فقال موسى فرجع اليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة . فقال اذهب إليه فقل له انك لست من أهل النار ، ولكنك من أهل الجنة)(٢) .

تلك أمثلة من الروايات التي أتى البيضاوي فيها بما جاء في الصحيحين وأخرى توافق ما جاء في الصحيحين وتحمل المعنى الذي تدل عليه رواية الصحيحين .

وأما القسم الثالث هو الروايات التي أوردها البيضاوي في أسباب النزول تخالف رواية الصحيحين ونذكر منها أمثلة : -

---

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري كتاب التفسير ١٠ / ٢١٣

(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري كتاب التفسير ١٠ / ٢١٣ ، ٢١٤

منها ما جاء في سبب نزول قوله تعالى : " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ " (١).

قال البيضاوى : (نزل في عبد الله بن صوريا يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه، فقال جبريل، فقال ذاك عدونا عادانا مرارًا، وأشدها أنه أنزل على نبينا أَنَّ بيت المقدس سيخربه بختنصّر، فبعثنا مَنْ يقتله، فرآن ببابل فدفع عنه جبريل، وقال ان كان ربكم أمره بهلاككم فلا يسلطكم عليه، وإلاَّ بما تقتلونه؟. وقيل دخل عمر رضى الله عنه مدارس اليهود يومًا فسألهم عن جبريل، فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدًا على أسرارنا وانَّه صاحب كل خسف وعذاب، وميكائيل صاحب الخصب والسلام، فقال وما منزلتهما من الله، قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وبينهما عداوة، فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين، ولانتم أكفر من الحمير، ومن كان عدو أحدهما فهو عدو الله، ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر) (٢).

وأما ما ورد في البخارى فهو يخالف ما ذكره البيضاوى في سبب نزول الآية وقد علمنا أَنَّ البيضاوى قال : أن الآية نزل في عبد الله بن صوريا وقال البخارى إِنَّها نزلت في عبد الله بن سلام . قال البخارى : (حدثنا عبد الله بن منير سمع عبد الله بن بكر حدثنا حميد عن أنس قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرضٍ يخترف، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إِنِّى سأَلك عن ثلاثٍ لا يعلمهن إِلاَّ نَبِىٌّ :

---

(١) سورة البقرة آية ٩٧

(٢) تفسير البيضاوى ص ٢٠

فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزعُ الولد إلى أبيه أو الى أمه ؟ قال أخبرنى بِهِنَّ جبريلُ آنفًا . قال جبريل ؟ قال نعم . قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة . فقرأ هذه الآية . "مَنْ كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك". أَمَّا أول أشراط الساعة فنارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأَمَّا أولُ طعامٍ أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة نزعت . قال : أشهد أَلَّا اله إِلَّا الله ، وأشهد أنك رسول الله . يا رسول الله إِنَّ اليهود قومٌ بُهتٌ ، وانهم إنْ يعلموا باسلامى قبل أن تسألهم بهتونى . فجاءت اليهود ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أى رجلٍ عبد الله فيكم ؟ قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . قال أرأيتم إِنْ أسلم عبد الله ابن سلام ؟ فقالوا أعاذه الله من ذلك . فخرج عبد الله فقال : أشهد أَلَّا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله . فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه ، قال : فهذا الذى كنت أخاف يا رسول الله) (١) .

انظر كيف اختلفت رواية البيضاوى عن رواية البخارى . فرواية البيضاوى الأولى عن عبد الله بن صوريا أخرجها الواحدى فى أسباب النزول ، فقال : (قال ابن عباس أن حبرًا من أحبار اليهود من فدك يقال له عبد الله ابن صوريا ، حَاجَّ النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن أشياء فلما اتجهت الحجة إليه ، قال أى ملك يأتيك من السماء قال جبريل ، ولم يبعث الله نبيًا إِلَّا وهو وليه ، قال ذاك عدونا من الملائكة ولو كان ميكائيل لآمنا بك ان جبريل نزل بالعذاب

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارىء كتاب التفسير ٨/ ١٦٥

والقتال والشدة فانه عادنا مرارا كثيرة، وكان أشد ذلك علينا أن الله أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرب على يدى رجل يقال له بختنصر، وأخبرنا بالحين الذى يخرب فيه، فلما كان وقته بعثنا رجلاً من أقوياء بنى اسرائيل فى طلب بختنصر ليقتله، فانطلق يطلبه، حتى لقيه ببابل غلاماً مسكيناً ليست له قوة فأخذه صاحبنا ليقتله فدفع عنه جبريل وقال لصاحبنا، ان كان ربكم الذى أذن فى هلاككم فلا تسلط عليه، وان لم يكن هذا، فعلى أى حق تقتله فصدقه صاحبنا ورجع الينا وكبر بختنصر وقوى وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدواً فأنزل الله هذه الآية) (١) .

وأما الرواية الثانية وهى مناظرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه اليهود، فقد أخرجها الطبرى فى تفسيره فقال : (حدثنى موسى بن هارون قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال حدثنا أسباط عن السدى : " قل مَن كان عدوا لجبريل فانه نزّله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه " . قال : كان لعمر بن الخطاب أرضٌ بأعلى المدينة ، فكان يأتيها ، وكان ممره على طريق مدارس اليهود ، وكان كلما دخل عليهم سمع منهم . وانه دخل عليهم ذات يوم فقالوا يا عمر ، ما فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحد أحب إلينا منك ، انهم يمرون بنا فيؤذوننا ، وتمر بنا فلا تؤذينا ، وانا لنطمع فيك، فقال لهم عمر : أى يمين فيكم أعظم ؟ قالوا الرحمن الذى أنزل التوراة على موسى بطور سيناء . فقال لهم عمر : فانشدكم بالرحمن الذى أنزل التوراة على موسى بطور سيناء ، أتجدون محمداً صلى الله عليه وسلم عندكم ؟ فأسكتوا فقال

---

(١) أسباب النزول للواحدى ص ٢٠

تكلموا ، ما شأنكم ؟ فوالله ما سألتكم وأنا شاك فى شىء من دينى .
فنظر بعضهم إلى بعض ، فقام رجل منهم فقال : أخبروا الرجل لتخبرنه أو لأخبرنه . قالوا نعم ، إنا نجده مكتوباً عندنا ، ولكن صاحبه من الملائكة الذى يأتيه بالوحى هو جبريل ، وجبريل عدونا وهو صاحب كل عذاب أو قتال أو خسف ، ولو أنه كان وليه ميكائيل ، اذاً لآمنا به فانَّ ميكائيل صاحب كل رحمة وكل غيث ، فقال لهم عمر : فانشدكم بالرحمن الذى أنزل التوراة على موسى بطور سيناء ، أين مكان جبريل من الله ؟ قالوا جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره قال عمر : والذى هو عدو للذى عن يساره ، عدو للذى هو عن يمينه، وأنه من كان عدوهما ، فانَّه عدو لله . ثم رجع عمر ليخبر النبى صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحى ، فدعاه النبى صلى الله عليه وسلم فقرأه عليه فقال عمر : والذى بعثك بالحق ، لقد جئتك وما أريد إلاَّ أن أخبرك)[1] .

والرواية التى أراها أرجح فى سبب النزول هى روايات البيضاوى، وأن الآية نزلت فى عبد الله بن صوريا أو فى مناظرة عمر لليهود وأما رواية البخارى من أن الآية نزلت فى عبد الله بن سلام لا توافق السياق وان كانت صحيحة ولعل سؤال عبد الله بن سلام للنبى صلى الله عليه وسلم كان بعد نزول الآية ، فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم بها، والى هذا الرأى ذهب ابن حجر فقال : (ظاهر السياق أَنَّ النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى قرأ الآية رداً لقول اليهود، ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذ وهذا هو المعتمد - إلى أن قال -

---

(١) تفسير الطبرى ٢/ ٣٨٤ - ٣٨٥

ويدل على أن سبب نزول الآية قول اليهودى المذكور لا قصة عبد الله بن سلام وكان النبى صلى الله عليه وسلم لما قال له عبد الله بن سلام ان جبريل عدو اليهود تلا عليه الآية مذكراً له سبب نزولها والله أعلم) (١).

ومن أمثلة ما خالف فيه البيضاوى ما جاء فى الصحيحين فى أسباب النزول ما جاء فى سبب نزول قوله تعالى : " هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ " (٢).

قال البيضاوى : (هم المؤمنون والكافرون . وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود : نحن أحق بالله وأقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم . وقال المؤمنون : نحن أحق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب . وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت) (٣).

وجاء البخارى بحديثين يغايران رواية البيضاوى قال فى الحديث الأول :

(حدثنا حجاج بن منهال : حدثنا هشيم ، أخبرنا أبو هاشم ، عن أبى مِجْلَزٍ ، عن قيس بن عُبَاد ، عن أبى ذر رضى الله عنه أنّه كان يقسم قسماً أن هذه الآية - هذان خصمان اختصموا فى ربهم - نزلت فى حمزة وصاحبيه يوم برزوا فى يوم بدر) (٤).

---

(١) أنظر فتح البارى كتاب التفسير ٩/٢٣٢ ، ٢٣٣

(٢) سورة الحج آية ١٩

(٣) تفسير البيضاوى ص ٤٣

(٤) صحيح البخارى بشرح فتح البارىء كتاب التفسير ١٠/٢٩

وقال فى الحديث الثانى : (حدثنا حجاج بن منهال : حدثنا معتمر بن سليمان . قال سمعت أبى قال حدثنا أبو مِجْلَزٍ عن قيس بن عُبَاد عن على رضى الله عنه قال : أنا أَوَّلُ مَنْ يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة قال قيس وفيهم نزلت - هذان خصمان اختصموا فى ربهم - قال هم الذين بارزوا يوم بدر علىٌّ وحمزةُ وعبيدة ، وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة) (١) .

وأما مسلم فروايته توافق البخارى وتخالف البيضاوى حيث قال: إنَّ الآية نزلت فى الذين خرجوا للمبارزة يوم بدر، فروى الحديث بسنده فقال : (حدثنا عمرو بن زرارة عن هشيم عن أبى هاشم عن أبى مِجْلَزٍ عن قيس بن عُبَاد قال : سمعت أبا ذر يقسم قَسَماً " أن هذان خصمان اختصموا فى ربهم " أنها نزلت فى الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلىّ وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة) (٢) .

ورواية البيضاوى الأولى أَنَّ سبب نزول الآية اختلاف المؤمنين والكافرين، قد أخرجها الطبرى فى تفسيره فقال : (حدثنا القاسم ، قال حدثنا الحسين ، قال حدثنى حجاج ، قال حدثنا أبو تُميلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد وعطاء بن أبى رباح وأبى قزعة عن الحسين قال : هم الكافرون والمؤمنون اختصموا فى ربهم) (٣) .

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارىء كتاب التفسير ١٠/٥٩

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب التفسير ١٨/١٦٦

(٣) تفسير الطبرى ١٧/١٣٢ .

وأما رواية البيضاوى الثانية من أن الذين اختصموا فى ربهم هم المؤمنون وأهل الكتاب فقد أخرجها الطبرى ، أيضا فقال : (حدثنى محمد بن سعد ، قال : حدثنى أبى ، قال حدثنى عمى ، قال حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) قال هم أهل الكتاب ، قالوا للمؤمنين : نحن أولى بالله وأقدم منكم كتاباً ، ونبينا قبل نبيكم . وقال المؤمنون : نحن أحق بالله ، آمنا بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم وآمنا بنبيكم ، وبما أنزل الله من كتاب ، فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ، ثم تركتموه وكفرتم به حسداً وكان ذلك خصومتهم فى ربهم)(١).

واختار الطبرى الرواية التى تقول إنَّ الآية نزلت فى الكفار والمؤمنين ودافع عنه فقال : (وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، وأشبهها بتأويل الآية قول مَنْ قال : عنى بالخصمين جميع الكفار من أى أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين ، وانما قلت ذلك أولى بالصواب ، لأنه تعالى ذِكْرُهُ ذَكَرَ قبل ذلك صنفين من خلقه : أحدهما أهل طاعة له بالسجود له . والآخر أهل معصية له قد حَقَّ عليه العذاب ، فقال " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)(٢) ثم قال (وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ)(٣) . ثم اتبع ذلك صفة الصنفين كليهما ، وما هو فاعلٌ بهما ، فقال : " فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ "(٤) ، وقال اللَّهُ : " إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ

---

(١) تفسير الطبرى ١٧/١٣٢

(٢ ، ٣) سورة الحج آية ١٨

(٤) سورة الحج آية ١٩

آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار "[(١)] فكان بيّناً بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما .

فان قال قائل : فما أنت قائل فيما روى عن أبى ذر فى قوله (إنّ ذلك) نزل فى الذين بارزوا يوم بدر ؟ قيل ذلك ان شاء الله كما روى عنه ، ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب ، ثم تكون عامة فى كل ما كان نظير ذلك السبب ، وهذه من تلك ، وذلك ان الذين تبارزوا إنّما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله ، والآخر أهل ايمان بالله وطاعة له ، فكل كافر فى حكم فريق الشرك منهما ، فى أنه لأهل الايمان خصم ، وكذلك كل مؤمن فى حكم فريق الايمان منهما ، فى أنه لأهل الشرك خصم .

فتأويل الكلام : هذا خصمان اختصموا فى دين ربهم . واختصامهم فى ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربته إيّاه على دينه)[(٢)] .

وهذا الرأى الذى ذهب اليه الطبرى ودافع عنه هو رواية البيضاوى الأولى ولكن الذى أراه أنّ سبب نزول الآية هو ما رواه الشيخان البخارى ومسلم فى أنه الآية نزلت فى الذين تبارزوا يوم بدر، لأنّ أبا ذر رضى الله عنه أقسم بذلك وهذا يدل على يقين منه . فتحقق أمران بحدوثهما يرجّح القول - الأول أن الرواية صحيحة جاءت فى الصحيحين الثانى وجود النص الصريح وهو قسم أبى ذر أنّ الآية نزلت فى المبارزين يوم بدر، ولهذا أنا أرجح رواية الصحيحين فى أنها سبب نزول الآية . وأما دفاع الطبرى رحمه الله عن الرواية الأولى وقوله أن

---

(١) سورة الحج آية ٢٣

(٢) تفسير الطبرى ١٧/١٣٣

الآية قد تنزل بسبب من الأسباب ثم تكون عامة فى كل ما كان نظير ذلك السبب ، لا ينفى أن الآية نزلت فى المبارزين يوم بدر، بل يثبت حكما ساغ عند جمهور العلماء أَنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ولكن ليس هذا موضع الاختلاف ولكن موضع الاختلاف أن الآية فى من نزلت ثم عممت بعد ذلك على كل من شمله ذلك السبب، فالرواية الصحيحة ترشدنا على أن الآية نزلت فى الذين برزوا للمبارزة يوم بدر، بل ويؤكد أبو ذر رضى الله عنه ذلك بالقسم، فثبت أن الآية نزلت فى المبارزين يوم بدر . وأن روايات البيضاوى ومَنْ وافقه من أن الآية نزلت فى الكفار والمؤمنين أو فى المؤمنين وأهل الكتاب، شمله عموم اللفظ الخاص بالمبارزين يوم بدر .

....

ومن علوم القرآن فى تفسير البيضاوى الناسخ والمنسوخ .

٢ ـ الناسخ والمنسوخ

جاء النسخ فى اللغة بمعنى الازالة وبمعنى الانتقال وبمعنى الابطال ، قال الجوهرى : (نسختِ الشمس الظلَ وانتسخته : أزالته . ونسخت الريحُ آثارَ الدارِ غيرتها . ونسخت الكتاب ، وانتسخته ، واستنسخته كله بمعنى . والنسخة بالضم اسم المنتسخ منه ونسخ الآية بالآية : ازالة مثل حكمها ، فالثانية ناسخة والأولى منسوخة . والتناسخ فى الميراث أَن يموت ورثة بعد ورثة وأصل الميراث قائم لم يقسم)(١)

وأما النسخ عند علماء الأصول فقد قال فيه الغزالى : (حدّه أنه الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجهٍ لولاه لكان ثابتا به مع تراخيه عنه . وانما أثرنا لفظ الخطاب على لفظ النص ليكون شاملاً للفظ والفحوى والمفهوم وكل دليل إذ يجوز النسخ بجميع ذلك)(٢)

فكأنَّ النسخ فى الشرع بمعنى رفع الحكم الثابت بالخطاب ويسمى المنسوخ بحكم آخر متراخ يسمى الناسخ . والذى يعنينا فى هذا المقام هو ناسخ القرآن ومنسوخه ، أو الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم ، والنسخ فى القرآن ثابتٌ بالكتاب والسنة والاجماع . فمن الكتاب قوله تعالى : " مَا نَنسَخْ مِنْ آيةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِ شَىءٍ قَدِيرٌ "(٣) وقوله تعالى :

---

(١) الصحاح للجوهرى فصل النون باب الخاء ١ / ٤٣٣

(٢) المستصفى من علم الأصول ١ / ١٠٧

(٣) سورة البقرة آية ١٠٦ .

" يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ " (١) قال ابن عباس رضى الله عنهما يبدل ما يشاء من القرآن فينسخه ويثبت ما يشاء فلا يبدله وعنده أم الكتاب : جملة ذلك عنده فى أم الكتاب الناسخ والمنسوخ وما يبدل. (٢)

وأما دليله من السنة فأحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخت بخمس رضعات معلومات فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن مما يقرأ من القرآن. (٣)

وحكى السيوطى الاجماع فقال : (وقد أجمع المسلمون على جوازه وأنكره اليهود). (٤)

ولكن اختلف العلماء فى الذى ينسخ القرآن . هل هو القرآن أم السنة

قال ابن الجوزى : (اتفق العلماء على جواز نسخ القرآن بالقرآن والسنة بالسنة ، فأما نسخ القرآن بالسنة ، فالسنة تنقسم قسمين :

أحدهما : - ما ثبت بنقل متواتر كنقل القرآن . فهل يجوز أن يُنْسَخَ القرآن بمثل هذا؟ حكى فيه شيخنا على بن عبيد الله روايتين عن أحمد قال : والمشهور

---

(١) سورة الرعد آية ٣٩

(٢) تفسير الطبرى ١٣/ ١١٣

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الرضاع ١٠/ ٢٩ . قال النووى : (النسخ بخمس رضعات تأخر انزاله جدا حتى أنه صلى الله عليه وسلم توفى وبعض الناس يقرأ عشر رضعات ويجعلها قرآنا متلوا لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده.

(٤) الاتقان فى علوم القرآن ٢/ ٢١

أنه لا يجوز وهو مذهب الثوري والشافعي . والرواية الثانية يجوز، وهو قول أبي حنيفة ومالك . قال ووجه الأولى قوله تعالى " ما ننسخ أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها " والسنة ليست مثلاً للقرآن، وروى الدارقطني من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كلامي لا ينسخ القرآن ، والقرآن ينسخ بعضه بعضاً) (١) .

ومن جهة المعنى ، فإنّ السنة تنقص عن درجة القرآن فلا تقدم عليه ، ووجه الرواية الثانية قوله تعالى : " وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ " (٢) والنسخ في الحقيقة بيان مدة المنسوخ فاقتضت هذه الآية قبول هذا البيان . قال وقد نُسخت الوصية للوالدين والأقربين بقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا وصيةَ لوارثٍ) (٣) ونَسخ قولَه تعالى : " وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ " (٤) بأمره عليه الصلاة والسلام أَنْ يُقتَلَ ابنُ خطل وهو متعلق بأستار الكعبة . (٥)

---

(١) رواه الدارقطني في النوادر ٥ / ١٤٥ وفي اسناده جبرون بن واقد قال الذهبي عنه أنه ليس بثقة روى هذا الحديث عن سفيان عن الزبير بقلة حياء أنظر المغني في الضعفاء ص ١٢٧ .

(٢) سورة النحل آية ٤٤

(٣) رواه ابن ماجة ٢ / ٩٠٥ قال البصيري في زوائد ابن ماجه اسناده صحيح .

(٤) سورة البقرة آية ١٩١

(٥) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٩ / ٧٦

ومن جهة المعنى أنَّ السنة مفسِّرةٌ للقرآن وكاشفةٌ لما يغمض من معناه فجاز أن ينسخ بها . والقول الأول هو الصحيح لأنَّ هذه الأشياء تجرى مجرى البيان للقرآن لا النسخ، وقد روى أبو داود السجستانى قال : سمعت أحمد ابن حنبل رضى الله عنه يقول : السنة تفسر القرآن ، ولا ينسخ القرآن إلاَّ القرآن وكذلك قال الشافعى : إنَّما ينسخ الكتاب الكتاب والسنة ليست ناسخة له .

والقسم الثانى : الأخبار المنقولة بنقل الآحاد فهذه لا يجوز بها نسخ القرآن ، لأنَّها لا توجب العلم ، بل تفيد الظن ، والقرآن يوجب العلم ، فلا يجوز ترك المقطوع به لأجل المظنون ، وقد احتج مَنْ رأى جواز نسخ التواتر بخبر الواحد بقصةِ أهلِ قُباء لما استداروا بقول واحد ، فأجيب بأنَّ قبلة بيت المقدس لم تثبت بالقرآن فجاز أَنْ تُنسخ بخبرِ الواحد (١) . (٢)

وقد فَرَّقَ السُّيوطى بين المنسوخ والمُنْسَأ / فسمّى المنسأ ما أمر به لسبب ثم يزول، كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح ثم نسخ بايجاب القتال فقال : (وهذا فى الحقيقة ليس نسخاً بل هو من قسم المنسأ كما قال تعالى أو ننسأها (٣)، فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أنْ يقوى المسلمون وفى حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى، وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أنَّ الآية فى ذلك منسوخة بآية

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى، كتاب التفسير ٩ / ٢٤٠ وصحيح مسلم بشرح النووى ٥ / ١٠

(٢) نواسخ القرآن لابن الجوزى من ٩٧ الى ١٠١

(٣) أو ننسأها قراءة ابن كثير وأبو عمرو أنظر حجة القراءات ص ١٠٩

السيف، وليس كذلك بل هي من المنسأ بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما، لعلةٍ تقتضي ذلك الحكم بل ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ انما النسخ الازالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله) (١) .

كما فَرَّقَ السيوطي بين الأوامر والأخبار في النسخ فقال : (لا يقع النسخ إلَّا في الأمر والنهي ولو بلفظ الخبر . أَمَّا الخبرُ الذي ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد وإذا عرفت ذلك عرفت فساد صنع من أدخل في كتب النسخ كثيرًا من آيات الأخبار والوعد والوعيد) (٢) .

والنسخ جاء في القرآن على ثلاثةِ أقسامٍ :

١ - قسم نسخ رسمًا وحكمًا . بمعنى أنه نسخت تلاوته وحكمه .

٢ - قسم نسخ رسمًا وبقي حكمه . بمعنى أنه نسخت تلاوته وبقي حكمه .

٣ - قسم نسخ حكمًا وبقي رسمًا . بمعنى أنه نسخ حكمه وبقيت تلاوته .

قال الطحاوي : - قال أهل العلم بالتأويل أَنَّ النسخ وجهان :

أحدهما : نسخ العمل بما في الآية المنسوخة وإِنْ كانت الآية المنسوخة قرآنًا كما هي .

والآخر : أخراجها من القرآن وهي محفوظة في القلوب أو خارجة من القلوب غير محفوظة .

فالمنسوخ من القرآن مِّمَّا نسخ العمل به وبقي قرآنًا، هو كمثل قول الله عز وجل في سورة الأنفال : " إِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ص ٢١

(٢) المرجع السابق .

مِنكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا "(١). ثم نسخ الله عزَّ وجلَّ ذلك بقوله : -
" الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ "(٢) ومثل ذلك في سورة المزمل قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا "(٣). ثم نسخ ذلك " عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ "(٤). فهذا المنسوخ العمل به الباقي قرآناً كما كان قبل ذلك .

وأما المنسوخ الذى يُخْرج من القرآن فينقسم قسمين :

أحدهما : يخرج من قلوب المؤمنين حتى لا يبقى فيها منه شيء من ذلك .

كما في الأثر: حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا عبد الله بن وهب. أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب. حدثني أبو أمامة بن سهل ونحن في مجلس سعيد بن المسيب لا ينكر ذلك أن رجلاً كانت معه سورة فقام في الليل ليقرأها، فلم يقدر عليها وقام آخر فقرأها فلم يقدر، وقام آخر كذلك فأصبحوا فأتوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا عنده فقال بعضهم يا رسول الله قمت البارحة لأقرأ سورة كذا وكذا فلم أقدر عليها وقال الآخر ما جئت الا لذلك وقال الآخر

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٥

(٢) سورة الأنفال آية ٦٦

(٣) سورة المزمل آية ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤

(٤) سورة المزمل آية ٢٠

وأنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنَّها نسخت البارحة)(١)

والقسم الآخر أن يخرج من القرآن ويبقى فى صدور المؤمنين على أنه ليس بقرآن، ومن ذلك ما قد حدثنا يوسف بن يزيد . حدثنا يعقوب بن إسحاق حدثنا نافع بن عمر الجمحى عن ابن أبى مليكة عن المسور بن مخرمة . قال قال عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف ألم تجد فيما أنزل الله علينا جاهدوا كما جاهدتم أول مرة . قال بلى قال فإنَّا لم نجدها قال أسقطت فيما أسقط من القرآن، قال أخشى أن يرجع الناس كفارًا قال ما شاء الله قال لئن رجع الناس كفارا ليكونن أمراؤهم بنو فلان)(٢) .

وروى الطحاوى أحاديث أخرى بهذا المعنى .

من هذا يتضح معنى الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم وما يتعلق به، وأما الآيات التى وقع فيها النسخ اختلف فيها العلماء .

قال السيوطى : (قال بعضهم سور القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ أقسام . قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ، وهو ثلاثة وأربعون سورة الفاتحة ويوسف ويس والحجرات والرحمن والحديد، والصف والجمعة والتحريم والملك والحاقة ونوح والجن والمرسلات وعم، والنازعات والانفطار، وثلاث بعدها، والفجر وما بعدها إلى آخر القرآن الا التين والعصر والكافرون، وقسم فيه الناسخ والمنسوخ وهو خمس وعشرون البقرة وثلاث بعدها، والحج والنور وتالياها والأحزاب وسبأ والمؤمن، والشورى والذاريات والطور والواقعة والمجادلة والمزمل والمدثر وكوّرت والعصر .

---

(١) مشكل الآثار ٤١٧/١

(٢) مشكل الآثار ٤١٨/١

وقسم فيه الناسخ فقط وهو ستة الفتح والحشر والمنافقون والتغابن والطـلاق والأعلى .

وقسم فيه المنسوخ فقط وهو الأربعون الباقية وفيه نظر) (١) .

وعلى ضوء ما تقدم بقى أن نعرف منهج البيضاوى فى الناسخ والمنسوخ من القرآن وما هى الآيات الناسخه عنده وما هى الآيات المنسوخة .

قال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى : (مَا نَنْسَخ مِنْ آيةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بخيرٍ منها أَو مثلها) (٢) . النسخ فى اللغة ازالة الصورة عن الشىء واثباتها فى غيره، كنسخ الظل للشمس والنقل، ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الأثرَ ونسخت الكتاب، ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو الحكم المستفاد منها أو بهما جميعا، وانساؤها اذهابها عن القلوب وقرأ أبو عمرو ننسأها أى نؤخرها من النسىء . والآية دلت على جواز النَّسخ وتأخير الانزال، إذ الأصلُ اختصاص أن وما يتضمنها بالأمور المحتملة وذلك لأَنَّ الأحكامَ شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد، وتكميل نفوسهم فضلاً من الله ورحمة، وذلك يختلف باختلاف الأعصار والأشخاص كأسباب المعاش، فانَّ النافع فى عصر قد يضر فى عصر غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل، أو ببدل أثقل، ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتى به بدلا، والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم أو الأثقل أصلح، والنسخ قد يعرف بغيره، والسنة مما أتى به الله تعالى وليس المراد بالخير، والمثل ما يكون كذلك فى اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن ٢/ ٢١

(٢) سورة البقرة آية ١٠٦

فان التغير والتفاوت من لوازمه وأجيب بأنهما من عوارض الأمور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم) (١) .

تبين من تفسير هذه الآية منهج البيضاوى فى نسخ القرآن :

أولا : عرفه تعريفاً يشمل أنواع النسخ الثلاثة، المنسوخ حكما وتلاوة والمنسوخ حكماً وباقٍ تلاوة والمنسوخ تلاوة وباق حكماً بقوله (نسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو الحكم المستفاد فيهما أو بهما جميعا) .

ثانيا : بيّن الحكمة من النَّسخ وأنه رحمة من الله لعباده ومراعاة لمصالحهم .

ثالثا : ردَّ على من منع النسخ بلا بدل، وقال قد يكون عدم البدل أصلح لهم .

رابعا : رَدَّ على الذين اشترطوا أن يكون الناسخ أخف من المنسوخ فى التكاليف بقوله قد يكون البدل الأثقل أصلح للعباد .

خامسا : جوّز نسخ السنة للقرآن بقوله أنَّ السنة وحى من الله تعالى، وبيّن أن الخيرية ليست فى الناسخ عينه وانَّما فى الحكم الذى أته به .

سادسا : رَدَّ على المعتزلة القائلين بحدوث القرآن وان التغيير والتبديل من لوازم الحادث . فقال أن القرآن هو صفة الله تعالى وكلامه ليس مخلوق، فالله تعالى من صفاته أنه يفعل ما يشاء فينسخ ويثبت ويحكم لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل .

وقد أورد البيضاوى الناسخ والمنسوخ من الآيات فى تفسيره غير أن آيات النسخ عنده على ثلاثة أقسام :-

---

(١) تفسير البيضاوى بتصرف ص ٣٩

١ - قسم قال بالنسخ فيه أو رجّح نسخه على عدم النسخ .

٢ - قسم اعترض على نسخه وأبطل حجة القائلين بالنسخ .

٣ - قسم سكت عن نسخه وعدمه في حين أن العلماء اختلفوا في نسخه .

أما القسم الأول وهو الآيات التي قال بالنسخ فيها نذكر منها أمثلة :

منها ما جاء في قوله تعالى : " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ".(١)

قال البيضاوي : (رخّص لهم في ذلك في أول الأمر لما أمروا بالصوم فاشتد عليهم لأنهم لم يتعودوه ثم نسخ).(٢)

ويؤيد ما ذهب إليه البيضاوي في القول بالنسخ ما رواه البخاري في صحيحه فقال : (حدثنا قتيبة . حدثنا بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحارث ، عن بكير بن عبد الله عن يزيد مولى سلمة بن الأكوع ، عن سلمة قال : لما نزلت : " وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين " كان من أراد أن يفطر ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها).(٣)

أمَّا القولُ بعدم النسخ فهو قولُ ابن عباس رضي الله عنهما ومَنْ وافقه فقد أخرجه البخاري في كتاب الصوم فقال : (حدثني إسحاق : أخبرنا روح . حدثنا زكريا ابن إسحاق . حدثنا عمرو بن دينار . عن عطاء : سمع ابن عباس يقرأ " وعلى الذين يطوّقونه(٤) فديةٌ طعامُ مسكين " . قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٤ .

(٢) تفسير البيضاوي ص ٥٣

(٣) صحيح البخاري بشرح فتح الباري كتاب التفسير ٩/ ٢٤٧

(٤) يطوقونه بفتح الطاء وتشديد الواو مبنيا للمفعول قراءة ابن مسعود .

الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعما مكان كل يوم مسكيناً)(١).

والقول الذى أراه راجحاً هو قول البيضاوى وَمَنْ وافقه وهو القول بالنسخ - صحيح أن الأحاديث صحيحة ومتعارضه لكن قراءة ابن مسعود قراءة شاذة لا تثبت حكماً كمال ابن الجوزى : (هذه القراءة لا يلتفت لها لوجوه :

أحدها : أنَّها شاذة خارجة عما اجتمع عليه المشاهر فلا يعارضها ثبت الحجة بنقله .

والثانى : أنَّها تخالف ظاهر الآية ، لأنَّ الآية تقتضى الاطاقة لقوله (وأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ)(٢) وهذه القراءة تقتضى نفيها .

والثالث : انَّ الذين يطيقون الصوم ويعجزون عنه ينقسمون إلى قسمين :

أحدهما : - مَنْ يعجز لمرض أو لسفر ، أو لشدة جوع أو عطش، فهذا يجوز له الفطر ويلزمه القضاء من غير كفارة .

والثانى : مَنْ يعجز لكبر السن، فهل يلزمه الكفارة من غير قضاء إلى أنْ قال فعلى هذا البيان يكون النسخ أولى من الآية بأحكام ، يدل على ما قلنا قوله تعالى فى تمام الآية " وأَنْ تَصُومُوا خيرٌ لكم ")(٣)

ومنَ الآياتِ التى قال بالنسخ فيها قوله تعالى : " إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوَالِهِم وأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ والَّذِينَ آوَواْ وَنصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَولِيَاءُ بَعْضٍ ".(٤)

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارىء كتاب التفسير ٩ / ٢٤٦

(٢) سورة البقرة آية ١٨٤ .

(٣) نواسخ القرآن ص ١٧٧

(٤) سورة الأنفال آية ٧٢

قال البيضاوى : (أولياء بعض فى الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب حتى نسخ بقوله : " وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله "(١) .)(٢)

والقول بالنسخ قال به ابن عباس ومن وافقه أخرج ذلك ابن جرير فى تفسيره فقال : (حدثنى المثنى قال حدثنا أبو صالح قال حدثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله " إنّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ". يعنى فى الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوى الأرحام قال الله : " والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا "(٣) يقول مالكم من ميراثهم من شىء وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله هذه الآية : " وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ". فى الميراث فنسخت التى قبلها وصار الميراث لذوى الأرحام)(٤) .

وروى آثارا أخرى عن عكرمة والحسن والسدى وقتادة كلها تقول بالنسخ وقد ذهب الطبرى والفخر الرازى وابن الجوزى إلى عدم النسخ .

قال الفخر الرازى : (إعلم أنّ الله تعالى لما ذكر هذين القسمين فى هذه الآية قال (أولئك بعضهم أولياء بعض) واختلفوا فى المراد بهذه الولاية

---

(١) سورة الأنفال آية ٧٥

(٢) تفسير البيضاوى ص ٢٤٦

(٣) سورة الأنفال آية ٧٢

(٤) تفسير الطبرى ١٠/٣٦ ، ٣٧

فنقل الواحدى عن ابن عباس والمفسرين كلهم أَنَّ المراد هو الولاية فى الميراث ، وقالوا جعل الله تعالى سبب الأرث الهجرة والنصرة دون القرابة . وكان القريب الذى آمن ولم يهاجر لم يرث من أجل أنه لم يهاجر ولم ينصر ، واعلم أن لفظ الولاية غير مشعر بهذا المعنى ، لأَنَّ هذا اللفظ مشعر بالقرب على ما قررناه فى مواضع من هذا الكتاب . ويقال السلطان ولى من لا ولى له ولا يفيد الارث ، وقال تعالى : " ألا إِنَّ أولياءَ الله لا خوفٌ عليهم ولا هُم يَحْزَنُون[(١)] " ولا يفيد الإِرث بل الولاية تفيد القرب فيمكن حمله على غير الإِرث ، وهو كون بعضهم معظماً للبعض مهتماً بشأنه مخصوصاً بمعاونته ومناصرته ، والمقصود أن يكونوا يداً واحده على الأعداء ، وأن يكون حبُّ كل واحد لغيره جارياً مجرى حبه لنفسه ، واذا كان اللفظ محتملاً لهذا المعنى كان حمله على الأرث بعيداً على دلالة اللفظ ، لاسيما وهم يقولون إِنَّ ذلك الحكم صار منسوخاً بقوله تعالى فى آخر الآية : " وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض " وأى حاجة تحملنا على حمل اللفظ على معنى لا اشعار لذلك اللفظ به ، ثم الحكم بأنه صار منسوخاً بآية أخرى مذكورة معه . هذا فى غاية البعد ، اللهم إلاَّ اذا حصل اجماع المفسرين على أن المراد ذلك فحينئذ يجب المصير إليهَ إلَّا أن دعوى الاجماع بعيد)[(٢)].

ووافقه على ذلك الطبرى[(٣)] وابن الجوزى[(٤)] . و أقول أن الذى أراه راجحاً

---

(١) سورة يونس آية ٦٣

(٢) التفسير الكبير ٢٠٩/١٥

(٣) تفسير الطبرى ٤٠/١٠

(٤) زاد المسير ٣٨٥/٣

أن الآية منسوخة كما قال البيضاوى وهو قول جمهور المفسرين وأما كلام الرازى هذا فالرد عليه يحمله فى طياته وهو أن كل المفسرين الأوائل قالوا المراد بالولاية الولاية فى الميراث فهم أدرى بالتفسير من غيرهم .

وبذلك نرى أَنَّ البيضاوى قد أصاب ووافق الجمهور فى أن الآية منسوخة .

ومن الآيات التى قال البيضاوى بالنسخ فيها قوله تعالى : " يا أَيُّها الَّذين آمنوا إذا ناجيتم الرسولَ فقدِّموا بين يدي نجواكم صدقةً ذلك خيرٌ لكم وأطهرُ فان لم تجدوا فإنَّ الله غفورٌ رحيم ".(١)

قال البيضاوى : (اختلف فى أنه للندب أو للوجوب لكنه منسوخ بقوله : " أأشفقتُم أن تقدِّموا بين يدى نجواكُم صدقاتٍ ".(٢) وهو وان اتصل به تلاوةً لم يتصل به نزولاً).(٣)

ورواية النسخ رواها الحاكم فى مستدركه والطبرى فى تفسيره . قال الطبرى : (حدثنا أبو كريب ، قال حدثنا ابن ادريس ، قال سمعت ليثا ، عن مجاهد قال . قال على رضى الله عنه : آية من كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلى ، ولا يعمل بها أحد بعدى ، كان عندى دينار فصرفته بعشرة دراهم ، فكنت إذا جئت إلى النبى صلى الله عليه وسلم تصدقت بدرهم ، فنسخت فلم يعمل بها أحد قبلى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة).(٤)

---

(١) سورة المجادلة الآية ١٢

(٢) سورة المجادلة الآية ١٣

(٣) تفسير البيضاوى ٧٢٢

(٤) تفسير الطبرى ٢٠/٢٦ ومستدرك الحاكم ٢/٤٨٢ وصححه .

كما روى الطبرى آثاراً عن ابن عباس رضى الله عنه بنسخ الآية، وأن الآية التى نسختها (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات " وبه قال جمهور العلماء من المفسرين .

وأما الآيات التى اعترض على النسخ فيها نذكر منها أمثلة، منها ما جاء فى قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم القِصاصُ فى القَتْلى الحرُّ بالحرِّ والعبدُ بالعبدِ والأنثى بالأنثى فمن عُفِيَ له من أخيه شيءٌ فاتّباعٌ بالمعروفِ وأداءٌ إليه بإحسانٍ ذلك تخفيفٌ من ربّكم ورحمةٌ فمن اعتدى بعد ذلكَ فله عذابٌ أليم " (١) .

قال البيضاوى بعد ذكر سبب النزول (الآية لا تدلُّ على قتل الحُرِّ بالعبد والذكر بالأنثى كما لا تدل على العكس، وليس لأحد أن يدعى أنها منسوخة بقوله تعالى " النفسَ بالنفسِ " (٢) لأنه حكاية فى التوراة فلا ينسخ ما فى القرآن، واحتجت به الحنفية على أن مقتضى العمد القود وحده، وهو ضعيف إذ الواجب على التخيير يصدق عليه أنه واجب وكتب، ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا) (٣) .

ورواية النسخ أوردها ابن أبى حاتم فى تفسيره عن عطاء عن سعيد بن جبير (٤) .

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٨ .

(٢) سورة المائدة آية ٤٥

(٣) تفسير البيضاوى بتصرف ص ٥١

(٤) تفسير ابن ابى حاتم المخطوط ورقه ١٠٢ من الجزء الأول .

وأما رواية النسخ فهى عن ابن عباس والحسن البصرى أخرج ذلك أبومحمد مكى ابن أبى طالب القيسى في كتابه الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (١).

وأما الذين وافقوا البيضاوى فى عدم النسخ فكثير من العلماء منهم مكى ابن ابى طالب حيث قال فى قوله تعالى " النفس بالنفس " : (هذه الآية أوجبت قتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل والعبد بالحر وهذا لا يجوز عند جماعة من العلماء لأن ما فرضه الله علينا لا ينسخه ما حكى الله لنا من شريعة غيرنا انما أخبرنا الله فى المائدة بما شرع لغيرنا ، لم يفرضه علينا فيكون ناسخا لما تقدم من سنة الغرض علينا ولكن الآيتان محكمتان لا نسخ فى واحدة منهما) (٢).

وذهب بعض العلماء إلى تعليل القول بأن الآية محكمة فمنهم مَنْ قال أنها مخصوصة ومنهم مَنْ قال أنها مفسرة وغير ذلك منهم الشعبى والسدى وأبو عبيد حكى ذلك عنهم مكى ابن أبى طالب .

فقال عن الشعبى : (قال الشعبى وغيره آية البقرة مخصوصة نزلت فى قوم تقاتلوا فقتل منهم خلق كثير وكانت إحدى الطائفتين أعز من الأخرى فقالت العزيزة : لا يقتل العبد منا إلاَّ بالحرِّ منكم ، ولا بالأنثى منا الا بالرجل منكم فنزلت الآية فى ذلك ، ثم هى فى كل مَنْ أراد أن يفعل كفعلهم فهى محكمة) . وقال عن السدى : (قال هى مخصوصة فى فريقين تقاتلوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ووقع بينهما قتلى فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يفادى بينهم ديات النساء بديات النساء وديات الرجال بديات الرجال فهى فى شىء بعينه

---

(١) الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخة ص ١١٤

(٢) الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١١٤ ، ١١٥

وهى تعبد لمن يأتى بعدهم فهى محكمة) .

وقال عن أبى عبيد (قال آية المائدة مفسرة لآية البقرة لأنَّ أنفس الأحرار متساوية فيما بينهم، وعلى هذا أكثر الفقهاء يقتل الحرُّ بالحرِّ والأنثى بالأنثى بآية البقرة وآية المائدة ، ويقتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل آية المائدة والآية عند مالك محكمة) .(١)

تبيَّن من ذلك أنَّ جمهور العلماء على أنَّ الآية محكمة وليست منسوخة ، وتوجيه الآية بأنَّها مخصوصة أو مفسرة توجيه مقبول، ولكن الردَّ على مَنْ قال بالنسخ من أن آية " النفس بالنفس " خطاب لأهلِ الكتاب، ولا تنسخ شرعنا أقوى حجةً ، وأ سطح بياناً، وهو قول البيضاوى ومكى ابن أبى طالب .

ومن الآيات التى اعترض البيضاوى على نسخها ما جاء فى قوله تعالى :
" كُتبَ عليكم إذا حضرَ أحدَكم الموتُ إنْ تركَ خيراً الوصيةُ للوالديْنِ والأقربين "(٢)

قال البيضاوى : (كان هذا الحكم فى بدأ الاسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه الصلاة والسلام . " انَّ الله أعطى كل ذى حق حقه ألا لا وصية لوارث ".(٣)

وفيه نظر، لأنَّ آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث أنَّها تدل على تقديم الوصية مطلقاً، والحديث من الآحاد، وتلقى الأمة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ، ولعلَّه احترز عنه مَنْ فسَّر الوصية بما أوصى به الله من توريث الوالدين والأقربين

---

(١) الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٠ .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه باب ما جاء فى الوصية سنن أبى داود مع عون المعبود ٨/ ٧٢ وأحمد فى مسنده ٥/ ١٨٨ والترمذى فى سننه ٤/ ٤٣٣ وقال هذا حديث حسن صحيح .

بقوله يوصيكم الله أو بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما أوصى الله به عليهم) (١).

والقول بنسخ الوصية للوالدين والأقربين أخرجه البخاري في صحيحه، فقال: (باب لا وصية لوارث - حدثنا محمد بن يوسف، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيم عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس، وجعل للمرأة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع) (٢).

وأما الذين قالوا بعدم النسخ وجهوا الآية، فمنهم من قال إنَّ الوصية كانت ندبا لا واجبه كالشعبي، والنخعي. قال ابن الجوزي: (وهذا مذهب جماعة منهم الشعبي والنخعي واستدلوا بقوله "بالمعروف" قالوا: المعروف لا يقتضي الايجاب وبقوله "على المتقين" والواجب لا يختص به المتقون) (٣).

وحكى مكي ابن أبي طالب عن الشعبي والنخعي، بأن الوصية للوالدين والأقربين في الآية على الندب لا على الغرض، فمنعت السنة من جواز الوصية للوالدين وبقيت الوصية للأقربين على الندب (٤).

ومنهم مَنْ قال إنَّ الآية مخصوصة بآية الغرائض مثل طاوس وغيره قال ابن حجر: (قيل إنَّ الآية مخصوصة لأن الأقربين أعم من أن يكونوا وراثاً، وكانت الوصية واجبة

---

(١) تفسير البيضاوي ص ٥٢

(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب الوصايا ٦/ ٣٠١، ٣٠٢

(٣) نواسخ القرآن ص ١٥٨

(٤) انظر الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١٢٢.

لجميعهم فخص منها مَنْ ليس بوارث بآية الفرائض وبقوله صلى الله عليه وسلم " لا وصية لوارث " وبقى حق مَنْ لا يرث من الأقربين من الوصية على حاله . قاله طاوس وغيره) .(١)

والذى أرجّحه أنَّ الآية منسوخة إمَّا بآية الفرائض أو بالحديث، ودعوى البيضاوى بعدم النسخ تصتدم بالدليل، وهى الرواية الصحيحة عن ابن عباس كما أورد البخارى .

ومن الآيات التى اعترض البيضاوى على نسخها ما جاء فى قوله تعالى : -

" يسألونك ماذا يُنفقونَ قلْ ما أنفقتُم من خيرٍ فللوالدَيْن والأقربينَ واليتامى والمساكينِ وابنِ السبيلِ وما تفعلُوا من خيرٍ فإنَّ اللهَ به عليم " .(٢)

قال البيضاوى : " ليس فى الآية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به)(٣)

قال بعضُ العلماء هذه الآية منسوخة بآية الزكاة، وقال البعضُ غيرَ منسوخةٍ، حكى ابن الجوزى الخلاف فقال : -

" يسألونك ماذا ينفقون " . اختلفوا هل هذه منسوخة أم محكمة ؟

روى السدى عن أشياخه أنه يوم نزلت هذه لم تكن زكاة ، وإنَّما هى نفقة الرجل على أهله ، والصَّدقة يتصدقون بها فنسختها الزكاة ، وروى عن على ابن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نسخت هذه بآية الصدقات فى براءة .

وروى أبو صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نسخ منها الصدقة

---

(١) فتح البارىء شرح صحيح البخارى ٦/٣٠٢

(٢) سورة البقرة آية ٢١٥

(٣) تفسير البيضاوى ص ٥٩

على الوالدين، وصارت الصدقة لغيرهم الذين لا يرثون من الفقراء والمساكين والأقربين . وقال الحسن البصرى : المراد بها التطوع على من لا يجوز أعطاؤه الزكاة كالوالدين والمولودين، وهى غير منسوخة، وقال ابن زيد : هى فى النوافل وهم أحق بفضلك) (١) .

ولم يتعرَّض كثير، من المفسرين للنسخ فى الآية، والطبرى بعد أن أورد رواية السدى فى أن الآية نزلت قبل فرض الزكاة لم يذكر اعتراضاً ولا تأييداً لقول السدى فقال : " قولٌ ممكنٌ أَنْ يقالَ كما قال ، وممكن غيره ولا دلالة فى الآية على صحة ما قال لأنَّه ممكن أن يكون قوله . " قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين" حَثَّاً من الله جل ثناؤه على الانفاق على من كانت نفقته غير واجبة من الآباء والأمهات والأقرباء وَمَنْ سُمِّى معهم فى هذه الآية وتعريفاً من الله لعباده مواضع الفضل التى تصرف فيها النفقات كما قال فى الآية الأخرى " وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة " (٢)) (٣) .

وهو قولٌ وجيهٌ يوافق ما قاله البيضاوى وهو الذى أراه راجحاً، وأن الآية ليست منسوخة إذ لا تعارض بين هذه الآية وآية الزكاة والآية التى أوردها الطبرى وهى قوله " وآتى المال على حبه" خير شاهد على جمع ذوى القربى وغيرهم مع الزكاة .

---

(١) نواسخ القرآن ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٢) سورة البقرة آية ١٧٧ .

(٣) تفسير الطبرى ٤/ ٢٩٤ - ٢٩٥ .

وأما القسم الثالث: الآيات التى سكت عنها البيضاوى فلم يقل بنسخها أو عدمه ، فى حين أَنَّ بعض العلماء قال بنسخها .

منها ما جاء فى قوله تعالى : " فإنْ جاؤوك فاحكُمْ بينهم أو أعرِضْ عنهم " (١).

قَال البيضاوى : (تخيير لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم إذا تحاكموا إليه بين الحكم والاعراض . ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان إلى القاضى لم يجب عليه الحكم، وهو قول للشافعى، والأصح وجوبه إذا كان المترافعان أو أحدهما ذمّيًّا ، لأَنَّا التزمنا الذَّبَّ عنهم ودفع الظلم عنهم، والآية ليست فى أهل الذمة وعند أبى حنيفة تجب مطلقًا) (٢).

لم يتعرض البيضاوى فى هذه الآية للقول بالنسخ وعدمه، كأنَّها لم يذكر فيها شىء من ذلك، وقد ورد فيها أثر صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما رواه الحاكم فى مستدركه فقال : " حدثنى محمد بن صالح بن هانىء . حدثنا السرى بن خزيمة . حدثنا سعيد بن سليمان الواسطى حدثنا عَبَّاد بن العوام . حدثنا سفيان بن حسين عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : آيتان منسوختان من سورة المائدة : " فاحكم بينهم أو أعرض عنهم " . فأنزل الله عز وجل : " وأنِ أحْكُمْ بينَهم بما أنزلَ اللّهُ، ولا تَتَّبعْ أهواءَهم " (٣)) (٤) قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبى .

(١) سورة المائدة آية ٤٢

(٢) تفسير البيضاوى ص ١٥٢

(٣) سورة المائدة آية ٤٩

(٤) المستدرك على الصحيحين كتاب التفسير ٢ / ٣١٢ .

وقال الجصاص فى أحكام القرآن : (روى الحكم عن مجاهد قال : لم ننسخ من المائدة الا هاتان الآيتان : " لا تُحلوا شعائرَ الله ولا الشَّهْرَ الحرامَ ولا الهديَ ولا القلائدَ "(١). نسختها . "فاقتُلوا المشركينَ حيثُ وجدتُموهم "(٢). و " ان جاؤك فاحكم بينهم " نسختها . " وان أحكم بينهم بما أنزل الله ")(٣).

وقال الطبرى : (وقال آخرون بل التخيير منسوخ وعلى الحاكم إذا احتكم إليه أهلُ الذمة أن يحكم بينهم بالحقّ ، وليس له ترك النظر بينهم) ، وروى آثاراً عن الحسن البصرى والسدى وعكرمة ومجاهد(٤) .

تبيَّن من ذلك أن كثيراً من العلماء قال بنسخ الآية ووردت فيها آثارٌ صحيحةٌ منها ما رواه الحاكم وصححه وأقره عليه الذهبى، ثم هؤلاء الأعلام من المفسرين قالوا بنسخها ولكن البيضاوى لم يذكر ذلك ولم يلتفت إليه .

ومما سكت عنه البيضاوى من الآيات التى تناولها النسخ قوله تعالى : " ولا يقتلون النفس التى حرّم الله إلاّ بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما (٦٨) يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً (٦٩) الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً "(٥).

---

(١) سورة المائدة آية ٢

(٢) سورة التوبة آية ٥

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٣/٢٩٣

(٤) تفسير الطبرى ١٠/٣٣٠ ، ٣٣١

(٥) سورة الفرقان من الآية ٦٨ الى الآية ٧٠

فَسَّر البيضاوى الآياتِ من غير ذكر ناسخٍ ولا منسوخ فى حين أنَّ بعض العلماء قالوا بالنسخ فيها .

قال ابن الجوزى فى زاد المسير : (ولعلماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية قولان :

أحدهما : أنَّها منسوخة ، وفى ناسخها ثلاثة أقوال أحدها : - أنه قوله تعالى : " وَمَنْ يقتلْ مؤمناً متعَمّداً فجزاؤه جهنمُ " (١) قاله ابن عباس وكان يقول هذه مكية - يعنى قوله تعالى "إلَّا من تاب . . الآية " والتى فى النساء مدنية . والثانى : - أنها نسخت بقوله : "إنَّ اللهَ لا يغفرُ أن يُشْرَك بهِ ويغفرُ ما دونَ ذلك لِمَنْ يشاءُ . ." (٢) والثالث : أَنَّ الأُولى نسخت بالثانية وهى قوله : " إلاَّ من تاب " .

والقول الثانى : أنها محكمة والخلود إنَّما كان لانضمام الشرك الى القتل والزنا) (٣)
والقول بالنسخ رواه الطبرى عن زيد بن ثابت وابن عباس . (٤)

ومما سكت عنه البيضاوى من الآيات التى تناولها النسخ قوله تعالى : -
" والذين إذا أصابَهمُ البَغْيُ هُمْ ينتصِرون " (٥) قال البيضاوى : -

(هو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل وهو يخالف وصفهم

---

(١) سورة النساء آية ٩٣ - ليست فى النساء
(٢) سورة النساء آية ٤٨
(٣) زاد المسير فى علم التفسير ٦/١٠٦
(٤) تفسير الطبرى ١٩/٤٤
(٥) سورة الشورى آية ٣٩ .

بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم . والحلم عن العاجز محمود، وعن المتغلب مذموم لأنه اجراء واغراء على البغى، ثم عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدى)[1].

انظر كيف أعرض البيضاوى عن ذكر النسخ فى الآية فى حين أن بعض العلماء قالوا بنسخها وعدها الواحدى من الآيات المنسوخة فى سورة الشورى، فقال الآية الخامسة قوله تعالى : " والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون" والتى تليها نسخ ذلك بقوله : "ولَمَنْ صَبَرَ وغفرَ إنَّ ذلك لَمِنْ عَزْمِ الأمورِ")[2].[3]

وروى الطبرى الرواية بالنسخ فقال : (حدثنى يونس أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى "والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون" من المشركين "وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح") الآية ليس أمركم أن تعفوا عنهم لأنه أحبهم، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل، ثم نسخ هذا كله وأمره بالجهاد) فعلى قول ابن زيد هذا تأويل الكلام، وجزاء سيئة من المشركين إليكم سيئة مثلها منكم اليهم وانْ عفوتم وأصلحتم فى العفو فأجركم فى عفوكم عنهم إلى الله إنَّه لا يحبُّ الكافرين)[4].

هكذا نهج البيضاوى فى الناسخ والمنسوخ من الآيات فآتى بذكر النسخ

---

(١) تفسير البيضاوى ٢ / ١٧٥

(٢) سورة الشورى آية ٤٣

(٣) الناسخ والمنسوخ للواحدى ص ٢٧١ ، ٢٧٢

(٤) تفسير الطبرى ٢٣ / ٢٤ .

فى الآيات التى يرى فيها النسخ ويعترض على الآيات التى يرى فيها عدم النسخ، وقال قوم بنسخها ولكنه سكت على كثير من الآيات التى ورد القول بالنسخ فيها عند بعض المفسرين، وذكرنا أمثلة لكل قسم من هذه الأقسام نموذجا على منهجه فى الناسخ والمنسوخ .

....

٣ ـ الاعجاز البياني في تفسيره

القرآن الكريم هو معجزة النبي صلى الله عليه وسلم التي تحدى بها قومه

وقد كان لكل نبيٍ معجزة خارقة للعادة، إمّا حسية كعصى موسى وناقة صالح وإمّا معنوية كالقرآن الكريم . فالقرآن الكريم معجز خارق للعادة في أسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبات ، سارداً لقصص الأولين مبينا لأخبارهم . كما أخبر بالمستقبل وما يجد في الدنيا من أمور وما يحدث في اليوم الآخر من غيبيات لا تعلم الا بالوحي . بالاضافة لما فيه من أحكام ونظم وشرائع وحدود جاءت بأسلوب بليغ وفصاحة عالية . قال السيوطي نقلاً عن الزملكاني :

(وجه الاعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزنة ، وعلت مركباته معنى بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى) .(١)

وقد تحدى اللهُ سبحانه وتعالى العرب وهم أفصح الناس . تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن قال تعالى : " فليأتوا بحديثٍ مثلِهِ إنْ كانوا صادقين ".(٢)

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور منه في قوله تعالى : " أمْ يقولونَ افتراهُ ، قل فأتوا بعشْرِ سُوَرٍ مثلِهِ مفترياتٍ وادعوا منِ استطعتُم من دونِ اللهِ إنْ كنتم صادقينَ.فانْ لم يستجيبُوا لكُمْ فاعلمُوا أنَّما أُنزِّلَ بعِلْمِ اللهِ ."(٣) ثم تحداهم بسورة في قوله : " أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورةٍ مثلِهِ وادعوا منِ استطعتُم

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ص ١٥١

(٢) سورة الطور آية ٣٤

(٣) سورة هود آية ١٣ ، ١٤

من دونِ اللهِ إنْ كنتم صادِقِين ". (١) وفى قوله تعالى : " وإنْ كنتم فى رَيْبٍ مما نزلنا على عبدِنا فأتوا بسُورةٍ من مثلهِ ". (٢) فلما عجزوا عن معارضته والاتيان بسورة من مثله، وقد كان فيهم البلغاء والفصحاء، وكانت لهم القصائد العجيبة والرجز الفافر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع، والنثر البليغ ، كل ذلك فيهم، والقرآن يتحداهم فلا يستطيعون معارضته فلما تبين عجزهم أظهر إعجازه فقال : " قل لئنِ اجتمعتِ الأنسُ والجِنُّ على أن يأتُوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتُون بمثلِهِ ولو كانَ بعضُهم لبعضٍ ظهيراً ". (٣)

والاعجاز البيانى للقرآنى أورده البيضاوى فى تفسيره ، كالأمثال والتشبيه والاستعارة وغير ذلك، فبيّن وجه البلاغة فيه وأشار إلى الفصاحة وعلو الأسلوب بعبارات مختصره تؤدى المعنى وتوضح اعجاز الآية .

ونذكر منها أمثلة :

ففى أمثال القرآن قال فى قوله تعالى : " إنَّما مَثَلُ الحياةِ الدنيا كماءٍ انزلناهُ من السماءِ فاختلَطَ به نباتُ الأرضِ مما يأكلُ الناسُ والأنعامُ حتى إذا أخذتِ الأرضُ زُخْرُفَها وازيّنَتْ وظَنَّ أهلُها أنهم قادرونَ عليها أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمْسِ، كذلك نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يتفكَّرون ". (٤)

---

(١) سورة يونس آية ٣٨

(٢) سورة البقرة آية ٢٣

(٣) سورة الاسراء آية ٨٨

(٤) سورة يونس آية ٢٤

قال البيضاوى : (إنّما مثل الحياة الدنيا فى حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها،كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ، فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً) مما يأكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وأزينّت تزينت بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة كعروس أخذت من ألوان الثياب والزينة وتزينت بها ، وظَنَّ أهلها أنهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها ، أتاها أمرنا) ضرب زرعها ما يجتاحه ليلاً أو نهاراً فجعلنا زرعها حصيداً شبيهاً بما حصد من أصله،كأنْ لم يغنى زرعها،أى لم يلبث والمضاف محذوف فى الموضعين للمبالغة ، وهو مثل فى الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية ، وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاماً بعد ما كان غضاً والتف وزيّن الأرض،حتى طمع فيه أهله وظنوا أنه قد سلم من الجوايح) . (١)

وهذا المثل ضربه اللهُ سبحانَه وتَعَالى لمن اغتر بالحياةِ الدنيا واطمئن إليها وظَنَّ أنَّ نعيمها باق يتمتع به أبد الأبدين فى حين أن نعيم الدنيا معرّض للزوال فى أى لحظه،بل ربما زال فى أوج عظمته ومنتهى ذروته زوالاً مفاجىء من غير تدرج كالزرع المخضر عندما استوى وكسا الأرض بلونه ورونقه وأعجب ناظره آتته جائحة من السماء كالصاعقة والزويعة وغيرها،فدمرته وتركته أثراً بعد عين . ذلك مثل الحياة الدنيا لا يجوز الركون إليها ولا الاطمئنان اليها بل يجب توقع زوال نعيمها،واغتنام الوقت فى العمل للنعيم الباقى وهو نعيم الآخرة .

---

(١) تفسير البيضاوى ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

قال ابن القيم فى أمثال القرآن : (شبه سبحانه الحياة الدنيا فى أنها تتزين فى عين الناظر فتزوقه بزينتها وتعجبه فيميل إليها ويهواها اغتراراً منه بها حتى إذا ظَنَّ أنه مالك لها قادر عليها ، سلبها بغته ، أحوج ما كان إليها وحيل بينه وبينها فشبهها بالأرض الذى ينزل الغيثُ عليها فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظرِ فيغتر به ويظن أنه قادر عليها مالك لها فيأتها أمر اللهُ فتدرك نباتها الآفة بغتةً فتصبح كأنْ لم تكن قبلُ فيخيب ظَنُّه ، وتصبح يداه صفراً منها فهكذا حال الدنيا والواثق بها سواء ، وهذا من أبلغ التشبيه والقياس ، فلما كانت الدنيا عرضة لهذه الآفات والجنة سليمة منها قال تعالى : " واللَّهُ يدعُو الى دارِ السلامِ "(١) فسماها هنا دار السلام لسلامتها من هذه الآفات التى ذكرها فى الدنيا فعم بالدعوة إليها وخَصَّ بالهداية من شاء فذاك عدله وهذا فضله) (٢)

ومن أمثال القرآن ما ذكره البيضاوى فى تفسير قوله تعالى : " أفمن أَسَّسَ بنيانَهُ على تقوى من اللهِ ورضوانٍ خيرٌ أم مَنْ أسسَ بنيانَهَ على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهارَ بهِ فى نارِ جهنمَ والله لا يهدِي القومَ الظالمين "(٣)

قال البيضاوى : ("أفمن أُسس بنيانه" بنيان دينه "على تقوى من الله ورضوان خير" على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة "أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار" على قاعدة هى أضعف القواعد وأرخاها "فانهار به فى نار جهنم" فأدى به لخوره وقلة إستمساكه الى السقوط فى النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلاً لما بنوا عليه أمر دينهم فى البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به فى النار ووضعه فى مقابلة الرضوان تنبيها على أن تأسيس ذلك على أمر

---

(١) سورة يونس آية ٢٥ (٢) أمثال القرآن ص ٢٠

(٣) سورة التوبة آية ١٠٩ (٤)

يحفظه ويوصله إلى رضوان الله ومقتضياته التى الجنة أدناها، وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثم إنَّ مصيرهم الى النار لا محالة).[١]

وقال القرطبى : اختلف العلماء فى قوله تعالى " فانهار به فى نار جهنم" هل ذلك حقيقة أو مجاز، على قولين : الأول أن ذلك حقيقة وأن النبى صلى الله عليه وسلم إذ أرسل إليه فهدم رؤى الدخان يخرج منه . وقال بعضهم كانَ الرجلُ يدخلُ فيه سعفة من سعف النخل فيخرجها سوداء محترقة . وذكر أهلُ التفسيرِ أَنَّهُ كان يحفر ذلك الموضع الذى انهار فيخرج منه دخان . والثانى أَنَّ ذلك مجازٌ : والمعنى صار البناء فى نار جهنم فكأنه انهار إليه وهوى فيه وهذا كقوله تعالى : " فأمه هاوية ".[٢] والظاهر الأول إذ لا محالة فى ذلك والله أعلم).[٣] ورجَّح القرطبى القولَ بالحقيقةِ فى الآية وأنَّها ليس فيها تشبيهٌ ولا مجازٌ على خلافِ البيضاوى الذى أتى بالتمثيل من أول مرةٍ من غير أَنْ يذكرَ قولاً يخالف ذلك، وجعل التمثيل بين الحق والباطل، وأن الذى يعمل فى رضوان الله ويسير فى طريق الحق، كتأسيس مساجد الله على تقوى من الله ورضوان، فانَّ هذا الفعل محفوظ بحفظ الله تعالى موصل إلى بر السلامة وجنة المأوى، ومقابله من عمل فى سخط الله وسار فى طريق الباطل كتأسيس المساجد على سخط الله وتفريق كلمة المسلمين ومحاربة لله ورسوله .

---

(١) تفسير البيضاوى ص ٢٦٧ ، ٢٦٨

(٢) سورة القارعة آية ٩

(٣) انظر تفسير القرطبى ٤ / ٣١٠٢

فهذا الفعل هو طريق الهلاك بعينه يردى صاحبه فى المهالك ويهوى به فى نار جهنم يوم القيامة .

قال الفخر الرازى : (المعنى أفمن أسَّس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهى الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه خير ، أمن أسَّسَ على قاعدة هى أضعف القواعد وأقلها بقاءً وهو الباطل ؟ والنفاق الذى مثله مثل شفا جرفٍ هارٍ من أودية جهنم فلكونه شفا جرفٍ هارٍ كان مشرفاً على السقوط ولكونه على طرق جهنم ، كان إذا انهار فانما ينهار فى قعر جهنم ، ولا نرى فى العالم مثالاً أكثر مطابقة لأمر المنافقين من هذا المثال ! وحاصل الكلام أحد البنائين قصد بانيه ببنائه تقوى الله ورضوانه ، والبناء الثانى قصد بانيه ببنائه المعصية والكفر ، فكان البناءُ الأولُ شريفاً واجب الابقاء ، وكان الثانى خسيساً واجب الهدم) (١) .

ومن الاعجاز البيانى فى تفسيره الاستعارة فى التشبيه مثال ذلك فى قوله تعالى : " وضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقُها رغَداً من كلِّ مكانٍ فكفرتْ بأنعمِ اللهِ فأذاقَها اللهُ لباسَ الجُوعِ والخوْفِ بما كانُوا يصنعونَ " (٢) .

قال البيضاوى : (استعار الذوق لادراك أثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف وأوقع الاذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له كقول كثير :

---

(١) تفسير الرازى ١٦ / ١٩٧

(٢) سورة النحل آية ١١٢

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكاً ... علقت لضحكته رقاب المال (١)

فانه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه وأضاف إليه الغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء وقد ينظر إلى المستعار كقوله :

ينازعني ردائى عبد عمرو ... رويدك يا أخا عمرو بن بكر (٢)

لى الشطر الذى ملكت يمينى ... ودونك فاعتجز منه بشطر

استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجز نظراً إلى المستعار) (٣).

أقول والاستعارة فى الآية الكريمة فى لفظ " أذاقها " فهى تستعمل فى المحسوس ، وقد استعملت فى الآية فى غير المحسوس على سبيل الاستعارة ، وقد كثر ذلك الاستعمال عند العرب . وكذلك لفظ " لباس الجوع والخوف " فاللباس يستعمل كذلك فى المحسوس، وفى الآية استعمل فى غير المحسوس على سبيل الاستعارة وهو أيضاً يكثر استعماله عند العرب، كما بيَّن ذلك البيضاوى واستدل عليه بالشعر .

وقال الآلوسى : (شبه أثر الجوع والخوف وضررهما الغاشى باللباس، بجامع الإحاطة والاشتمال، فاستعير له اسمه وأوقع عليه الاذاقة المستعارة للاصابة ، وأوثرت للدلالة على شدة التأثير التى تفوت لو استعملت الاصابة ، وبيّنوا العلاقة بأن المدرك من أثر الضرر شبه بالمدرك من طعم المر البشع من باب استعارة

---

(٢) مجالس العلماء للزجاجى ص ٧١

(٣) تفسير البيضاوى ص ٣٦٨

(١) ديوان كثير ص ٩٠ والبيت فى المدح وجاء فى تاج العروس : (ومن المجاز رجل غمر الرداء بالفتح وكذلك غمر الخلق أى كثير المعروف سخى واسع الخلق ، وإن كان رداؤه صغيراً .) تاج العروس ١٢/ ٥٩

محسوس لمعقول لأن الوجدانيات لذوق في قرن العقليات، وكذا يقال في الأول . ولشيوع استعمال الاذاقة في ذلك وكثرة جريانها على الألسنة جرت مجرى الحقيقة ولذا جعل ايقاعها على اللباس تجريداً ، فإنَّ التجريد إنَّما يحسن أو يصح بالحقيقة أو ما ألحق بها من المجاز الشائع ، فلا فرق في هذا بين أذاقها اياه وأصابها به ، وانما لم يقل فكساها ايثاراً للترشيح لئلا يفوت ما تقيده الاذاقة من التأثير والادراك وطعم الجوع لما في اللباس من الدلالة على الشمول) .(١)

ومن الاستعارة أيضاً ما جاء في قوله تعالى : " قال رب إنِّي وهَنَ العظْمُ مني واشتعَلَ الرأسُ شيباً ولم أكنْ بدعائكَ ربِّ شقياً ".(٢)

قال البيضاوي : (شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها، ثم أخرج مخرج الاستعارة، وأسند الاشتعال إلى الرأس، الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزًا إيضاحاً للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على أن علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد) .(٣)

وهنا أيضاً أتى الله سبحانه وتعالى بلفظ اشتعل وهي تستعمل في النار فأتى بها في بياض الشعر من الشيب لقرينة بين اشتعال النار في الوقود وانتشار بياض الشيب في الرأس وهي شدة السرعة في الانتشار، فلما كثر هذا التشبيه استعير لفظ الاشتعال إلى الرأس في انتشار الشيب فيه وتسمى استعارة مكنية .

---

(١) روح المعاني ٥/ ٢٤٣

(٢) سورة مريم آية ٤

(٣) تفسير البيضاوي ٤٠٣

قال الشوكاني : (الاشتعال في الأصل انتشار شعاع الرأس ، فشبه به انتشار بياض شعر الرأس في سواده بجامع البياض والانارة ، ثم أخرج مخرج الاستعارة بالكناية ، بأن حذف المشبه به وأداة التشبيه ، وهذه الاستعارة من أبدع الاستعارات وأحسنها . قال الزَّجاج : يقال للشيب إذا كَثُرَ جداً قد اشتعل رأس فلان . وأنشد لبيد :

فإنْ ترى رأسي أمسى واضحاً   سَلَّطَ الشيب عليه فاشتعل) (١) .

تلك أمثلة مختارة من الأمثال في القرآن الكريم والتشبيهات والاستعارات .

والله سبحانه وتعالى إذ يضرب هذه الأمثال يقصد بذلك أموراً عديدة منها تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب ، ومنها الاقناع بفكرة من الأفكار ، ومنها الترغيب أو التنفير ومنها المدح أو الذم ، ومنها شحذ ذهن المخاطب وغير ذلك في تصوير دقيق وأسلوب رائع من واقع البيئة ليسهل ادراك المعنى وتحصل الفائدة .

. . . .

---

(١) فتح القدير ٣/ ٣١٠

٤ ـ العام والخاص

العام والخاص فى القرآن الكريم نوعاً من أنواع علوم القرآن وقد جاء فى القرآن على ثلاثة أقسام :

الأول : عام باقٍ على عمومه ، مثل : " والله بكلِّ شىء عليمٌ ".(١) وقوله : " ان اللهَ لا يظلمُ الناسَ شيئا ".(٢) وقوله : " حُرِّمَتْ عليكم أمهاتُكم ".(٣)

ينتقد دليل الزركشى فى العموم .

الثانى : العام المراد به الخصوص كقوله تعالى : " الذين قال لهم الناسُ ان الناسَ قد جمعوا لكم فاخشَوْهُم ".(٤) والقائل واحد هو نعيم بن مسعود أو اعرابى من خزاعة . وقوله : " أم يحسُدون الناسَ على ما آتاهُمُ اللهُ من فضلِه ".(٥) والمحسود رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثالث : العام المخصوص : والتخصيص اما متصل كقوله " والمحصَناتُ من النساءِ الا ما ملكت أيمانُكم ".(٦) وقوله : "وكلُوا وأشربوا حتى يتبينَ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجر ".(٧) وقوله : " ولله على الناس حِجُّ البيتِ منِ استطاعَ إليه سبيلا ".(٨) والمنفصل آية أخرى فى محل آخر كقوله تعالى :

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢

(٢) سورة يونس آية ٤٤

(٣) سورة النساء آية ٢٣

(٤) سورة آل عمران ١٧٣

(٥) سورة النساء آية ٥٤

(٦) سورة النساء آية ٢٤

(٧) سورة البقرة آية ١٨٧

(٨) سورة آل عمران آية ٩٧

" والمطلقاتُ يتربّصْنَ بأنفسِهن ثلاثةَ قُروء ".(١) خص بقوله : " اذا نكحتم المؤمناتِ ثم طلقتموهُنَّ من قبلِ أن تمسُّوهن فما لكم عليهِنَّ من عِدّة ".(٢)
وبقوله : " وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ".(٣) (٤)

والعام والخاص فى تفسير البيضاوى قد تناول القسمين الأخيرين ، وهما العام الذى قصد به الخصوص، والعام المخصوص . وقد تعرض البيضاوى للتخصيص فى القرآن عند تفسيره للآيات التى ورد فيها التخصيص وبيّن المخصص من الآيات . نذكر فيما يلى أمثلة يتبين منها موقف البيضاوى من العام والخاص فى القرآن الكريم .

ففي تفسير قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إذا لَقيتُمُ الذين كفروا زحفاً فلا تولّوهُمُ الأدبارَ ومن يُوَلِّهِمْ يومئذٍ دُبُرَهُ الا متحرِّفاً لقتالٍ أو مُتَحَيِّزاً إلى فئةٍ فقد باءَ بغضبٍ من اللهِ ومأواهُ جهنمُ وبئسَ المصيرُ ".(٥)

قال البيضاوى بعد تفسيره للآية : (الأظهر أنّها محكمة لكنها مخصوصة بقوله : " حرّض المؤمنين "(٦) وقيل الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه فى الحرب)(٧)

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٨
(٢) سورة الأحزاب آية ٤٩
(٣) سورة الطلاق ٤
(٤) انظر الاتقان ٢/ ٢١ ، ٢٢
(٥) سورة الأنفال آية ١٥ ، ١٦
(٦) سورة الأنفال آية ٦٥
(٧) تفسير البيضاوى ص ٢٣٦

والخلاف فى الآية ، هل الفرار يوم الزحف مخصوص بيوم بدر أم هو عام فى كل زحف إلى يوم القيامة ؟ .

فقال نافع والحسن وقتادة ويزيد بن أبى حبيب والضحاك أَنَّ ذلك خاصٌ بأهل بدر ، فلم يكن لهم أن ينحازوا ، ولو انحازوا لانحازوا للمشركين ، ولم يكن فى الأرض يومئذٍ مسلمون غيرهم ، ولا للمسلمين فئة إلَّا النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن عباس وجمهور العلماء أَنَّ الآية باقية الى يوم القيامة والدليل على ذلك أَنَّ الآية نزلت بعد القتال وانقضاء الحرب .(١)

والبيضاوى ذكر قولين متشابهين يقابلان قول الجمهور فقال : الأظهر انَّها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرِّض المؤمنين . وقال: قيل الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه فى الحرب. وكلا القولين يدلان على معنًى واحدٍ لأن الفئة هى فئة النبى صلى الله عليه وسلم، وأن التولى ممنوع فى ذلك الوقت وهو وقت غزوات النبى صلى الله عليه وسلم . وأما القولُ بأَنَّ الآية عامةٌ فى كل زحف للمؤمنين الى يوم القيامة لم يذكره البيضاوى، وهو قول الجمهور وهو القول الذى أميل إليه لورود الحديث الصحيح فى ذلك قال مسلم : (حدثنى هارون بن سعيد الأيلى حدثنا بن وهب قال حدثنى سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبى الغيث عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هنّ ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرّم الله إلَّا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولى يوم الزحف

---

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربى ١/ ٨٤٣، ٨٤٤ وتفسير القرطبى ٤/ ٢٨١٧

وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)[١] . فعدّ التولى يوم الزحف أحد الموبقات فكل هذه السبعة محرّمة إلى يوم القيامة، فثبت أن الزحف محرّم الى يوم القيامة .

ومن أمثلة العموم والخصوص فى تفسير البيضاوى ما جاء فى قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتَ النبىِّ إلّا أن يؤذَنَ لكم الى طعامٍ غيرَ ناظرينَ إناهُ ولكنْ إذا دُعيتُم فادخلوا فإذا طعِمتم فانتشروا ولا مستأنِسين لحديثٍ إنَّ ذلكم كان يؤذِى النبىَّ فيستحِى منكم واللهُ لا يستحِى من الحقّ " .[٢]

قال البيضاوى الآية خطاب لقوم يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبأمثالهم، وإلّا لما جاز لأحدٍ أن يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام، ولا اللبث بعد الطعام لمهم) .[٣]

خصّص البيضاوى الآية بقوم كانوا يدخلون بيت النبى صلى الله عليه وسلم) ويقعدون منتظرين الطعام فنهاهم الله عن ذلك فمنعهم من الدخول إلّا باذنٍ، وأن لا يكون دخولهم لانتظار طعام لم يتهيأ، فكانت الآية خاصة بهم والى هذا ذهب الزمخشرى فقال : (" أن يؤذن لكم " فى معنى الظرف تقديره : وقت أن يؤذن لكم . و " غير ناظرين " حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً كأنه قيل : لا تدخلوا بيوت النبى صلى الله عليه وسلم إلّا وقت الاذن ، ولا تدخلوها الا غير ناظرين ، وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الايمان ٢/ ٨٢ ، ٨٣

(٢) سورة الأحزاب آية ٥٣

(٣) تفسير البيضاوى ص ٥٦١

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ، ومعناه : لا تدخلوا ياهؤلاء المتحينون للطعام الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ، والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصاً لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبى صلى الله عليه وسلم الا أن يؤذن له اذناً خاصاً وهو الاذن إلى الطعام فحسب"(١) .

قلت : سبب نزول الآية ما رواه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : (لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ابنة جحش، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون . واذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام من قام وقعد ثلاثة نفر ، فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا ، فانطلقت فجئت فاخبرت النبى صلى الله عليه وسلم، أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه ، فأنزل الله : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الآية ".(٢) وأخرجه مسلم فى كتاب النكاح .

وأما ما أورده البيضاوى من أنَّ الآية خطابٌ لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو قول ابن عباس لا يقاوم ما فى الصحيحين، واذا كان سبب نزول الآية هو مكث أولئك النفر فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم يوم زواجه بزينب بنت جحش، إلاَّ أن حكم الآية عام لكل من اتصف بصفة هؤلاء النفر - ويسمون بالثقلاء - لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والى هذا ذهب كثير من

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٧٠ ، ٢٧١

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارىء كتاب التفسير ١٠/ ١٤٧ ، ١٤٨ .

المفسرين كالقرطبى (١) والفخر الرازى (٢) والقاسمى (٣) وغيرهم .

ومن أمثلة العام والخاص فى تفسير البيضاوى ما جاء فى تفسير قوله تعالى :

" احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون، من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ". (٤)

قال البيضاوى : (هو عام مخصوص بقوله تعالى : " إنّ الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مُبعَدون . . . الآية " (٥) وفيه دليل على أن الذين ظلموا هم المشركون). (٦)

قال ابن الجوزى : (" الذين ظلموا " من حيث هم ، وفيهم قولان : أحدهما : ـ أنهم المشركون . والثانى أنّه عامٌ فى كل ظالم). (٧)

والذى أراه أن الآية تخصّ المشركين وأن الظلم الحقيقى هو الكفر كما بيّن الفخر الرازى ذلك حين قال : (ثم ذكر من صفات الذين ظلموا كونهم عابدين لغير الله، وهذا يدل على أن الظالم المطلق هو الكافر، وذلك يدل على أن كل وعيد ورد فى حق الظالم فهو معروف إلى الكفار، ومما يؤكد هذا قوله تعالى :

---

(١) تفسير القرطبى ١٤/٢٢٤

(٢) تفسير الرازى ٢٥/٢٢٤

(٣) تفسير القاسمى ١٣/٢٩٤ ، ٢٩٥

(٤) سورة الصافات الآيات ٢٢ ، ٢٣

(٥) سورة الأنبياء آية ١٠١

(٦) تفسير البيضاوى ص ٥٩١

(٧) زاد المسير فى علم التفسير ٧/٥٢

" والكافرون هم الظالمون "[1] .[2])

وبهذا يكون المعنى - والله أعلم - أن الله سبحانه وتعالى توّعد المشركين وأمثالهم ومن سار على نهجهم توعدهم بأن يحشرهم فى سواء الجحيم، إلاّ الذين سبقت لهم الحسنى وهم المؤمنون الذين سينجيهم الله بفضله وكرمه من شر ذلك اليوم ويدخلهم جنة المأوى .

تلك أمثلة ذكرناها لبيان منهج البيضاوى فى العام والخاص فى القرآن الكريم. وهو نوع من أنواع البلاغة القرآنية، وقد جاء القرآن بما ألفه العرب من هذا النوع من البلاغة من العام الذى أريد به الخصوص، أو العام المخصص، أو العام الباقى على عمومه .

....

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٤

(٢) التفسير الكبير ٢٥ / ١٣١ .

٥ـ المطلق والمقيد

قال السيوطي : (المطلق هو الدال على الماهية بلا قيدٍ ، وهو مع القيد كالعام والخاص قال العلماء : متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه وإلاَّ فلا ، بل يبقى المطلق على اطلاقه والمقيد على تقييده ، لأنَّ الله تعالى خاطبنا بلغة العرب) .(١)

ومثال المطلق ما جاء في الشّهادة في قوله تعالى : " وأشهدوا إذا تبايعتم".(٢)
وفي قوله تعالى : " فإذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم ".(٣)
فأطلق الشهادة في البيع، وفي دفع المال لليتامى . وقد جاءت الشهادة مقيدة بالعدالة في الرجعة والفراق والوصيةً في قوله تعالى : " وأشهدوا ذَوَيّ عدلٍ منكم ".(٤) وقوله : " شهادةُ بينِكم إذا حضرَ أحدَكم الموتُ حينَ الوصيةِ اثنانِ ذَوا عدلٍ منكم ".(٥) وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة في القرآن .

وقد جاء تفسير البيضاوي ذاخراً بذكر المطلق والمقيد، مبيّنا مواضعه مستشهداً بالدليل نذكر من ذلك على سبيل المثال : ما جاء في قوله تعالى : " ومن يَرْتَدِدْ منكُمْ عن دينِهِ فيمتْ وهُوَ كافِرٌ فأولئكَ حبطَتْ أعمالُهم ".(٦)

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ٢/ ٤٠

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٢

(٣) سورة النساء آية ٦

(٤) سورة الطلاق آية ٢

(٥) سورة المائدة آية ١٠٦

(٦) سورة البقرة آية ٢١٧

قال البيضاوى : (قيد الردة بالموت عليها فى احباط الأعمال كما هو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى، والمراد بها الأعمال النافعة) (١).

مذهب البيضاوى على مذهب الشافعى أن احباط العمل مقيد بالموت على الكفر.

وقد خالفهم المالكية فى ذلك فقالوا : إن احباط العمل غير مقيد بالموت على الكفر بل هو بمجرد الكفر ، أورد الخلاف ابن العربى فقال : (اختلف العلماء رحمة الله عليهم فى المرتد ، هل يحبط عمله نفس الردة أم لا يحبط إلاَّ الموافاة على الكفر ؟

فقال الشافعى : لا يحبط له عمل إلاَّ بالموافاة كافراً . وقال مالك يحبط بنفس الردة .

ويظهر الخلاف فى المسلم اذا حج ثم ارتد ثم أسلم ، فقال مالك : يلزمه الحج لأن الأول قد حبط بالردة . وقال الشافعى : لا اعادة عليه لأنَّ عمله باقٍ .

واستظهر عليه علماؤنا بقوله تعالى : " لئنْ أشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عملُكَ " (٢).

وقالوا هو خطاب النبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته لأنه صلى الله عليه وسلم يستحيل منه الردة شرعاً .

وقال أصحاب الشافعى بل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم على طريق التغليظ على الأمة ، وبيان أن النبى صلى الله عليه وسلم على شرف منزلته، لو أشرك لحبط عمله ، فكيف أنتم ؟ لكنه لا يشرك لفضل مرتبته كما قال الله تعالى :

---

(١) تفسير البيضاوى ص ٥٩

(٢) سورة الزُّمَر آية ٦٥

" يا نساءَ النبيِّ من يأتِ منكُنَّ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنةٍ يضاعَفْ لها العذابُ ضِعْفَيْنِ ".(١)

وذلك لشرف منزلتهن ، والا فلا يتصور اتيان فاحشة منهن ،صيانة لصاحبهن المكرم المعظم .

قال ابن عباس حين قرأ : " ضربَ اللهُ مثلاً للذين كفروا امرأةَ نُوحٍ وامرأةَ لُوطٍ كانتا تحتَ عبدَيْنِ من عبادِنا صالحَيْنِ فخانتاهُما ".(٢) : والله ما بغت امرأة نبى قط ولكنهما كفرتا .

وقال علماؤنا : إنَّما ذكر الموافاة شرطاً ها هنا ،لأنه علّق عليها الخلود فى النار جزاء ، فمن وافى كافراً خلوه فى النار بهذه الآية ، ومن أشرك حبط عمله بالآية الأخرى ، فهما آيتان مفيدتان لمعنيين مختلفين وحكمين متغايرين ، وما خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم فهو لأمته حتى يثبت اختصاصه به ، وما وردت فى أزواجه صلى الله عليه وسلم فانما قيل ذلك فيهن ليبين أنه لو تصور لكان هتكا لحرمة الدين وحرمة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكل هتك حرمة عقاب ، ينزل ذلك منزله من عصى فى شهر حرام ، أو فى البلد الحرام أو فى المسجد الحرام ، فإنَّ العذاب يضاعف عليه بعدد ما هتك من الحرمات والله الواقى لا رب غيره).(٣)

والقول الذى أميل إليه هو قول البيضاوى الذى هو مذهب الشافعى، أنَّ الآية مقيدة . وأن الردة فى احباط العمل مقيدة بالموت على الكفر. فان أسلم المرتد ومات على الايمان كان له من عمله ما سبق الردة ، لأنَّ الله تعالى لا يضيع أجر

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٠ .

(٢) سورة التحريم آية ١٠

(٣) أحكام القرآن لابن العربى ١/ ١٤٧، ١٤٨ .

من أحسن عملا . والله أعلم .

ومما أورده البيضاوى من المطلق والمقيد ما جاء فى تفسير قوله تعالى :

" وربائبُكُمُ اللاتِي فى حُجُورِكم من نسائكمُ اللاتي دخلتُم بهنّ " (١)

قال البيضاوى : (الربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سُمِّىَ به لأنه يربه كما يربى ولده فى غالب الأمر فعيل بمعنى مفعول وإنَّما لحقته التاء لأنـــه صار اسما ، ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتى بصلتها صفة لها مقيدة اللفظ والحكم بالاجماع) . (٢)

معنى كلام البيضاوى أن الاطلاق الذى ورد فى تحريم الربائب مقيد بالربائب من النساء المدخول بهن وهو قول الجمهور وجاءت به السنة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم أجاز زواج بنت المرأة إذا طلق أمها قبل أن يدخل بها . وأَمَّا قوله تعالى " فى حجوركم " . تقوية للعلة وتكملة لها وليس تقيداً للتحريم لقـول جمهور العلماء بذلك .

ومن أمثلة المطلق والمقيد فى تفسير البيضاوى ، ما جاء فى تفسير قوله تعالـى :

" والذين يُظاهِرون من نسائهم ثم يعودُون لما قالوا فتحريرُ رقَبَةٍ من قبلِ أن يَتماسّا " . (٣)

قال البيضاوى فى تحرير الرقبة : (أى فعليهم أو فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان قياساً على كفارة القتل) . (٤)

---

(١) سورة النساء آية ٢٣

(٢) تفسير البيضاوى ص ١١٤

(٣) سورة المُجادَلة آية ٣

(٤) تفسير البيضاوى ص ٢ / ٢٢٠

والمعلوم أن البيضاوى يقول بقول الشافعى وهو تقييد الرقبة بالايمان، وهو قول مالك أيضا وخالفهما أبو حنيفة فى ذلك فانه لم يقيد الرقبة بالايمان بل جعلها عامة فى المؤمن والكافر . أورد الخلاف الفخر الرازى فى تفسيره فقال : قال أبو حنيفة رحمه الله هذه الرقبة تجزى سواء كانت مؤمنة أو كافرة، لقوله تعالى : " فتحرير رقبة " فهذا اللفظ يفيد العموم فى جميع الرقاب . وقال الشافعى : لابُدَّ وأن تكون مؤمنة ودليله وجهان : -

الأول : أنَّ المشرك نجس لقوله تعالى : " إِنَّما المشركون نَجَسٌ " .[1] وكل نجس خبيث باجماع الأمة وقال تعالى : " ولا تيمّموا الخبيثَ " .[2]

الثانى : أجمعنا على أن الرقبة فى كفارة القتل مقيدةٌ بالايمان . فهكذا هاهنا ، والجامع أن الاعتاق انعام . فتقييده بالايمان يقتضى صرف هذا الانعام إلى أولياء الله وحرمان أعداء الله ، وعدم التقييد بالايمان قد يفضى الى حرمان أولياء الله ، فوجب أن يتقيد بالايمان تحصيلاً لهذه المصلحة) .[3]

واضح من ذلك أنَّ قول الشافعى قوى تسنده الأدلة وقد قال به البيضاوى، وأورده من غير ذكر المعارض واكتفى بقياس الآية على كفارة القتل، ولو ذكر رد الشافعى هذا على أبى حنيفة لوضح الأمر واطمأنت إليه النفس.

وعلى كل فالبيضاوى فى تفسير دقيق التعبير ولكنه مختصر العبارة فيذكر الآيات التى تقيد المطلق وتخصص العام وغير ذلك فى ايجازٍ واختصارٍ .

---

(١) سورة التوبة آية ٢٨

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٧

(٣) التفسير الكبير ٢٩/٢٥٩ .

٦_ موهم الاختلاف

وردت فى القرآن الكريم بعض الآيات التى فى ظاهرها الاختلاف والتعارض، فقام بعض العلماء فى الجمع بين الآيات وازالة شبه الاختلاف وقد كان للبيضاوى دور فى هذا المجال ودلو مع الدلاء . فكان له فى تفسيره مواقف فى جمع الآيات التى فى ظاهرها التعارض . مثال ذلك ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " فإذا نُفِخَ فى الصُّورِ فلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون ".(١)

قال البيضاوى : (لا يسأل بعضهم بعضاً لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض " وأقبل بعضُهم على بَعْضٍ يتساءلون ".(٢) لأنه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة ودخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار).(٣)

وهو توجيه جيد للآية لأنَّ يوم القيامة مواقف فعند النفخة الثانية يجتمع الخلائق كل مع فئته يجمع بينهم الايمان وعدمه والعمل الصالح والطالح، لا يجمع بينهم النسب كما فى الدنيا، ولا يسأل أحدٌ أحداً، لأنه لا ينفع هناك مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم، فما دام النفع لا يتأتى من أقرب الأقربين، فلا داعى للكلام والسؤال، لأنه لا طائل تحته . وأما بعد المحاسبة واجتماع أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار، يسأل أهل الجنة بعضهم بعضاً عن أخبار الدنيا وما كان فيها، وكذلك أهل النار بل ويسأل أصحاب الجنة أصحاب النار وغير ذلك من الكلام والسؤال فلا تعارض بين الآيات .

---

(١) سورة المؤمنون آية ١٠١

(٢) سورة الصافات آية ٢٧

(٣) تفسير البيضاوى ص ٤٦٠

ومنها ما جاء في قوله تعالى : " والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون " (١).

قال البيضاوي : (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعله الله لهم كراهة التذلل . وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل . وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم على العاجز محمود وعلى المتغلب مذموم لأنه اجراء واغراء على البغي) (٢) ومنها ما جاء في قوله تعالى : " ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك " (٣).

قال البيضاوي : (والمعنى سل ربنا أن يقضي علينا من قضى عليه إذا أماته وهو لا ينافي ابلاسهم . في قوله تعالى : " لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون " (٤). فانه جؤار وتمنى للموت من فرط الشدة) (٥).

والابلاس في اللغة معناه اليأس والحزن جاء في مختار الصحاح : (أبلس من رحمة الله أي يئس ومنه سمي إبليس وكان اسمه عزازيل والابلاس أيضا الانكسار والحزن يقال أبلس فلان إذا سكت غماً) (٦).

---

(١) سورة الشورى ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩

(٢) تفسير البيضاوي ص ٦٤١

(٣) سورة الزخرف آية ٧٧

(٤) سورة الزخرف آية ٧٥

(٥) تفسير البيضاوي ص ٦٥٤

(٦) مختار الصحاح ص ٦٣

فالبيضاوى جمع بين سؤال أصحاب النار مالكَ ليقضى الله عليهم وبين يأسهم وهو بلاسهم وسكوتهم حزنا فيبدأون بالسؤال والصراع وتمنى الموت، فعند ما يعلمون أنهم ماكثون فى النار ولا اجابة لطلبهم يحصل لهم البلاس ، وعبارة البيضاوى مختصره لا يتبين منها المعنى بوضوح .

ومنها ما جاء فى قوله تعالى : " وما خلقت الجنّ والإنسَ إلاّ لِيعبدون "(١)

قال : (لما خلقهم على صورة متوجهة إلى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم متعلقاً بها مبالغة فى ذلك، ولو حمل على ظاهره مع أن الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله : " ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس "(٢) وقيل معناه لنأمرهم بالعبادة ، أو ليكونوا عباداً لى)(٣) .

وقال الكازرونى فى حاشيته على البيضاوى : (يمكن الجمع بجعل اللام لجهنم للعاقبة كما فى قوله تعالى : " فالتقطه آلَ فرعون ليكون لهم عدواً "(٤)) . (٥)

وأورد القرطبى أقوالاً كثيرةً فى الجمع بين الآيات فقال : (قيل إنّ هذا خاص فيمن سبق فى علم الله أنه يعبده ، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص. والمعنى : وما خلقت أهل السعادة من الجن والانس إلاّ ليوحدون . قال القشيرى : والآية دخلها التخصيص على القطع ، لأنّ المجانين والصبيان ما أمروا بالعبادة حتى

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦

(٢) سورة الاعراف آية ١٧٩

(٣) تفسير البيضاوى ص ٦٩٣

(٤) سورة القصص آية ٨

(٥) حاشية الكازرونى على تفسير البيضاوى ٥ / ٩٨

يقال أراد منهم العبادة ، وقد قال الله تعالى : " ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس "(١). ومن خلق لجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة ، فالآية محمولة على المؤمنين منهم ، وهو كقوله تعالى : " قالت الأعرابُ آمنا "(٢). وإنَّما قال فريقٌ منهم . ذكره الضحاك والكلبى والفَرَّاء والقتبى . وفى قراءة عبد الله . " وما خلقت الجن والانس من المؤمنين إلاَّ ليعبدون ". وقال على رضى الله عنه : أى وما خلقت الجن والانس إلاَّ لأمرهم بالعبادة واعتمد الزجاج على هذا القول ويدل عليه قوله تعالى : " وما أمروا إلاَّ ليعبدوا الهاً واحداً "(٣).

فإنْ قيلَ : كيف كفروا وقد خلقهم للاقرار بربوبيته والتذلل لأمره ومشيئته ؟ قيل : قد تذللوا لقضائه عليهم ، لأنَّ قضاءه جار عليهم لا يقدرون على الامتناع منه ، وإنَّما خالفهم من كفر فى العمل بما أمره به ، فأمَّا التذلل لقضائه فإنَّه غير ممتنع منه . وقيل إلاَّ ليعبدون : أى إلاَّ ليقروا لى بالعبادة طوعاً أو كرهاً . رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس. فالكره ما يرى فيهم من أثر الصنعة وقال مجاهد : إلاَّ ليعرفونى . وقال الثعلبى : وهذا قول حَسَنٌ ، لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده . ودليل هذا التأويل فى قوله تعالى :
" ولئن سألتَهم من خلقَهم لَيقولُنَّ الله "(٤) و " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم "(٥)

---

(١) سورة الاعراف آية ١٧٩

(٢) سورة الحجرات آية ١٤

(٣) سورة التوبة آية ٣١

(٤) سورة الزخرف آية ٨٧

(٥) سورة الزخرف آية ٩

وما أشبه هذا من الآيات . وعن مجاهد أيضاً : إلَّا لآمرهم وأنهاهم ، وعن زيد بن أسلم : هو ما جبلوا عليه من الشقوة والسعادة ،فخلق السعداء من الجن والإنس للعبادة ، وخلق الأشقياء منهم للمعصية . وعن الكلبى أيضاً : إلَّا ليوحدون فأمَّا المؤمن فيوحده فى الشدة والرخاء ، وأمَّا الكافر فيوحده فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء ، يدل عليه قوله تعالى : " وإذا غشِيَهم موجٌ كالظُّلَلِ دَعُوا اللَّهَ مخلِصين له الدينَ ".[1] الآية وقال عكرمة : إلَّا ليعبدون ويطيعون فأثيب العابد وأعاقب الجاحد . وقيل المعنى إلَّا لاستعبدهم . والمعنى متقارب تقول عبد بيّنُ العبودة والعبودية ، وأصل العبودية الخضوع والذل . والتعبيد التذليل يقال طريق معبَّد . قال :

وظيفاً وظيفاً فوق مورٍ معبَّد .[2]

والتعبيد والاستعباد وهو أن يتخذه عبداً . وكذلك الاعتباد . والعبادة الطاعة ، والتعبد : التنسك . فمعنى ليعبدون ليذلوا ويخضعوا ويعبدوا .اهـ)[3]

هذه هى الأقوال التى ذكرها القرطبى وقد ذكر البيضاوى جزءاً منها وهى قوله لنا مرهم بالعبادة ، وقوله ليكونوا عباداً لى ، ولكى القول الذى أرجحه هو القول الأول الذى قال به الضحاك والكلبى والفراء والقتبى والقشيرى ،وهو أَنَّ الآية جاءت بلفظ العموم وهى خاصة بأهل السعادة من المؤمنين فهؤلاء خلقوا

---

(١) سورة لقمان آية ٣٢

(٢) القائل هو طرفه بن العبد والبيت من معلقته وصوره تبارى عتاقا ناجيات وأتبعت والوظيف عظم الساق . وقوله أتبعت وظيفا وظيفا أى أبعت وظيف يدها وظيف رجلها ويستحب من الناقة أن تجعل رجلها فى موضع يدها اذا سارت ، والمور الطريق .

(٣) تفسير القرطبى ١٧/٥٥ ، ٥٦ .

لتوحيد الله تعالى وأما الكفار فقد خلقهم الله لجهنم وأرجح هذا القول لعدة أسبابٍ : -

منها أنَّه يوافق قراءة عبد الله بن مسعود "وما خلقت الجن والانس من المؤمنين إلاَّ ليعبدون" . فانها وان كانت شاذة فهى قراءة تفسيرية ومنها أنه يزيح الاشكال و يوافق السياق، وأن اللفظ العام يراد به الخصوص كثيراً فى القرآن الكريم كما أوردنا من قبل .

ومنها أنه قول جمهور العلماء كالضحاك والكلبى والفراء والقتبى والقشيرى .

ومن أمثلة الجمع بين الآيات التى يظن أن ظاهرها التعارض ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " عَالِيَهُمْ ثيابُ سُنْدُسٍ خضرٌ وإستبرقٌ وحُلُّوا أساورَ من فِضَّةٍ وسقاهم ربُّهم شراباً طهوراً ".(١)
(وحُلّوا أساور من فضة")

قال البيضاوى : (عطف على ويطوف عليهم . ولا يخالفه قوله أساور من ذهب" لامكان الجمع ، والمعاقبة والتبعيض ، فإنَّ حلى أهل الجنة يختلف باختلاف أعمالهم . فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حلياً وأنواراً تتفاوت الذهب والفضة . أو حال من الضمير فى عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين).(٢)

فالبيضاوى حاول الجمع بين قوله تعالى : " وحلوا أساور من فضة ". وبين قوله تعالى : " يحلون فيها من أساور من ذهب". (٣) حاول الجمع

---

(١) سورة الانسان آية ٢١

(٢) تفسير البيضاوى ص ٧٧٦

(٣) سورة الكهف آية ٣١

فقال بالمعاقبة والتبعيض . وهو أن يلبسوا الذهب والفضة كل حسب عمله ، فما فضل أخيه لبس ذهباً والمفضول لبس الفضة ، أو يلبسون حيناً ذهباً والحين الآخر فضة ، أو يلبس الخدم وهم الولدان الفضة ويلبس المخدومين وهم المؤمنين الذهب . هكذا حاول البيضاوى الجمع بين الآيات التى فى ظاهرها التعارض فى تفسيره مستعيناً بالآثار وأقوال المفسرين وما يوصله إليه اجتهاده .

. . . .

الباب الثالث
البيضاوي وتفسيره في الميزان
فصوله

الفصل الأول:
آراء العلماء فيه والمآخذ التي اخذت عليه.

الفصل الثاني:
تفسيره بين كتب التفسير بالرأي.

الفصل الثالث:
ميزة تفسيره وقيمته العلمية.

الفصل الأول

آراء العلماء فيه والمآخذ عليه

١ـ آراء العلماء فيه .
٢ـ المآخذ التي أخذت عليه .

آراء العلمـــاء فيـــه

تفسير البيضاوى كغيره من التفاسير تناوله العلماء بالنقد والدراســة ، والتعليق . فتتبعوا آراءه بالنقد . وتحقيقاته بالدراسة وأسلوبه بالتعليـق فمنهم من مدح وأثنى وغض الطرف عن الكبوات واعتذر عن الأخطاء والهفـوات ، ومنهم من أحق الحق وأبطل الباطل فمدحه فى مواضع الاجادة وذمه فى مواطن الأخطاء والعثرات، فسبحان الذى اتصف بصفات الكمال وتنزه عن الأخطاء والنقصان وجعل النقص فى خلقه علامةً على الاحتياج إليه إنَّه هو العلى القدير .

ومن العلماء الذين تحدَّثوا عن تفسير البيضاوى ، حاجى خليفة صاحـب كتاب كشف الظنون ، فأشار إلى مصادره التى أخذ عنها ، وما أودعه من البلاغـة وعلم الكلام فقال : (وتفسيره هذا كتاب عظيمُ الشأنِ ، غنىٌ عن البيان . لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعانى والبيان ، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام ، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائـق ولطائف الاشارات . وضمّ إليه ما ورى زناد فكره من الوجوه المعقولة ، فجلا ريـنَ الشكِّ عن السريرة ، وزاد فى العلم بسطة وبصيرة ، كما قال مولانا المنشى :

أولوا الألباب لم يأتوا بكشف قناع ما يتلـى

ولكن كـان للقاضـى يد بيضاء لا تبلـى

ولكونه متبحرًا جال فى ميدان فرسان الكلام ، فأظهر مهارته فى العلوم حسبما يليق بالمقام . كشف القناع تارةً عن وجوه محاسن الإشارة وملح الاستعارة ، وهتك الاستار أخرى عن أسرارِ المعقولات بيد الحكمة ولسانها ، وترجمان المناطقـة وميزانها . فحل ما أشكل على الأنام وذلك لهم صعاب المرام)[1].

---

(١) كشف الظنون ١/١٢٧ .

وتحدث حاجي خليفة عن منهج البيضاوى فى تناوله للمباحث العلمية وايراده للأدلة وذكره للراجح والمرجوح فقال : (وأورد فى المباحث الدقيقة ما يؤمن به عن الشبه المضلة ، وأوضح لهم مناهج الأدلة ، والذى ذكره من وجوه التفسير ثانياً أو ثالثاً أو رابعاً بلفظ قيل ، فهو ضعيف ضعف المرجوح أو المردود) (١).

وتحدث حاجي خليفة أيضاً عن موقف البيضاوى من آيات الصفات والسمعيات وذكر مذهب التأويل الذى سار عليه علماء الكلام فى ذلك الوقت كالأشاعرة والماتريدية وبعض المعتزلة واستحسن ذلك المذهب حاجي خليفة ودافع عنه ونسبه إلى أهل السنة والجماعة فقال : (وأما الوجه الذى تفرّد فيه ، وظَنَّ بعضهم أنه مما لا ينبغى أن يكون من الوجوه التفسيرية السنية ، كقوله : (وحمل الملائكة العرش وحفيفهم حوله ، مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له) ونحوه ، فهو ظَنٌّ لعله يقصر فهمه عن تصور مبانيه ، ولا يبلغ علمه إلى الاحاطة بما فيه ، فمن اعترض بمثله على كلامه كأنَّه ينصب الحبالة للعنقاء ، ويروم أَنْ يقنص نسر السماء ، لأَنَّه مالك زمام العلوم الدينية ، والفنون اليقينيه على مذهب أهل السنة والجماعة وقد اعترفوا قاطبة بالفضل المطلق ، وسلموا إليه قصب السبق) (٢).

وهذا الكلام لا يخلو من التناقض ، فمرةً يذكر أنه تفرّد بهذا القول ومرةً ينسبه إلى أهل السنة والجماعة وقد تقدَّم الكلام فى ذلك وأن مذهب السلف

---

(١) كشف الظنون ١ / ١٢٧

(٢) نفس المرجع .

الصالح هو الايمان بالصفات وامرارها كما جاءت بلا تشبيه ولا تعطيل .

ثم تحدث حاجى خليفة عن ايراد البيضاوى للأحاديث الموضوعة والضعيفة فى أواخر السور واعتذر له عذراً لا يفى بالغرض ولا تقوم به حجة فقال : (وأما أكثر الأحاديث التى أوردها فى أواخر السور ، فانَّه كونه ممّن صفت مرآة قلبه ، وتعرض لنفحات ربه ، تسامح فيه وأعرض عن أسباب التجريح والتعديل ، ونحا نحو الترغيب والتأويل ، عالماً بأنها مما فاه صاحبه بزور ، ودلى بغرور) .(١)

ثم ذكر الحواشى والتعليقات التى أتى بها العلماء فى دراستهم للبيضاوى وعدَّ منها ما يفوق الخمسين نذكرها فى موضعها إنْ شاء الله .

ومن هذه الحواشى حاشية جلال الدين السيوطى التى سماها (نواهد الأبكار وشواهد الأفكار) قال فيها : (إنَّ القاضى ناصر الدين البيضاوى لخص هذا الكتاب فأجاد ، وأتى بكل مستجاد ، ومازّ فيه أماكن الاعتزال ، وطرح موضع الدسائس وأزال ، وحرّر مهمات ، واستدرك تتمات ، فظهر كأنه سبيكة نضار ، واشتهر اشتهار الشمس فى رائعة النهار ، وعكف عليه العاكفون ، ولهج بذكر محاسنه الواصفون . وذاق طعم دقائقه العارفون . فأكبَّ عليه العلماء تدريساً ومطالعة ، وبادروا إلى تلقيه بالقبول رغبة فيه ومسارعة) .(٢)

ومن أصحاب الحواشى الذى علقوا على تفسير البيضاوى ومدحوه "الشهاب الخفاجى" صاحب الحاشية المسماه : (عناية القاضى وكفاية الراضى) . قال فى

---

(١) كشف الظنون ١ / ١٢٨

(٢) نقلا عن التفسير والمفسرون ١ / ٣٠١ ، ٣٠٢

مقدمة الحاشية : (وتفسير البيضاوى له من بينها اليد البيضاء لا تناصه روائع الأصلين ، وبدائع الشريعة الغراء ، وقد تقدم رتبة وان جاز منه أخيراً ، فلسان حاله يتلو "ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً" . وان أمعنت فى تأويله نظرا ليس حسراً ولا كليلاً فهو خير وأحسن تأويلا)[١] .

وبالغ فى المدح المسجوع والتكلف الظاهر المصنوع . إلاَّ أنه تتبع الأحاديث التى أتى بها البيضاوى فى فضائل السور ، وهى الأحاديث التى حكم عليها بالوضع تتبعها "الشِّهاب الخفاجى" وعلَّق عليها حديثاً حديثاً .

ومن العلماء الذين تحدثوا عن البيضاوى "محمد حسين الذهبى" فى كتابه التفسير والمفسرون فأثنى على البيضاوى خيراً ، وقال انه اختصر تفسيره من الكشاف ، ولكنه جرده من الاعتزالات التى ذهب إليها الزمخشرى . ولكن الذهبى سرعان ما بدأ فى مآخذ البيضاوى وأوضح تتبعه لصاحب الكشاف فى اعتقاداتٍ تخالف ما ذهب إليه جمهور العلماء فقال : (وقد اختصر البيضاوى تفسيره من الكشاف للزمخشرى ، ولكنه ترك ما فيه من اعتزالات ، وإنْ كان أحياناً يذهب إلى ما يذهب اليه صاحب الكشاف . ومن ذلك أنه عندما فَسَّر قوله تعالى : " الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاَّ كما يقوم الذى يتخبطُه الشيطانُ من المسّ . . الآية "[٢] وجدناه يقول : (إلاَّ كقيام المصروع ، وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الانسان فيصرع . . . ثم يفسر المس بالجنون ويقول : وهذا أيضاً من زعماتهم أن الجن يمس الرجل فيختلط عقله)[٣] . ولا شك أن هذا

---

(١) عناية القاضى وكفاية الراضى ١ / ٣

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٥

(٣) تفسير البيضاوى ٢٦٧

موافق لما ذهب إليه الزمخشري من أن الجن لا تسلط لها على الإنسان إلاّ بالوسوسة والاغواء) .(١)

ويستمر محمد حسين الذهبي في ذكر المآخذ على البيضاوي فيتعرض الى أحاديث فضائل السور ويلومه عليها كُلَّ اللَّوم. ثم يتعرَّض إلى أُسلوب البيضاوي ومنهجه وموقفه من القراءات والنحو وآيات الأحكام، فيقول :

(وكذلك استمد البيضاوي تفسيره من التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للفخر الرازي ، ومن تفسير الراغب الأصفهاني ، وضم لذلك بعض الآثار الوارده عن الصحابة والتابعين ، كما أنه أعمل فيه عقله، فضمنه نكتاً بارعة، ولطائف رائعة ، واستنباطات دقيقة ، كل هذا في أسلوب رائع موجز ، وعبارة تدق أحياناً وتخفى، إلاّ على ذى بصيرة ثاقبةٍ ، وفطنةٍ نيرةٍ ، وهو يهتم أحيانا بذكر القراءات ، ولكنه لا يلتزم المتواتر منها فيذكر الشاذ ، كما أنه يعرض للصناعة النحوية ، ولكن بدون توسع واستفاضة ، كما أنه يتعرَّض عند آيات الأحكام لبعض المسائل الفقهية بدون توسع منه في ذلك ، وان كان يظهر لنا أنه يميل غالباً لتأييد مذهبه وترويجه ...) (٢) ثم يذكر الذهبي موقف البيضاوي من الاسرائيليات ويمدحه على تحذره منها وايرادها قليلة في تفسيره ويضرب مثالاً لذلك فيقول : (والبيضاوي رحمه الله مقل جداً من ذكر الروايات الاسرائيلية . وهو يصدر الرواية بقوله : روى أو قيل ،اشعاراً منه بضعفها . فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : " فمكثَ غيرَ بعيدٍ فقال أحطْتُ بما

---

(١) التفسير والمفسرون ص ٢٩٨

(٢) التفسير والمفسرون ص ٢٩٨

لم تُحِطْ به وجئتُك من سبأٍ بنبأٍ يقين " (١). يقول بعد فراغه من تفسيرها : (روى أنه عليه السلام لما أتمّ بناء بيت المقدس تجهز للحج .. الخ) القصة التى يقف البيضاوى بعد روايتها موقف الموجز لها ، غير القاطع بصحتها حيث يقول ما نصه : (ولَعَلَّ فى عجائب قدرة الله وما خَصَّ به خاصة عباده أشياء أعظم من ذلك يستكبرها مَنْ يعرفها ويستنكرها مَنْ ينكرها) (٢).

ويختم الذهبى كلامه بالثناء على تفسير البيضاوى ويقول : (وجملة القول ، فالكتاب من أمهات كتب التفسير ، التى لا يستغنى عنها مَنْ يريد أن يفهم كلام الله تعالى، ويقف على أسراره ومعانيه . وهو مطبوع منه طبعات ومتوسط فى حجمه) (٣).

ومن العلماء الذين تحدَّثوا باسهابٍ عن البيضاوى وتفسيره وبيان منزلته بين كتب التفسير بالرأى "محمد الفاضل بن عاشور" الذى بيّن مصادر البيضاوى ومنهجه فى كتابه التفسير ورجاله . فقال : (وكان المنهج المتبع فى تصنيف البيضاوى والأسلوب المحتذى فى تحريره، هما المنهج والأسلوب اللذين جرى عليهما مصطلح التأليف العلمية فى عامة الفنون من أول القرن السابع - من حيث الاختصار ، ودقة التعبير والتزام المصطلح العلمى ، والإشارة الى ما يتفرَّع عن التعبير من معان يكتفى بحضورها فى الذهن عن ذكرها ثم تؤخذ مبانى لما يأتى به التعبير بعدها .

---

(١) سورة النمل آية ٢٢

(٢) تفسير البيضاوى ص ٥٠٢

(٣) التفسير والمفسرون ص٣٠٤

فأصبح من مجموع هذه الخصائص لتفسير البيضاوى ميزه واضحة مزجت بين طريقته وبين مألوف الطباع ومتعلق الميول يومئذٍ من طرائف شاعت فى التأليف وبنيت عليها المناهج الدراسية ، وبذلك عظم صيت الكتاب وطار ذكره وأقبل الناس عليه ، إذ وجدوا فيه الضالة المنشودة من التفسير العلمى على الطريقة التحليلية اللفظية ، التى عظمت بها من قبل شهرة تفسير الكشاف ، فى ما يحب الناس منه ، وخلص أو كاد مما ينفرهم من الكشاف ويباعد بينهم وبينه على نحو قول الأحوص :

إنّى لامنحك الصدودَ وانـنى قسما اليك مع الصدود لأميـل

وانه مما يلاحظ فى هذا الصدد أن تفسير الكشاف لم يعظم رواجه ويتعلق به علماء أهل السنة هذا التعلق المزيج من الحب والحذر، إلّا فى ذلك القرن السابع ، إذ انصرف الكاتبون الى التعليق عليه بالتنبيه على مواقع الأنظار الاعتزالية منه وتمييزها وردها ، إذ ظهر من هؤلاء فى النصف الثانى من القرن السابع ، معاصرون للبيضاوى أو متقدمون عليه بقليل ، أمثال ابن المنير الاسكندرى صاحب " الانتصاف " فكان بروز البيضاوى بتفسيره ملخصاً من الكشاف زائدا عليه مبرأً من سقطاته برداً وسلاماً على تلك القلوب التى كانت تهفو الى الكشاف وتتهيبه . وبذلك أصبح تفسير البيضاوى ، منذ اشتهاره ورواجه مروّجا للكشاف مدخلا اياه فى معاهد وبيئات علمية لم يكن يتصل بها من قبل . لأن الدارسين للبيضاوى قد تعلقوا فى سبيل الاتقان دراسته والوفاء بحق البيان لاشاراته والكشف عن مرامى عباراته ، إلى الوقوف على كلام صاحب الكشاف وتتبعه وتحليله ، فأصبحت دراسة البيضاوى دراسة للكشاف بواسطة ،

وبذلك لم تتوفر حواشي الكشاف إلاّ في القرن الثامن وما بعده ، ولم تطلع غالباً إلاّ من الآفاق العلمية التي كانت مستنيرة بالبيضاوي وتأليفه ، بحيث أصبحت الأنظار متجاذبة والبحوث متبادلة بأطراد بين حواشي الكشاف وحواشي البيضاوي، كأنّ محرريها مجتمعون في مجلسٍ واحدٍ ، على نحو ما يرى من مباحث جدلية بين حواشي ابن التمجيد ، والعصام ، وسعدي وعبد الحكيم السيالكوني على البيضاوي ، مع حواشي الطيبي والقطبين الرازي والشيرازي ، والسعد التفتازاني ، والسيد الجرجاني على الكشاف، حتى إنّ كلام الواحدة من تلك الحواشي على الكشاف كانت أو على البيضاوي ، لا يكاد يتضح معناه الا بالوقوف على كلام الأخرى من حواشي البيضاوي أو حواشي الكشاف كذلك. وما هذا المعنى من التمازج إلاّ أثر تلك الدروس الحافلة لتفسير البيضاوي التي استوعب فرسان ميادينها ما حول الكتابين ، تفسير البيضاوي والكشاف فعرضوها في معرض التقرير الحكيم ، ثم ناقشوها بالنقد والمقارنة والمعارضة ، حتى اتّصل ما بين بعضها وبعض في تلك المجالات التقريرية العالية اتصالاً كوّن بينها لحمة نظرية، فجعلها عناصر وحدة موضوعية متكاملة ، وبذلك كان كل جيلٍ من أجيال العلماء ينقضي يترك وراءه من تلك البحوث الصعبة أوقاراً على ظهور الجيل الناشىء يزيد بها تدريس البيضاوي على متعاطيه مشقة وصعوبة ، حتى أصبح تدريسه منتهى مبلغ الهمم العلمية وميزان الملكات والمواهب ، فوضع في أعلى الهيكل الهرمي لمواد التخرج في العلوم الاسلامية ، وعمت منزلته تلك أقطارَ الاسلام في المشارق والمغارب ، فتأصلت منزلته أولاً في الشرق الأوسط والشرق الأقصى ، والتزم في المناهج الدراسية ببلاد فارس وبلاد الأفغان

والأقطار الهندية ، ثم كان فى جملة ما تسرب من الملتزمات التعليمية من البلاد الفارسية الى آسيا الصغرى وعموم الممالك العثمانية ، واشتهر بمصر من قبل الفتح العثمانى، إذ كان من الكاتبين عليه من العلماء المصريين فى أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر ، القاضى زكريا الأنصارى ، والإمام السيوطى ، وعظم شأنه فى القرن العاشر بانتظام أهم معاهد العلم فى البلاد العربية فى تاج الخلافة العثمانية ، وخاصة الجامع الأزهر ، وجامع الزيتونه . وبذلك تقاربت مناهج التعلم بين البلاد الاسلامية كلّها ، على الطريقة الأعجمية، فأصبح تفسير البيضاوى ملتزم التدريس من أقاصى الهند إلى المغرب الأقصى ، وزاد اعتزازا فى القرن الحادى عشر بالحاشيتين الشهيرتين اللتين كتبتا عليه : احداهما بلاهور عاصمة بلاد البنجاب من الباكستان الغربية وهى حاشية المحقق عبد الحكيم السيالكوتى، التى سارت مثلاً فى التحقيق والتحليل وصواب النظر ، ورشاقة العبارة ، والاغراق فى الإشارة ، حتى اعتبرت عنقاء الدارسين وأبدة الناظرين . والحاشية الثانية من حواشى القرن الحادى عشر هى حاشية العلامة المصرى الأزهرى النشأة، شهاب الدين الخفاجى التى سماها : " عناية القاضى وكفاية الراضى ". وهى تامة بخلاف حاشية عبد الحكيم ، وواسعة كثيرة المباحث والفوائد وسعت دائرة تفسير البيضاوى علما أكثر مما وسعتها نقداً وبحثاً .

وان الذى عُدّ فى كتاب كشف الظنون فقط من الحواشى والتعاليق على تفسير البيضاوى ليقرب عدةً من خمسين ، فضلاً عما لم يذكر فيه مما كتب بعد مثل الحاشيتين الهامتين ، حاشية عبد الحكيم وحاشية

الخافجـــى) .(١)

ثم تعرض ابن عاشور الى مآخذ البيضاوى فذكر ما أورده البيضاوى من الأحاديث الموضوعة والضعيفة فى أواخر السور وقال إنَّ البيضاوى وقع فى مـــا وقـع فيه صاحب الكشاف فى التهاون فى ذكر الأحاديث وعدم التحرى فـى درجة الصحة، وهو خطأ لا ينجى منه تأويل المتأولين واعتذار المعتـذريـــن .

تلك أمثلة من أقوال العلماء على البيضاوى وتفسيره وما فيها من احقاق حق وابطال باطل أو اعتذار فى غير موضعه .

. . . .

---

(١) التفسير ورجاله ص ١٤١ - ١٤٧

المآخذ التى أخذت عليه

أخذت على البيضاوى فى تفسيره بعض المآخذ ، منها ما هو خطير يصعب الاعتزاز عنه ، ومنها ما هو يسير يمكن الاعتزاز عنه والتماس المخارج له .

ومن أخطر ما أُخذ على البيضاوى فى تفسيره ذكره الأحاديث الموضوعة وخاصة الأحاديث التى تذكر فضائل السور ، فقد أوردها البيضاوى فى عقب كل سورة ولم ينبِّه على وضعها وتركها للقارىء من غير تعليق وهو مأخذ كبير على تفسيره .

والأحاديث الموضوعة فى كتب التفسير تشكل أمراً هاماً وخطيراً يجب التنبه له والتحذير منه ، وقبل ذكر الأحاديث الموضوعة فى تفسير البيضاوى يحدو بنا المقام أَنْ نتعرض إلى قصة الوضع فى التفسير من ناحية عامة والأسباب التى أدت الى ذلك وكيفية التخلص من هذه المشكلة .

....

الوضع في التفسير

ظهر الوضع فى التفسير عند ظهور الفرق الإسلامية كالشيعة والخوارج ، فظهر أهل الأهواء والبدع وتعصبوا لأهوائهم وبدعهم، وجعلت كل طائفة من هذه الطوائف أن تؤيد مذهبها بالأحاديث الموضوعة فى تفسير القرآن وغيره ، فنسب الشيعة إلى عليٍّ وغيره من أهل البيت رضى الله عنهم أقوالاً كثيرةً فى التفسير تشهد لمذهبهم . كما وضع الخوارج كثيراً من التفسير يشهد لمذهبهم ، وكان أكثر نسبة الأحاديث الموضوعة إلى عليٍّ وابن عباس . وكذلك من أسباب الوضع فى التفسير ما وضعه أعداء الاسلام الذين اندسوا بين المسلمين متظاهرين بالإسلام لهدم الدين، بعد أن عجزوا عن ذلك بالحرب والقوة .

ومن أسباب الوضع فى التفسير السُّذَّج الذين وضعوا الأحاديث بحسن نية ظناً منهم أن المسلمين انشغلوا بغير القرآن واعترفوا بوضعها .

وقيّض الله سبحانه وتعالى لكل تلك الأصناف رجالا ذبّوا عن القرآن والسنة المطهرة تلك الموضوعات، وبيّنوا الصحيح من الموضوع من الضعيف، وهو نوع من أنواع حفظ الدين الذى قال الله تبارك وتعالى فيه : " إِنَّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون "(١).

قال السخاوى فى شرحه لألفية الحديث للزين العراقى :

(الواضعون جمع واضع وهم جمع كثيرون معرفون فى كتب الضعفاء . خصوصا الميزان للذهبى ولسانه لشيخنا، بل أفردهم الحافظ البرهان الحلبى فى تأليف سماه الكشف الحثيث عمن رمى بوضع الحديث ، ويختلف حالهم فى الكثرة والقلة

---

(١) سورة الحجر آية : ٩

وفي السبب الحاصل لهم على الوضع، فكانوا في ذلك أصنافاً صنف كالزنادقة وهم المبطنون للكفر المظهرون للاسلام، أو الذين لا يتدينون بدينٍ يفعلون ذلك استخفافاً بالدين ينقلوا به الناس .

فقد قال حمّاد بن زيد فيما أخرجه العقيلي أنَّهم وضعوا أربعة عشر ألف حديث ، وقال المهدي فيما رويناه عنه أقرَّ عندي رجل من الزنادقة بوضع مائة حديث فهي تجول في أيدي الناس .

ومنهم الحارث الكذاب الذي ادعى النبّوة ، ومحمد بن سعيد المصلوب والمغيرة بن سعيد الكوفي وغيرهم ، كعبد الكريم بن أبي العوجاء خال معن ابن زائدة الذي أمر بقتله وصلبه محمد بن سليمان بن علي العباسي أمير البصرة في زمن المهدي، بعد الستين ومائة واعترف حينئذ بوضع أربعة آلاف حديث يحرّم حلالها ويحل حرامها) .(١)

ثم ذكر السخاوي أمثلة من فرق الشيعة المختلفة وتعمدهم الوضع تعصباً لمذهبهم كالرافضة والسالمية ، وكذلك أهل القدر كانوا يضعون الحديث أيضا ليدخلوا بها الناس في القول بالقدر .

ويستمر العراقي في ذكر الذين افتروا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويذكر منهم الذين وضعوا الأحاديث في فضائل السور، مثل أبي عصمة نوح بن أبي مريم القرشي الملقب بالجامع، لجمعه بين التفسير والحديث، والمغازي والفقه، مع العلم بأمور الدنيا، إذ زعم أن الخلق أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن اسحاق، فاختلق للناس من عند نفسه حسبة باعترافه

---

(١) فتح المغيث ١ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

حسبما نقله عنه أبو عمار أحد المجاهيل، أحاديث في فضائل السور كلها سورةً سورةً، ورواها عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأُبي ابن كعب رضي الله عنه (١).

وجاء المفسرون ووضعوا هذه الأحاديث في تفاسيرهم كأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، وأبي بكر ابن مردويه، وأبي اسحاق الثعلبي وأبي القاسم الزمخشري، وفي فضائل القرآن كأبي بكر بن أبي داود. كلهم ساقوا الأسانيد إلاّ الزمخشري والبيضاوي، وآتيا بالأحاديث بصيغة الجزم، حتى يتوهم القارئ أنها صحيحة، وهو خطأ كبير وشيء دخيل على التفسير.

وأما الأحاديث الموضوعة التي أوردها البيضاوي في تفسيره في فضائل السور كثيرةٌ جداً، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

ما جاء في سورة الحجرات. عن النبي صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة الحجرات أعطى من الأجر بعَدِّ مَنْ أطاع الله وعصاه.

ومنها ما جاء في سورة (ق). عن النبي صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة (ق) هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته.

ومنها ما جاء في سورة النجم، عن النبي صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة النجم أعطاه الله عشر حسنات بعَدِّ مَنْ صدّق بمحمدٍ وجحد به بمكةَ.

قال ابن همات القرشي الدمشقي: كلها موضوعة، رواها الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أُبي بن كعب (٢).

---

(١) انظر فتح المغيث ١/٢٤١، ٢٤٢

(٢) اتحاف الراوي في تخريج أحاديث البيضاوي مخطوط مصور بمكتبة جامعة أم القرى برقم ٢١٨٧ - حديث - رقم اللوحة ٢٨٩، ٢٩١.

وأما غير الموضوع فيشمل الصحيح والحسن والضعيف . نذكر لكل نوع أمثلة لاحقاق الحق وابطال الباطل .

ومن أمثلة الأحاديث الضعيفة :

ما جاء في سورة الأنعام . حديث ابن عمر مرفوعاً : (أنزل عليَّ سورة الأنعام جملةً واحدةً ، شيعها سبعون ألف ملك لهم جزل بالتسبيح والتحميد) . أخرجه الطبراني في الصغير[(١)] . وأبو نعيم في الحلية[(٢)] . وفي مسنده ضعيفان . يوسف بن عطية الصفار[(٣)] ، وإسماعيل بن عمرو بن نجيم[(٤)] كما للذهبي في ميزان الاعتدال .

ومنها ما جاء في سورة الكهف ، حديث معاذ بن أنس : (من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه ، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء) . أخرجه أبو بكر بن السني في عمل اليوم والليلة[(٥)] . وفي إسناده ابن لَهِيعَة وهو من الضعفاء . قال البيهقي ليس بقويٍ[(٦)] .

ومنها ما جاء في سورة الدخان . حديث الحسن عن أُبي هريرة . (من قرأ حم الدخان ليلة جمعة أصبح مغفوراً له) رواه الترمذي وفي سنده هشام أبو المقدام . وهو

---

(١) المعجم الصغير للطبراني ١ / ٨١ .

(٢) حلية الأولياء ترجمة عبد الله بن عوف ٣ / ٤٤

(٣) ميزان الاعتدال ٤ / ٤٦٨ ، ٤٦٩

(٤) ميزان الاعتدال ١ / ٢٣٩

(٥) عمل اليوم والليلة ١٩٥

(٦) تهذيب التهذيب ٥ / ٣٧٣

ضعيف . قال الترمذى : هشام أبو المقدام يضعّف ولم يسمع الحسن من أبى هريرة هكذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلى بن زيد .(١)

ومن الحديث الحسن ما جاء فى سورة الفاتحة . (حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بن كعب : ألا أخبرك بسورة لم ينزل فى الانجيل والتوراة والقرآن مثلها ؟ قال بلى يا رسول الله . قال : فاتحة الكتاب إنّها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته) .

أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .(٢)

ومن الحديث الحسن ما جاء فى سورة الاخلاص . (حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرأ قلْ هو الله أحد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجبت قلت ما وجبت قال: الجنة) .
أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب.(٣)

ومن الأحاديث الصحيحة . ما جاء فى سورة الفاتحة . حديث ابن عباس:
(بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم آتاه ملكٌ قال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك . فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة . لن تقرأ حرفاً منها إلاّ أوتيته) . أخرجه مسلم .(٤)

ومنها ما جاء فى سورة البقرة حديث ابن مسعود . (أن النبى صلى الله

---

(١) سنن الترمذى أبواب فضائل القرآن ١١/ ١٩

(٢) سنن الترمذى أبواب ثواب القرآن فضل فاتحة الكتاب ١١/ ٦٠٢

(٣) سنن الترمذى أبواب فضائل القرآن ١١/ ٢٥

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ٦/ ٩١

عليه وسلم قال : من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه) . أخرجه البخارى (١) .

ومنها ما جاء فى سورة الاخلاص. أنّها تعدل ثلث القرآن . أخرجه البخارى (٢) .

وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة، فكان ينبغى له أن يميز الخبيث من الطيب، ويخرج على الأقل الأحاديث الموضوعة إذ لم يرد أن يخرج الأحاديث الضعيفة ، حتى لا يضل القارىء للتفسير فيتوهم أنه يقرأ السنة الصحيحة ، لأنّ البيضاوى أورد كل الأحاديث بصيغة الجزم ، وتبع فى ذلك الزمخشرى فلم يورد سنداً ولم يحكم على حديث .

. . . .

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارىء كتاب فضائل القرآن فضل سورة البقرة ٤٣١/١٠ .

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارىء كتاب فضائل القرآن فضل سورة الاخلاص ٤٣٥/١٠ .

ومن المآخذ متابعته للزمخشري :

ومن المآخذ على البيضاوى متابعته للزمخشرى فى ما يجوز وما لا يجوز ، فتابعه فى كثير من الأمور وخالف فى ذلك جمهور العلماء والمفسرين ، منها ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " فان لّم تفعلوا ولن تفعلوا فاتّقوا النّار التى وقودها النّاس والحجارة أعدّت للكافرين ".(١) ففسر البيضاوى الحجارة بحجارة الأصنام التى كانوا يعبدونها فى الدنيا ، وذكر فى آخر كلامه أن البعض يفسرها بحجارة الكبريت ، واعترض على هذا التفسير ثم ذهب الى تأويله متبعا فى ذلك الزمخشرى ، واليك نص البيضاوى . قال : (والحجارة جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الأصنام التى نحتوها وقرنوا بها أنفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتها والانتفاع بها ، واستدفاع المضار بمكانتها ويدل عليه قوله تعالى : " انكم وما تعبدون من دون اللّه حصب جهنم".(٢) عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكافرون بما كنزوه أو بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة فى تحسرهم ، وقيل الذهب والفضة التى كانوا يكنزونها ويغترّون بها ، وعلى هذا لم يكن لتخصيص أعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه ، وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل ، وابطال للمقصود ، اذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها ، بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها ، والكبريت يتقد به كل نار وان ضعفت ، فان صح هذا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلعله أراد به أن الأحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران).(٣)

---

(١) سورة البقرة آية ٢٤
(٢) سورة الأنبياء آية ٩٨
(٣) سورة البيضاوى ١/ ١٩

وهو تلخيص لما قاله الزمخشري وفي ما يلي نص الكشاف :

(.... فإنْ قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقود ؟ قلت لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث نحتوها أصناماً وجعلوها لله أنداداً وعبدوها من دونه ، قال الله تعالى : " إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ". (١) وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله " إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ "، في معنى الناس والحجارة و " حَصَبُ جَهَنَّمَ ". في معنى وقودها . ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله أنها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم بمكانهم، جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماةً في نار جهنم ابلاغاً في ايلامهم واغراقاً في تحيرهم ، ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدّة وذخيرة ، فشحوا بها ومنعوها من الحقوق، حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم . وقيل هي حجارة الكبريت ، وهو تخصيص بغير دليل ، وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل). (٢)

وإلى تفسير الحجارة بالكبريت ذهب جمهور المفسرين فقد أخرج الطبري عن عبد الله بن مسعود قال : " هي حجارة من كبريت ، خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين ". (٣)

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٨

(٢) الكشاف ١/ ٢٥٢

(٣) تفسير الطبري ١/ ٣٨١

والخبر رواه الحاكم فى المستدرك وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى (١) .

وكذلك ذكره ابن كثير ونسبه لابن أبى حاتم والحاكم (٢) . وذكره السيوطى فى الدر المنثور وزاد نسبته الى عبد الرزاق ، وسعيد بن منصور والفريابى وهناد بن السرى فى كتاب الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والطبرانى فى الكبير ، والبيهقى فى الشعب (٣) .

وأورد الخازن خبراً عن ابن عبّاس ، بأنّ الحجارة حجارة الكبريت ، فقال : (قال ابن عباس: يعنى حجارة الكبريت لأنها أكثر التهاباً) (٤) .

وكذلك أورده البغوى فقال : (قال ابن عباس وأكثرُ المفسرين يعنى حجارة الكبريت لأنها أكثر التهاباً) (٥) .

فقول البيضاوى (تخصيص بغير دليل) لا معنى له إذ قد ورد الدليل بالخبر الصحيح الوارد عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أوردناه .

ومما تبع فيه البيضاوى صاحب الكشاف ما جاء فى تفسير قوله تعالى :

" يَآ أَيُّهَا النَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ واللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ واللَّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ) (٦) .

---

(١) مستدرك الحاكم كتاب التفسير ٢ / ٢٦١

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ١١٠ - ١١١

(٣) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ١ / ٣٦

(٤) تفسير الخازن ١ / ٤٠

(٥) تفسير البغوى بهامش تفسير الخازن ١ / ٤٠

(٦) سورة التحريم آية ٢ ، ٣

قال البيضاوى : (والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما أحله الله رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك) (١).

وتفسير البيضاوى للآية مشعرٌ بأن النبى صلى الله عليه وسلم حرّم ما ذهب إليه فى التحريم من أجل أنه حرام عليه حكماً ، أو شرعاً اجتهد فيه النبى صلى الله عليه وسلم لا من أجل يمين أقسم بها ، ومعلوم أن الآية نزلت فى حفصة وعائشة حين تواطأتا عليه فى شربة العسل أو فى تحريمه جاريته وفى كل ذلك أقسم الا يفعل فقيل له رفقاً به وشفقه لِمَ تحرّم ما أحل الله لك ، وأما ما ذهب إليه البيضاوى من أن هذه زلة منه تبع فيه الزمخشرى غفر الله لهما ، انظر الى قول الزمخشرى فى تفسير الآية : (وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحدٍ أن يحرّم ما أحل الله لأن الله عزّ وجلّ انما أحلَّ ما أحلّه لحكمةٍ أو مصلحةٍ عرفها فى احلاله ، فإذا حرّم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة . والله غفورٌ قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك لم يؤاخذك به) (٢).

كلام فيه غلظة الاعتزال وجفافه ، وهو ينطبق على غير النبى صلّى الله عليه وسلم لأنه معصوم وتعقب الزمخشرى فى ذلك ابن المنير ورد عليه فقال : (ما أطلقه الزمخشرى فى حق النبى صلى الله عليه وسلم تقوّلٌ وافتراء ، والنبى صلى الله عليه وسلم منه براء ، ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أحلّه الله هو علىّ حرامٌ ، وانما امتنع فى مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله عليه الصلاة

---

(١) تفسير البيضاوى ص ٧٤٥

(٢) الكشاف ١٢٥/٤

والسلام : " والله لا أقربها بعد اليوم ". فقيل له لم تحرّم ما أحل الله لك؟ أى لم تمتنع منه بسبب اليمين ، يعنى أقدم على ما حلفت عليه وكَفِّرْ عن يمينك ونحوه قوله تعالى : " وحرّمنا عليه المراضع ". أى منعناها منه وظاهر قوله تعالى " قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ". أنه كانت منه يمين) (١).

وأما البيضاوى فقد تعقبه الشهاب الخفاجى فى حاشيته على التفسير ، فقال : (قوله لك هذه الزله . الخ تبع فيه الزمخشرى وقد رده فى الانتصاف وشن الغارة فى التشنيع عليه لأنّ تحريم الحلال مطلقا أو مؤكداً بيمين بمعنى الامتناع منه ليس بزلةٍ، وكم من مباح يتركه المرء باختياره ولا يلحقه منه شيء، وأما اعتقاد الحرام حلالاً وعكسه مما يلحق به الاثم، فلا يصدر منه صلى الله عليه وسلم وحاشاه من نسبة مثله، وأجاب عنه فى الكشف بأنه أراد به ترك الأولى وهو بالنسبة لعصمته صلى الله عليه وسلم وعلو مرتبته قد يقال له ذنب وان لم يكن ذنبا فى نفسه ولذا عقبه بقوله والله غفور رحيم) (٢).

وعلى كل فالبيضاوى قد أخطأ فى اتباع الزمخشرى فى ذلك، فكان ينبغى أن يأتى بعبارة تدل على شرف النبى صلى الله عليه وسلم، أنظر إلى الفرق بين تعبير البيضاوى وتعبير المهايمى . قال المهايمى . (والمراد بتحريمه ما أحلّ له ، امتناعه منه ، وخطره إيّاه على نفسه ، وهذا القدر مباح ، ليس فى ارتكابه جناح . وانما قيل له " لم تحرّم ما أحلّ الله لك ". رفقا به ، شفقة عليه ، وتنويهاً لقدره ولمنصبه صلى الله عليه وسلم ، أن يراعى مرضاة أزواجه بما يشق

---

(١) الانصاف لما فى الكشاف ٤/١٢٦

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ٨/٢١٠

عليه ، جريًا على ما ألف من لطف الله بنبيه) .(١)

ومما وقع فيه البيضاوى صاحب الكشاف وأوقعه فى الذلل تأويله للحديث الصحيح، خلافاً لما ذهب اليه جمهور العلماء والمفسرين . فمثلاً عند تفسير قوله تعالى : " إِذْ قَالَتِ امرأتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فتقبلْ مِنِّى إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنثَى واللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ".(٢)

قال الزمخشرى فى تفسير " وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم" قال (فان قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها ؟ قلت لأن مريم فى لغتهم بمعنى العابدة ، فأرادت بذلك التقرب والطلب اليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها، وأن يصدق فيها ظنها بها ، الا ترى كيف أتبعته طلب الاستعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه ، وما يروى من الحديث " ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه الا مريم وابنها ".(٣) فالله أعلم بصحته ، فان صح فمعناه : أن كل مولود يطمع الشيطان فى اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين ، وكذلك كل من كان فى صفتهما كقوله تعالى : " لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ".(٤) واستهلاله

---

(١) نقلا عن تفسير القاسمى ١٦/ ٨٥٢

(٢) سورة آل عمران الآيات ٣٥ ، ٣٦

(٣) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب التفسير ٩/ ٢٧٩

(٤) سورة الحجر آية ٣٩ ، ٤٠

صارخاً من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه ، ونحوه من التخييل قول ابن الرومى :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاءُ الطفلِ ساعة يولد

وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلّا ، ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه)[١].

وقد شك الزمخشرى فى صحة الحديث الصحيح الذى أخرجه البخارى فى كتاب التفسير شَكّ فى صحته فقال (فالله أعلم بصحته فان صح فمعناه ..) ثم بدأ يأول الحديث تأويلاً يخالف معنى الحديث ووصفه بالتخييل وتبعه فى هذا التأويل البيضاوى فقال فى معنى الآية بعد أن أورد الحديث : (ومعناه أن الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله سبحانه وتعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة)[٢].

وهو تأويل الزمخشرى بعينه يخالف ما ذهب إليه العلماء فى معنى الحديث قال الشهاب الخفاجى فى حاشيته على البيضاوى : (وأما تأويله بما ذكر فقد اتفق أهل الأثر على خلافه وان تابعه المصنف)[٣].

وقد تعقّب الحافظ ابن حجر هذا التأويل فأفسده فقال : (وكلامه - يعنى الزمخشرى - متعقب من وجوه ، والذى يقتضيه لفظ الحديث لا اشكال فى معناه ، ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الأنبياء ، بل ظاهر الخبر أن أبليس

---

(١) الكشاف ١/ ٤٢٦

(٢) تفسير البيضاوى ١/ ٢٢

(٣) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ١/ ٢٣

ممكن من مسّ كل مولود عند ولادته لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلاً - واستثنى من المخلصين مريم وابنها فانه ذهب يمس على عادته فحيل بينه وبين ذلك فهذا وجه الاختصاص ولا يلزم منه تسلطه على غيره من المخلصين)(١).

وهو تفسير جيد لقول النبى صلى الله عليه وسلم بعيد عن الأنكار والتعطيل ، وأما تأويل الزمخشرى فقد رده ابن المنير ووصفه بالالحاد فقال : (أما الحديث مذكور فى الصحاح متفق على صحته فلا محيص له اذاً عن تعطيل كلامه عليه السلام بتحميله كلامه ما لا يحتمله جنوحاً إلى اعتزال منتزع فى فلسفة منتزعة فى الحاد ظلمات بعضها فوق بعض)(٢).

فكان ينبغى للبيضاوى أن يتبع أهل السنة وأئمة السلف ويقفو آثارهم من أن يتبع أئمة الاعتزال ويقفو آثارهم .

ومما تبع فيه البيضاوى صاحب الكشاف . قوله أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكون موسوماً بعبادة الله تعالى قبل البعثة) فخالف فى ذلك اجماع الأمة والأحاديث الصحيحة . وقد ذهب إلى ذلك الزمخشرى وتبعه البيضاوى على نفس الخطأ ، وإنْ كان الشهاب الخفاجى أوّل ما ذهبا إليه ولكن بكلام غير مقنع .

قال الزمخشرى فى تفسير سورة الكافرون : " ولا أنا عابد ما عبدتم " . أى وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه ، يعنى لم تعهد منى عبادة صنم

---

(١) فتح البارىء شرح صحيح البخارى كتاب التفسير ٩/ ٢٧٩

(٢) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ١/ ٤٢٦

في الجاهلية ، فكيف ترجى مني في الاسلام . " ولا أنتم عابدون ما أعبد " . أى وما عبدتم فى وقت ما أنا على عبادته . فإنْ قلتَ فهلَّا قيل: ما عبدتُ كما قيل ما عبدتم ؟ قلت لأنَّهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث ، وهو لم يكن يعبد الله تعالى فى ذلك الوقت . . . .) (١)

وقال البيضاوى : (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى وما عبدتم فى وقت ما أنا عابده ، ويجوز أن يكونا تأكيدَيْنِ على طريقة أبلغ . وإنَّما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لأنهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الأصنام وهو لم يكن حينئذ موسوماً بعبادة الله) (٢) .

وهذا بالطبع قولٌ غيرُ صحيحٍ وقد جاء الحديث الصحيح فى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعنث فى غار حراء الليالى ذوات العدد قبل البعثة (٣) ، سواء تعبَّد بشريعة من سبقه من الأنبياء أو تعبَّد بشرع خاص به انما هو عبادة لله تبارك وتعالى .

ومن الغريب أَنَّ البيضاوى فى كتابه منهاج الوصول إلى علم الأصول يناقض ما قاله فى التفسير فقال فى المسألة الخامسة فى كلامه عن السنة (أنه عليه الصلاة والسلام تَعَبَّد بشرع) (٤) .

وقال الأسنوى فى شرحه للمنهاج : (اختلفوا فى أن النبى صلى الله عليه

---

(١) الكشاف ٤/٨٠٩

(٢) تفسير البيضاوى مع حاشية الشهاب ٨/٤٥

(٣) صحيح البخارى بشرح عمدة القارىء ١/٤٦

(٤) منهاج الوصول مع شرح نهاية السول ٣/٦٦٠

وسلم هل كلف قبل النبوة بشرع أحد من الأنبياء ؟ فيه ثلاثة مذاهب حكاها الامام وأتباعه كصاحب الحاصل من غير ترجيح أحدها، نعم واختاره ابن الحاجب ثم المصنف . .) (١)

وهذا هو السبب الذى جعل الشهاب الخفاجى يدافع عن البيضاوى ويأوّل كلامه . فقال فى ذلك : (وقوله لم يكن موسوماً بعبادة الله، أراد العبادة البدنية الثبوتية المخالفة لشعائرهم الظاهرة كما يدل عليه جعله سمةً فلا يرد كونه موحداً غيرَ متبعٍ لما هم عليه متجنبا لأصنامهم ورجسهم) (٢) .

وعلى كل فالبيضاوى أخطأ فى ايراد العبارة موافقةً لعبارة الزمخشرى، وان كانت نيته تخالف ظاهر العبارة فكان ينبغى أنْ يذكر بكل وضوح أنّ النبى صلى الله عليه وسلم كان متعبداً قبل النبوة وعلى أى شريعة . هل كان ذلك على شريعة الأنبياء السابقين أم لا ؟

وتحقيق المسألة أنه عليه الصلاة والسلام لا خلاف فى أنّه كان يعبد الله تعالى قبل النبوة، وإنّما خلاف العلماء فى أنه هل كان مكلفا بشرع أم لا ؟ وهل كان ذلك على شرع نبى سابق أم لا ؟ اختلفوا على أقوال منهم من قال أنه تعبد على شرع خاص، ومنهم من قال أنه تعبد على شريعة من قبله من الأنبياء والمسألة مذكورة باسهاب فى كتب الأصول فمن شاء أن يرجع إليها فى مصادرها .

---

(١) نهاية السول شرح منهاج الوصول ٣/ ٦٦٠

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ٨/ ٤٠٥

استطراده في النحو والصرف :

ومن المآخذ على البيضاوى أنه يكثر الاستطراد في النحو والصرف في تفسير كثير من الآيات، ويبالغ أحيانًا حتى ينسى القارئ معنى الآية التى هو بصددها فعندما جاء يفسر قوله تبارك وتعالى :
" وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ".(١)
قال : (عطف على فمن تبع إلى آخره قسيم له ، كأنه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته، أو كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانًا، فيكون الفعلان متوجهين إلى الجار والمجرور ، والآية في الأصل العلامة الظاهرة وتقال للمصنوعات من حيث إنها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته، ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل ، واشتقاقها من أى لأنها تبين أيًّا من أىّ أو من أوإليه . وأصلها أيّة أو أويه كتمرة فأُبدلت عنها ألفا على غير قياس أو أأية أو أوية كرمكة فأعلت أو ائية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا ..)(٢)

وقال في قوله تعالى : " فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ "(٣) . (دفعتم منها بكثرة من أفضت الماء إذا صببته بكثرة، وأصله أفضتم أنفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع، سمى به كاذرعات، وإنما نوّن وكسر وفيه العلمية والتأنيث لأن تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ،

---

(١) سورة البقرة آية ٣٩

(٢) تفسير البيضاوى ص ٦

(٣) سورة البقرة آية ١٩٨

ولذلك يجمع مع اللام ، وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك ، أو لأن التأنيث إمَّا أن يكون بالتاء المذكورة وهى ليست تاء تأنيث وإنَّما هى مع الألف التى قبلها علامة جمع المؤنث أو بتاء مقدرة كما فى سعاد ، ولا يصح تقديرها لأنَّ المذكورة تمنعه من حيث أنها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت . . .)(١)

وقال فى سورة طه (. " طه.مآ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَن يَخْشَى "(٢) .

ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى خبرُ طه إنْ جعلته مبتدأً على أنه مـؤوّل بالسورة أو القرآن ، والقرآن فيه واقع موقع العائد ، وجوابٌ إنْ جعلته مقسماً به ، ومنادىً له إنْ جعلته نداءً ، واستئناف ان كانت جملة فعليه أو اسميـة باضمار مبتدأ ، أو طائفة من الحروف محكية ، والمعنى ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب . وقال"إلاَّ تذكرة". لكن تذكيراً وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز أَنْ يكون بدلاً من محل لتشقى لاختلاف الجنسين، ولا مفعولاً له لأنزلنا فإنَّ الفعل الواحد لا يتعدى إلى علتين، وقيل هو مصدر فى موقع الحال من الكاف أو القرآن أو المفعول له، على أن لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن ، أى ما أنزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه إلاَّ تذكرة)(٣) .

كما أسهب فى النحو فى تفسير قوله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَىْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ".(٤) فقال : (ما استفهامية منصوبة

---

(١) تفسير البيضاوى ص ٤٣

(٢) سورة طه الآيات ١ ، ٢ ، ٣

(٣) تفسير البيضاوى ص٤١٣

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٢

بتدعون ويعلم معلقة عنها، ومَنْ للتبيين أو نافية ومِنْ مزيدة، وشيء مفعول تدعون، أو مصدرية وشيء مصدر، أو موصولة مفعول ليعلم، ومفعول تدعون عائده المحذوف) (١) .

هكذا يستطرد البيضاوى فى ذكر المعانى اللغوية والنحوية والصرفية ويخوض فى وجوه الإعراب ويذكر بالتفصيل الطرق الممكنة فى توجيه الآية ، فيتيه القارىء فى وجوه الإعراب وينسى المعانى الأخرى للآية وما ورد فيها من آثار وما تدل عليه من العقيدة أو التشريع أو الأخبار عن الحاضر أو المستقبل ، أو الكشف عن وجه من وجوه العلم الكونى، كل ذلك يتركه المفسر غفر الله له ويخوض فى لجج الخلافات النحوية والصرفية التى هى فن قائم بنفسه له كتبه ومصنفاته أفرده العلماء بالتأليف والتصنيف .

. . . .

---

(١) تفسير البيضاوى ص ٥٣٠

الفصل الثانى

منزلته بين كتب التفسير بالرأى

ويتضمن مباحث

المبحث الأول : معنى التفسير بالرأي وحكمه

المبحث الثانى : جمعه لفنون تفرقت فى كتب التفسير بالرأى

المبحث الثالث : تأثره بمن قبله .

المبحث الرابع : من تأثر به بعده .

الفصل الثانـــي

منزلته بين كتب التفسير بالـــرأى

معنى التفسير بالرأى وحكمــه :

التفسير بالرأى ، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم فى القول ، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها ، واستعانته فى ذلك بالشعر الجاهلى ، ووقوفه على أسباب النزول ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن وغير ذلك من الأدوات التى يحتاج إليها المفسر (١) وهو على نوعين :

١ - نوعٌ قام على أصل لغوى ورد عند العرب ، أو برهانٌ عقلى وافق الشرع .

٢ - ونوع لم يقم على أصل لغوى ولا برهان عقلى موافق للشرع ، وإنَّما هو رأى مجرد لا شاهد له وأصحاب هذا التفسير من أهل البدع وأصحـــاب المذاهب الباطلة .

وأما حكم التفسير بالرأى ، فما كان على المعنى الأول ، وهو قيامـــه على أصل من أصول اللغة أو برهان عقلى موافق للشرع فجائزٌ لا غبارَ عليه .

وأما ما كان على المعنى الثانى ، وهو تفسير القرآن بمجرد الرأى الذى لا يقوم على أصل لغوى ولا برهان عقلى موافق للشرع ، فغير جائز لقوله تعالـــى : " وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ " . (٢) وقوله : " وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ " (٣) ولقوله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار " . (٤) ولقوله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد

(١) التفسير والمفسرون ١/٢٥٥

(٢) سورة الاسراء آية ٣٦

(٣) سورة البقرة آية ١٦٩ .

(٤) أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح سنن الترمذى بشرح عارضـة الأحوذى كتاب التفسير ١١/٦٧ .

أخطأ" .[1] وقال الصديق رضى الله عنه : (أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا قلت فى كتاب الله برأيى) .

وأما الدليل على جواز القول الأول ، وهو التفسير بالرأى الذى يقوم على أصل لغوى أو برهان عقلى موافق للشرع ، قول اللهِ تبارك وتعالى : " وَإِذَا جَاءَهُم أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ .. الآية "[2] وقوله تعالى : " لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ "[3]

وقد دعا النبىّ صلّى الله عليه وسلم لابن عباس فقال : "اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل " .[4] قال السيوطى فى الاتقان نقلاً عن البغوى الكواشى : (التأويل صرف الآية إلى معنىً موافقٍ لما قبلها وبعدها تحتمله الآية ، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط ، غير محظور على العلماء بالتفسير كقوله تعالى : " انفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً " .[5] قيل شباباً وشيوخاً ، وقيل أغنياء وفقراء ، وقيل عزاباً ومتأهلين ، وقيل نشاطاً وغير نشاط ، وقيل أصحاء ومرضى ،

---

(١) أخرجه الترمذى بلفظ من قال فى القرآن برأيه وفى سنده سهيل بن ابى حزم قال الترمذى فيه مقال ـ سنن الترمذى كتاب التفسير ١١ / ٦٨ .

(٢) سورة النساء آية ٨٣

(٣) سورة ص آية ٢٩

(٤) مسند أحمد ١ /٦٦

(٥) سورة التوبة آية ٤١

وكل ذلك سائغ والآية تحتمله .

وأما التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور، لأنه تأويل الجاهلين مثل تأويل الروافض ، وقوله تعالى : " مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١) - على وفاطمة - يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢) - يعنى الحسن والحسين ... الخ) . (٣)

ولا يجوز لأحد أَنْ يفسِّر كتاب الله تبارك وتعالى حتى يتقن العلوم الواجب توفرها لدى المفسر، وقد حصرها العلماء فى خمسة عشر فنا وهى اللغة ، والنحو ، والتصريف ، والاشتقاق ، والمعانى والبيان ، والبديع ، وعلم القراءات ، وعلم أصول الدين ، وعلم أصول الفقه ، وأسباب النزول والقصص ، والناسخ والمنسوخ ، وعلم الفقه ، وعلم الحديث وعلم الموهبه ، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما عَلِمَ .

فمَنْ فَسَّرَ بدون هذه العلوم كان مفسِّراً بالرأى المنهى عنه ، فعلماء التفسير بالرأى قد أتقنوا هذه العلوم ثم أقدموا على كتاب الله تعالى بالتفسير .

ومن أشهر كتب التفسير بالرأى ، تفسير الفخر الرازى المسمى بمفاتيح الغيب، وتفسير النيسابورى المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان ، وتفسير الزمخشرى المسمى بالكشاف، وتفسير القرطبى المسمى الجامع لأحكام القرآن ، وتفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل ، وتفسير ابى حيان المسمى بالبحر المحيط، وتفسير الألوسى المسمى بروح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى ، وتفسير البيضاوى المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل وغير ذلك من كتب التفسير بالرأى التى لا تكاد تحصر .

---

(١) سورة الرحمن آية ١٩

(٢) سورة الرحمن آية ٢٢

(٣) الاتقان فى علوم القرآن ٢ / ٢٣٢

المبحث الثاني

جمعه لفنون تفرقت في كتب التفسير بالرأي :

اختلفت مواهب العلماء وتنوعت فنون العلم لديهم فمنهم مَنْ برع في اللغة وعلومها ، ومنهم مَنْ تفوق في الفقه وأصوله ، ومنهم مَنْ أتقن الفلسفة وعلم الكلام والجدل ، وهكذا ، وظهر أثر هذا على كتب التفسير بالرأي فكان لكل تفسير من كتب التفسير بالرأي صبغة غلبت عليه ، وفن ظهر فيه أكثر من غيره ، فغلب على كل تفسير منها الفن الذى اشتهر به صاحبه .

فكل مَنْ برع في فن من الفنون يظهر أثر ذلك الفن على تفسيره ، لأنه كلما عرضت عليه مسألة في فنه صال فيها وجال ، وصب فيها معارفه وعلمه ، وتعرَّض لمن خالفه ورد عليه وجادله ، وفنَّد أقواله وأثبت أقواله هو بالأدلة والبراهين .

فصاحب اللغة غلب عليه الاهتمام بالألفاظ واشتقاقياتها واستعمالات العرب لها وشواهدها من أشعارهم ، فظهر ذلك في كتب مفردات القرآن ، ومجاز القرآن ، وغريب القرآن ، ومعاني القرآن ، تتبع أصحابها الاشتقاقات اللغوية ، ووجهوا القراءات وخاضوا في المباحث البلاغية كالتشبيه ، والتمثيل ، والمجاز ، والاستعارة وغيرها .

والنحاة نجد جُلّ اهتمامهم بالاعراب وذكر ما تحتمله الآية من أوجه الاعراب ، وخاضوا في مسائل النحو وفروعه وخلافته ، وذكر أقوال النحاة ، التعرض للمدارس النحوية ، وربما نصروا مدرسة على الأخرى أو تعصب الواحد منهم إلى مذهب نحوى ، أو قولِ إمام من أئمة النحو ، وظهر ذلك عند أبي حيَّان

في البحر المحيط ، والألوسي في روح المعاني ، وتفسير القرآن للراغب الأصفهاني وغيرهم .

وعنى الفقهاء بآيات الأحكام، واستنبطوا منها الأدلة للفروع الفقهية وربما تعصب المفسر لمذهبه وأورد الأدلة التي تأيده والرد على من يخالف مذهبه ، وظهر ذلك في أحكام القرآن لابن العربي ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وأحكام القرآن للجصاص ، وأحكام القرآن لابي بكر الرازي وغيرها .

وأصحاب العلوم العقلية كالجدل والمنطق والفلسفة وغيرها نجد جُلَّ اهتمامهم بالمباحث العقلية والجدلية وأقوال الحكماء والفلاسفة، كما نجدهم يعنون بشبههم والرد عليها وتحقيق آرائهم بالأدلة العقلية ومن أمثال هؤلاء الفخر الرازي في تفسيره المسمى مفاتيح الغيب .

وأصحاب علم التاريخ اهتموا في تفسيرهم بالقصص وذكر أخبار مَنْ سلف من القرون الماضية والأمم الغابرة فذكروا روايات وقصص منها الصحيح ومنها الغير الصحيح كالاسرائيليات وقصص السابقين، ظهر ذلك في تفسير الثعلبي، وتفسير الخازن وغيرها

وأصحاب الفرق اهتموا بتأويل كلام الله تعالى ، والخروج بالآيات الى غير معناها ليتوافق مع مذاهبهم وعقائدهم ، ومن ذلك فرق المعتزلة كالقاضي عبد الجبار ، والزمخشري ، وفرق الشيعة ،كالامامية ،والاثنا عشرية وغيرهم . وظهر ذلك جليا في تفسيرهم للقرآن الكريم .

واهتم الصوفية بالترغيب والترهيب واستخراج المعاني الإشارية من الآيات القرآنية بما يتفق مع رياضاتهم ومواجيدهم ، فخرجوا بالآيات القرآنية في معناها إلى معانٍ توافق هواهم وطريقتهم ، ظهر ذلك في تفسير ابن عربي وعبد الرحمن السلمي وغيرهم .

وأما البيضاوى فقد أتقن كل هذه العلوم وبرع فيها وألف فيها الكتب، وشرح فيها المتون، فجمع كل هذه العلوم فى تفسيره، لذا كان تفسيره فريدا من نوعه، علما بين كتب التفسير بالرأى، امتاز بينها بجمعه لكل هذه العلوم وظهورها فيه، فإذا اطّلع القارىء على تفسير آية منه تحتوى على فنٍ من هذه الفنون خيل إليه أنّه الفن الوحيد الذى برع فيه لتمكنه من الخوض فى ذلك الفن واتقانه له .

فإذا عقدنا مقارنة بين تفسير البيضاوى للآيات فى أى فنٍ من الفنون وبين كتب التفسير بالرأى التى تخصص أصحابها فى ذلك الفن، يتضح لنا قيمة تفسير البيضاوى وميزته بين كتب التفسير بالرأى .

وفى ما يلى نعرض أمثلة توضيحية من تفسير الآيات حتى تتضح لنا المقارنة بين تفسير البيضاوى وكتب التفسير بالرأى .

أولا : فى مجال اللُّغة : -

بالنسبة للغة واشتقاق ألفاظها ، واستعمالات العرب لها ، وشواهدها من أشعارهم ، فواضح فى تفسيره ، خائض فيه خوض من له قدم فى هذا الفن .

ففى تفسير قوله تعالى : " وَإِنْ جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ".(١) قال البيضاوى : (إِنْ جنحوا مالوا . ومنه الجناح . وقد يعدى باللّام والى . للسلم: للصلح والاستسلام فاجنح لها وعاهد معهم، وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه .

قال : -

السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من أنفاسها جرع .)(٢)

---

(١) سورة الأنفال آية ٦١

(٢) تفسير البيضاوى ص٢٤٤

وقال الأخفش سعيد بن مسعدة فى معانى القرآن : (أنتُ السَّلـم وهو الصلح ، وهى لغة لأهل الحجاز ، ولغة العرب الكسر) [١] .

وقال الفراء : (إِنْ شئت جعلت "لها" كناية عن السَّلم لأنَّها مؤنثة . وان شئت جعلته للفعلة كما قال : " إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لغفورٌ رَّحِيمٌ " [٢] . ولم يذكر قبله إِلَّا فعلاً ، فالهاء للفعلة) [٣] .

انظر كيف يضارع البيضاوى أهل اللغة ويأتى تفسيره أوضح وأوجز مدعماً بالشاهد الشعرى، والشعر ديوان العرب .

وفى تفسير قوله تعالى : كَيْفَ وإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُم لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا ولا ذِمَّةً [٤] .

قال البيضاوى : (الا ، حِلفاً وقيل قرابة قال حسان : -

لعمرك إِن إِلَّك من قريشٍ كإِلِّ السقب من رأل النعـام

وقيل ربوبية ، ولعله اشتق للحلف من الإل وهو الجوار، لأنهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة، لأنَّها تعقد بين الأقارب مالا يعقده الحلف ، ثم للربوبية والتربية .

وقيل اشتقاقه من اللَّه الشىء إذا حدده ، أو من ألَّ البرق إذا لمع، وقيل انه عبرى بمعنى الاله لأنه قرئ إِيلاً كجبرئل وجبريل) [٥] .

---

(١) معانى القرآن للأخفش الأوسط ٢/ ٣٢٥

(٢) سورة الاعراف آية ١٥٣

(٣) معانى القرآن للفراء ١/ ٤١٦

(٤) سورة براءة الآية ٨

(٥) تفسير البيضاوى ص ٢٤٨

وقال الراغب الأصفهاني : (الال : كل حالةٍ ظاهرةٍ من عهدٍ أو حلفٍ وقرابةٍ ، تئل تلمع فلا يمكن انكاره، قال تعالى " لا يرقبون في مؤمن الا وله ذمة " . وألَّ الفرس أي أسرع حقيقته لمع، وذلك استعارة في باب الاسراع ، نحو برق وطار ، والألة الحربة اللامعة، وألّ بها ضرب وقيل الّ ، وأيل اسم الله تعالى وليس ذلك بصحيح ، وأُذن مؤللة . والالال صفحتا السكين) .(١)

وفي تفسير قوله تعالى : " قَالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ".(٢)

قال البيضاوي : (عملٌ غيرُ صالح تعليل لنفي كونه من أهله ، وأصله انه ذو عمل فاسد ، فجعل ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة .

ترتع ترعى اذا غفلت ، حتى اذا ادكرت ... فانما هي اقبال وادبار

ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحاً بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما أوجب النجاة لمن نجا من أهله)(٣)

قال ابن الجوزي : (وفيه قولان . أحدهما : أنه يرجع إلى السُّؤال فيه فالمعنى سؤلك إيَّاي فيه عمل غير صالح ، قاله ابن عباس وقتادة وهذا ظاهر ، لأنَّه قد تقدم السُّؤال فيه في قوله " رب إنَّ ابني من أهلي " ، فرجعت الكناية إليه .

والثاني : أنَّه يرجع إلى المسئول فيه .

وفي هذا المعنى قولان . أحدهما أنَّه لغير رشده قاله الحسنُ ،

---

(١) مفردات غريب القرآن ص ٢٠

(٢) سورة هود آية ٤٦

(٣) تفسير البيضاوي ص ٢٩٧ .

والثاني أن المعنى أَنَّهُ ذو عملٍ غيرُ صالح قاله الزجاج . وقال ابن الأنباري: مَنْ قال هو لغير رشده قال المعنى انَّ أصلَ ابنك الذى تظن أنه ابنك عملٌ غيرُ صالحٍ ، ومَنْ قال أُنَّهُ ذو عمل غير صالح ، قال حذف المضاف وأقام العمل مقامه ،كما تقول العرب : عبد الله اقبال وادبار : أى صاحب اقبال وادبار)[1] ، فتساوى كلام الزجاج وابن الأنبارى مع كلام البيضاوى في تفسير الآية

وفى تفسير قوله تعالى : " ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ".[2]

قال البيضاوى : (أى مشهود فيه أهل السموات والأرض فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله :

في محفل من نواصى النَّاس مشهود

أى كثير شاهدوه ، ولو جعل اليوم مشهوداً فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فإنَّ سائر الأيام كذلك) .[3]

وقال النَّحاسُ : (ذلك يوم ابتداء وخبر . مجموع من نعته الناس اسم ما لم يسم فاعله ولهذا لم يقل مجموعون ، ويجوز أَنْ يكون الناس رفعاً بالابتداء ، ومجموع له خبره ولم يقل مجموعون لأَنَّ له يقوم مقام الفاعل) .[4]

وجاء أبو حيان وبسط القولَ وناقشه وانتهى إلى ما توصل إليه البيضاوى حيث قال أبو حيان : (ذلك إشارة إلى يوم القيامة الدال عليه قوله عذاب الآخرة

---

(١) زاد المسير ٤/ ١١٤

(٢) سورة هود آية ١٠٣

(٣) تفسير البيضاوى ص ٣٠٦

(٤) اعراب القرآن للنحاس ٢/ ١١٠

والناس مفعول لم يسم فاعله رافعه مجموع .

وأجاز ابن عطية أن يكون الناس مبتدأً ومجموع خبر مقدم ، وهو بعيد لأفراد الضمير في مجموع ، وقياسه على اعرابه مجموعون . مجموع له الناس عبارة عن الحشر ، ومشهود عام يشهده الأولون والأخرون من الإنس والجن والملائكة والحيوان في قول الجمهور ، وقال الزمخشري : فإنْ قلت أي فائدة في أن أوثر اسم المفعول على فعله، قلت : لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، وانه لابُدَّ أن يكون ميعادا مضروباً لجمع الناس له، وانه هو الموصوف بذلك صفة لازمة ، وهو أثبت أيضاً لاسناد الجمع إلى الناس، وأنهم لا ينفكون منه ، وفيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل ، ومعنى مشهود مشهود فيه، فاتسع في الجار والمجرور ووصل الفعل إلى الضمير اجراءً له مجرى المفعول به على السعة لقوله :

ويوما شهدناه سُلَيْماً وعامرا - - - - - - - - -

والمعنى يشهد فيه الخلائف الموقف لا يغيب عنه أحد ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور ، وانما لم يجعل اليوم مشهوداً في نفسه كما قال : " فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهرَ " (١) لأن الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم . وكونه مشهوداً في نفسه لا يميزه اذ هو موافق لسائد الأيام في كونها مشهودة) . (٢)

فعبارة البيضاوي بالرغم من أنَّها موجزة إلَّا أنها جامعة مبينة أوصلت إلى المعنى وبينت مدلول الآية، وعبارة أبي حيان طويلة ومفصلة وأوصلت إلى نفس

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥ .

(٢) البحر المحيط ٥/ ٢٦١

المعنى الذى أوصلت إليه عبارة البيضاوى لأن البيضاوى ملك قدرة الايجاز والايضاح .

وفى تفسير قوله تعالى : " وَمِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا "(١) .

قال البيضاوى : (مقدر بأن كقوله : -

ألا أيها الزاجرى أحضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

أو الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقوله - تسمع بالمعيدى خيرٌ من أنْ تراه .

أو صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله : -

فما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى ابتغى العيش أكدح .(٢)

وكما أسهب أبو حيان من قبل أسهب كذلك الألوسى فلم يخرج عن قول البيضاوى الذى أوجز فى أسطر قليلة فكان المعنى واحداً . قال الألوسى : (ذهب أبو على الى أنه بتقدير أن المصدرية والأصل أن يريكم فحذف أن وارتفع الفعل وهو الشائع بعد الحذف فى مثل ذلك ، وشذ بقاءه منصوباً بعده وقد روى بالوجهين قول طرفة :

ألا أَيُّها الزاجرى احضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

وجوز كونه مما نزل فيه الفعل منزلة المصدر فلا تقدر أنْ بل الفعل مستعمل فى جزء معناه ، وهو الحدث مقطوع فيه النظر عن الزمان فيكون اسماً فى صورة الفعل) فيريكم بمعنى الرؤية ، ومحل ذلك فى المشهور قولهم : تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ، وجوّز فيه أن يكون مما حذف فيه (أن) وأريد بأنه روى فيه (تسمع) بالنصب أيضا . ولم يرتضه بعض الأجلة لأن المعنى ليس على الاستقبال ، وأما

---

(١) سورة الروم آية ٢٤

(٢) تفسير البيضاوى ص ٥٣٧

أن تراه فالاستقبال فيه بالنسبة إلى السماع فلا ينافيه ، ومثله قوله : -

فقالوا ما/ تشاء فقلت الهو الى الاصباح أثر ذى أثير

ورجح الحَملُ على التنزيل منزلة اللازم دلالة على أنه كالحال اهتماماً بشأن المراد لقوله أثر ذى أشير ، والتعليل بأن ما تشاء سؤال عما يشاؤه فى الحال وأَنّ للاستقبال ليس بالوجه لأَنّ المشيئة تتعلق بالمستقبل أبداً . وقال الجامع الأصفهانى : تقدير الآية ، ومن آياته آية يريكم البرق على أَنّ يريكم صفة وحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه كما فى قوله :

وما الدهر إلاّ تارتان فمنهما أموات وأخرى ابتغى العيش أكدح

أى فمنهما تارة أموات . قيل فلابُدّ من راجع فقد فيها أو بها .

وقيل التقدير ومن آياته البرق ثم استؤنف يريكم البرق ، وقيل من آياته حال من البرق أى يريكم البرق حال كونه من آياته .

وجوّز أبو حيّان تعلقه بيريكم ، ومن لابتداء الغاية وفيه مخالفة لنظراته ، وفى الكشف لعلّه الأوجه أن يكون من آياته خبر مبتدأ محذوف أى من آياته مايذكر أو ما يتلى عليكم ، ثم قيل يريكم البرق بياناً لذلك ثم قال : وهذا أقل تكلفاً من الكل ، وأنت تعلم أن الأوجه ما توافق الآية به نظائرها) (١).

هذه أمثلة من تفسير البيضاوى مع مقارنتها بكتب التفسير بالرأى فى مجال اللغة حيث يبدو للقارىء أَنّ البيضاوى متخصصٌ فى اللغة فحسب لمجاراته أهل اللغة كالزجاج والفراء والأخفش والنحاس وغيرهم .

---

(١) روح المعانى ٧/ ٣٢ ، ٣٣

ثانيا : فى مجال النحـــو :

أما النحو فالبيضاوى عالم فيه متقن بارع محقق له ، تجلى ذلك فى تفسيره بل ظهر فيه ظهوراً كأنه هو الفن الوحيد عند البيضاوى ، فعند تفسير الآيـــة يذكر أوجه الاعراب فيها ويرجح ما يراه مناسباً من أوجه الأعراب وربما انتصـــر لمدرسة فى النحو على الأخرى كما كان ينتصر لمدرسة البصرة ثم يذكـــر ما ورد فى الآية من القراءات ويوجهها من العربية وربما ذكر عدد من التوجيهات ورجح احداها على الأخرى وكتاب التفسير ملىء بذلك .

ففى تفسير قوله تعالى : " واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ " (١) .

قال البيضاوى : (والأرحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمراً ، أو على الله ، أى اتقوا الله واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوهـــا . وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة . وقرىء بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام كذلك أى مما يتقـــى أو يتساءل به . الخ) (٢) .

وقال أبو جعفر النحاس : (والأرحام عطف أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، وقرأ ابراهيم وقتادة وحمزة والأرحام بالخفض . وقد تكلم النحويون فى ذلك . فأمّا البصريون فقال رؤساؤهم : هو لحن لا تحل القراءة به ، وأما الكوفيـــون فقالوا : هو قبيحٌ ولم يزيدوا على هذا ولم يذكروا علة قبحه فيما علمته ، وقـــال سيبويه : لم يعطف على المضمر المخفوض لأنه بمنزلة التنوين . وقال أبو عثمـــان

---

(١) سور النساء آية ١

(٢) تفسير البيضاوى ص ١٠٨

المازنى : المعطوف والمعطوف عليه شريكان لا يدخل فى أحدهما الا ما دخل فى الآخر فكما لا يجوز مررت بزيد وبك وكذا لا يجوز مررت بك وزيد ، وقد جاء فى الشعر كما قال :

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب

وكما قال : وما بينها والكعب غوط نفانفُ .

وقال بعضهم والأرحام قسمٌ وهذا خطأٌ فى المعنى والاعراب لأن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على النصب روى شعبة عن عون ابن أبىجحيفة عن المنذر بن جرير عنأبيه قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم حتى جاء قوم من مضر حفاة عراة فرأيت وجه النبى صلى الله عليه وسلم يتغير لما رأى فى فاقتهم ثم صلى الظهر وخطب الناس فقال : (يا أيها الناس اتقوا ربكم والأرحام ثم قال تصدق رجل بديناره ، تصدق رجل بدرهمه ، تصدق رجل بصاع تمره) .[١] وذكر الحديث فمعنى هذا على النصب لأنه حضهم على صلة أرحامهم ، وأيضا فلو كان قسماً كان قد حذف منهُ لأنَّ المعنى ويقولون بالأرحام أى ورب الأرحام ، ولا يجوز الحذف إلَّا أَنْ لا يصح الكلام إلَّا عليه . وأيضاً فقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم من كان حالفاً فليحلف بالله[٢] فكما لا يجوز أن تحلف إلَّا بالله كذا لا يجوز أن تستحلف إلَّا بالله فهذا يرد قول من قال المعنى أسألك بالله وبالرحم ، وقد قال أبوإسحاق معنى تساءلون به تطلبون حقوقكم به ولا معنى للخفض على هذا) .[٣]

---

(١) صحيح مسلم كتاب الزكاة ٢/ ٧٠٥

(٢) سنن الترمذى كتاب النذور ١٦/٧ ، ١٧

(٣) اعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٩٠ ، ٣٩١ .

فسرد النحاس أقوال النحاة ولخص البيضاوى أقوالهم وكان الموضوع واحدا وهو توجيه القراءة فى كلمة الأرحام بالفتح والضم وذكر اعتراض النحاة على قراءة الجر واختلافهم فى توجيهها .

وفى قوله تعالى : " يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا " (١)

قال البيضاوى : (متاع الحياة الدنيا . منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ، ورفعه على أنه خبر بغيكم ، وعلى أنفسكم صلته ، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى خبر بغيكم ، ونصبه حفص على أنه مصدر مؤكد أى تتمتعون متاع الحياة الدنيا ، أو مفعول البغى لأنه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف ، تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور أو ضلال ، أو مفعول فعلٍ دَلَّ عليه البغى وعلى أنفسكم خبره). (٢)

وقال أبو حيان : (قوله على أنفسكم خبر للمبتدأ الذى هو بغيكم فيتعلق بمحذوف ، وعلى هذا التوجيه انتصب متاعُ فى قراءة زيد بن على وحفص وابن ابى إسحاق وهارون عن ابن كثير على أنه مصدر فى موضع الحال أى متمتعين ، أو باقياً على المصدرية أى يتمتعون به متاعُ أو نصباً على الظرف نحو مقدم الحاجِ ، أى وقت متاع الحياة الدنيا .

وكل هذه التوجيهات منقولة ، والعامل فى متاع إذا كان حالاً أو ظرفاً ما تعلق به خبر بغيكم أى كائناً على أنفسكم ، ولا ينتصبان ببغيكم لأنه مصدر قد فصل بينه وبين معمولة بالخبر وهو غير جائز ، وارتفع متاع فى قراءة الجمهور على أنه

---

(١) سورة يونس آية ٢٣

(٢) تفسير البيضاوى ٢٧٦/١

خبر مبتدأ محذوف، وأجاز النحاس وتبعه الزمخشري أن يكون على أنفسكم متعلقاً بقوله بغيكم كما تعلق في قوله " فبغى عليهم " ويكون الخبر متاع اذا رفعته . ومعنى على أنفسكم على أمثالكم والذين جنسكم جنسهم، يعني بغى بعضكم على بعض منفعه الحياة الدنيا . وقرأ ابن أبي إسحاق أيضاً متاعاً الحياة الدنيا بنصب متاع وتنوينه ونصب الحياة) (١) .

هكذا يضارع البيضاوى النحاة واللغويين فيوافق البعض ويخالف الآخر ويرجح في النحو قولاً على قولٍ في ايجاز جامع غير مخل ينبئ عن عقلية فريدة وملكة وقدرة على التعبير والايجاز وعلمٍ وقدمٍ راسخ .

ثالثا : في مجال الفقه :

وأما فيما يتعلق بالفقه ، فالبيضاوى عالمٌ وفقيهٌ متمكن في علم الفقه يشهد له في ذلك كتابه الغاية القصوى في دراية الفتوى، الذى جمع فقه الشافعية في ايجاز واجمال وشرحه أيضا لكتاب التنبيه لأبي اسحاق الشيرازى وغير ذلك .

وأما في التفسير فقد تناول البيضاوى آيات الأحكام وفسرها، وبيّن ما فيها من أحكام فقهية وأورد أقوال الفقهاء، وربما انتصر لمذهب الشافعي الذى هو مذهبه ورد أدلة المعارضين بالدليل النقلي والعقلي، وقد أوردنا أمثلة لذلك في موقفه من آيات الأحكام، وهنا نورد أمثلة من تفسير البيضاوى مقارنة مع الفقهاء من أهل التفسير بالرأى ، ففي آية الحصر عند قوله تعالى : " وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ولا تَحلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ

---

(١) البحر المحيط ٥ / ١٤٠ .

الهدى محله فَمَنْ كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ (١).

قال البيضاوى : (فان أحصرتم . منعتم يقال حصره العدو وأحصره اذا حبسه ومنعه عن المضى مثل صَدَّه وأصدَّه ، والمراد حصر العدو عند مالك والشافعى رحمهما الله تعالى لقوله تعالى فإذا أمنتم ولنزوله فى الحديبية ولقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما؛ لا حصر إلاّ حصر العدو ، وكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى لما روى عنه عليه الصلاة والسلام : من كسر أو عرج فقد حلّ فعليه الحج من قابل (٢) ، وهو ضعيف مؤول بما إذا شرط الاحلال به لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت الزبير حجى واشترطى وقولى اللّهم محلى حيث حبستنى (٣). فما استيسر من الهدى ، فعليكم ما استيسر أو فالواجب ما استيسر أو فاهدوا ما استيسر، والمعنى إنْ أحصر المحرم وأراد أن يتحلل بذبح هدى تيسر عليه من بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر عند الأكثر لأنه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل وعند أبى حنيفة رحمه الله تعالى يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم أمان فإذا جاء اليوم وظن أنه ذبح تحلّل لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله ، أى لا تحلوا حتى تعلموا أن الهدى والمبعوث إلى الحرم بلغ محله أى مكانه الذى يجب أن ينحر فيه ، وحمل الأدلون بلوغ

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٦ .

(٢) مسند أحمد ٣/٤٥٠

(٣) صحيح البخارى مع فتح البارىء كتاب النكاح باب الاكفاء فى الدين ١/٣٥، ٣٦.

الهدى محله على ذبحه حيث يحل الذبح فيه حِلاً كان أو حرماً . واقتصاره على الهدى دليل على عدم القضاء وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى يجب القضاء) . (١)

هذا ما قاله البيضاوى فى الآية ذكر أقوال الفقهاء وأتى بدليل كل واحد منهم، وبَيَّن المعنى الفقهى من الآية فإذا قارنا بينه وبين تفسير القرطبى لها وجدنا أن القرطبى أفاض فى ذكر الأحكام الفقهية وفَصَّل فى الأقوال فيها بدرجة تنسى القارىء أنه يقرأ تفسير قرآن . قال القرطبى : (فان أحصرتم فما استيسر من الهدى) . فيه اثنا عشرة مسألة .

الأولى : ... الاحصار هو المنع من الوجه الذى تقصده بالعوائق جملة فجملة أى بأى عذر كان ، كان حصر عدو أو جور سلطان أو مرض أو ما كان . واختلف العلماء فى تعيين المانع هنا على قولين : -

الأول : قال علقمة وعروة ابن الزبير وغيرهما : هو المرض لا العدو، وقيل العدو خاصة ، قاله ابن عباس وابن عمر وأنس والشافعى، قال ابن العربى وهو اختيار علمائنا، ورأى أكثر أهل اللغة ومحصليها على أن أحصر عرض للمرض وحصر نزل به العدو .

قلت : ما حكاه ابن العربى من أنه اختيار علمائنا فلم يقل به إلاَّ أشهب وحده ، وخالفه سائر أصحاب مالك فى هذا وقالوا : الاحصار إنَّما هو المرض ، وأمَّا العدو فانما يقال فيه حصر حصرا فهو محصور قاله الباجى فى المنتقى، وحكى أبو اسحاق الزجاج أنه كذلك عند جميع أهل اللغة على ما يأتى، وقال أبو عبيدة

---

(١) تفسير البيضاوى ص ٥٦

والكسائى : أحصر بالمرض وحصر بالعدو . وفى الجمل لابن فارس على العكس ،فحصر بالمرض وأحصر بالعدو . وقالت طائفة يقال أحصر فيهما جميعا من الرباعى حكاه أبو عمر .

قلت وهو يشبه قول مالك حيث ترجم فى موطئه احصر فيهما فتأمله وقال الفراء هما بمعنى واحد فى المرض والعدو . قال القشيرى أبو نصر : وأدعت الشافعية أن الاحصار يستعمل فى العدو ، وأما المرض فيستعمل فيه الحصر ، والصحيح أنهما يستعملان فيهما .

قلت ما ادعته الشافعية قد نص الخليل بن أحمد وغيره على خلافه . قال الخليل : حصرت الرجل حصراً منعته وحبسته ، وأحصر الحاج عن بلوغ المناسك من مرض أو نحوه هكذا قال ، جعل الأول ثلاثيًا من حصرت ، والثانى فى المرض رباعيًا. وعلى هذا خرج قول ابن عباس لا حصر إلاَّ حصر العدو . وقال ابن السكيت : أحصره المرض إذا منعه من السفر أو من حاجة يريدها . وقد حصر العدو يحصرونه اذا ضيقوا عليه فأطافوا به وحاصروه محاصرة وحصاراً . قال الأخفش حصرت الرجل فهو محصور أى حبسته قال واحصرنى بولى ، وأحصرنى مرضى ، أى جعلنى أحصر نفسى . قال أبو عمرو الشيبانى حصرنى الشىء واحصرنى أى حبسنى قلت فالأكثر من أهل اللغة على أن حصر فى العدو وأحصر فى المرض وقد قيل ذلك وقال الله تعالى " لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ." (١)

وقال ابن ميّادة :

وما هجر ليلى أن تكون تباعدت ... عليك ولا أن أحصرتك شغول

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٣ .

وقال الزجاج : الاحصار عند جميع أهل اللغة انما هو من المرض ، فأما في العدو فلا يقال فيه الا حصر ، يقال حصر حصرا ، وفي الأول أحصر احصارا فدل على ما ذكرناه . وأصل الكلمة من الحبس ، ومنه الحصير للذى يحبس نفسه عن البوح بسره . والحصير الملك لأنه كالمحبوس من وراء الحجاب والحصير الذى يجلس عليه لانضمام بعض طاقات البردى الى بعض كحبس الشىء مع غيره .

الثانية : ـ ولما كان أصل الحصر الحبس قالت الحنفية المحصر من يصير ممنوعاً من مكة بعد الاحرام بمرض أو عدو أو غير ذلك . واحتجوا بمقتضى الاحصار مطلقا . قالوا وذكر الأمن في آخر الآية لا يدل على أنه لا يكون من المرض ، قال صلى الله عليه وسلم : " الزكام أمان من الجذام " . وقال : " من سبق العاطس بالحمد أمن من الشوص واللوص والعوص " الشوص وجع السن، واللوص وجع الأذن، والعلوص وجع البطن، أخرجه ابن ماجة في سننه . قالوا وإنَّما جعلنا حبس العدو حصاراً قياساً على المرض اذا كان في حكمه ، لا بدلالة الظاهر .

وقال ابن عمر وابن الزبير وابن عباس والشافعي وأهل المدينة : المراد بالآية حصر العدو ، لأن الآية نزلت في سنة ست في عمرة الحديبية حين صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة . قال ابن عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحال كفار قريش دون البيت ، فنحر النبى صلى الله عليه وسلم هديه وحلق رأسه . ودل على هذا قوله تعالى " فاذا أمنتم" . ولم يقل برأتم والله أعلم .

الثالثة : ـ جمهور الناس على أن المحصر بعدو يحل حيث أحصر وينحر هديه

ان كان ثم هدى ويحلق رأسه . وقال قتادة وابراهيم : يبعث بهديه ان أمكنه ، فاذا بلغ محله صار حلالا . وقال أبو حنيفة دم الاحصار لا يتوقف على يوم النحر ، بل يجوز ذبحه قبل يوم النحر اذا بلغ محله ، وخالفه صاحباه فقالا : يتوقف على يوم النحر ، وان نحر قبله لم يجزه .

الرابعة : الأكثر من العلماء على أن من أحصر بعدو كافر أو مسلم أو سلطان حبسه فى سجن أن عليه الهدى ، وهو قول الشافعى وبه قال أشهب .

وكان ابن القاسم يقول : ليس على من صد عن البيت فى حج أو عمرة هدى الا أن يكون ساقه معه ، وهو قول مالك ومن حجتهما أن النبى صلى الله عليه وسلم انما نحر يوم الحديبية هدياً كان قد أشعره وقلده حين أحرم بعمرة، فلما لم يبلغ ذلك الهدى محله للصد أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحر لأنه كان هدياً وجب بالتقليد والاشعار ، وخرج لله فلم يجز الرجوع فيه ، ولم ينحره رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل الصد ، فلذلك لا يجب على من صد عن البيت هدى . واحتج الجمهور بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل يوم الحديبية ولم يحلق رأسه حتى نحر الهدى ، فدل ذلك على أن من شرط احلال المحصر ذبح هدى ان كان عنده ، وان كان فقيراً فمتى وجده وقدر عليه لا يحل الا به ، وهو مقتضى قوله : " فإنْ احصرتم ما استيسر من الهدى " . وقد قيل يحل ويهدى اذا قدر عليه ، وكذلك من لا يجد هديا يشتريه قولان .

الخامسة : قال عطاء وغيره المحصر بمرض كالمحصر بعدو ، وقال مالك والشافعى وأصحابهما من احصره المرض فلا يحله إلاَّ الطواف بالبيت وان أقام سنين حتى يفيق وكذلك من أخطأ العدد أو خفى عليه الهلاك . قال مالك وأهل مكة فى

ذلك كاهل الأفاق . قال : وان احتاج المريض الى دواء تداوى به وافتدى وبقى على احرامه لا يحل من شئ حتى يبرأ من مرضه ،فاذا برئ من مرضه مضى الى البيت فطاف به سبعا ، وسعى بين الصفا والمروة وحل من حجته أو عمرته . وهذا كله قول الشافعى ، وذهب فى ذلك الى ما روى عن عمر وابن عباس وعائشة وابن عمر وابن الزبير أنهم قالوا فى المحصر بمرض أو خطأ العدد انه لا يحله الا الطواف بالبيت . وكذلك من أصابه كسر أو بطن منخرق . وحكم من كانت هذه حاله عند مالك وأصحابه أن يكون بالخيار، اذا خاف فوت الوقوف بعرفة لمرضه ، ان شاء مضى اذا أفاق الى البيت فطاف وتحلل بعمرة ، وان شاء أقام على احرامه الى قابل ، وان أقام على احرامه ولم يواقع شيئا مما نهى عنه الحاج، فلا هدى عليه ومن حجته فى ذلك الاجماع من الصحابة على أن من أخطأ العدد، أن هذا حكمه لا يحله الا الطواف بالبيت:) (١)

الى آخر ما ذكره القرطبى من الأقوال فى الآية . ثم ذكر المسألة السادسة وما فيها من أقوال الفقهاء من الاشتراط فى الحج، وذكر الاختلاف فى ذلك وأدلة كل مذهب . وذكر فى المسألة السابعة اختلاف العلماء فى وجوب القضاء على من أحصر . وفى المسألة الثامنة ذكر اجماع العلماء على أنه يحل من كسر وذكر اختلافهم فيما يحل به . وفى المسألة التاسعة ذكر اتفاق العلماء فى الاحصار انه عام فى الحج والعمرة . وذكر فى المسألة العاشرة الحاصر اذا كان كافراً أو مسلماً هل يجوز قتاله؟ وبين قول الفقهاء فيه . وفى المسألة الحادية عشر فيما اذا كان العدو الحاصر يتيقن بقاؤه واستيطانه أو لا، وحكم كل واحد منهما .

---

(١) تفسير القرطبى ٢/ ٣٧١ - ٣٧٤

وفى المسألة الثانية عشرة فى الهدى وذكر معناه ومدلولاته .

توسع القرطبى فى شرح الآية وأطنب وقسمها إلى مسائل وأسهب بدرجة أن القارىء يظن أنه يقرأ كتابا من كتب الفقه لا تفسير للقرآن الكريم . وأما البيضاوى فقد لخص هذه الأحكام الفقهية وجمعها فى عبارات موجزة ، نعم انه لم يذكر التفاصيل والأقوال المتعددة فى الآية وما ذهب اليه الفقهاء مثل ما فعل القرطبى ولكنه أتى بالقول المعتمد فى كل مذهب ما ذكر الدليل حتى لا يطيل على القارىء ويخرجه من علم التفسير إلى علم الفقه .

رابعا : - فى مجال أصول الفقه :

وأما فى مجال أصول الفقه فقد كان البيضاوى عالماً بأصول الفقه بل من الأساتذة فى هذا الفن، ويشهد له كتاب المنهاج الذى تناوله العلماء بالشرح والتعليق والتدريس .

وقد ظهر علمُ الأصولِ فى تفسيره ظهوراً بيناً، وبدت فيه شخصية البيضاوى الأصولى، وقد ذكرنا أمثلةً من ذلك فى مصادره من كتب الأصول ، والآن نعقد مقارنة بين طريقة تناول البيضاوى لعلم الأصول فى تفسيره مع مفسِّر أصولى من علماء الأصول فى طريقته لتناول المباحث الأصولية فى تفسيره ، وهو الفخر الرازى .

ففى قوله تعالى : " وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ " (١) .

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٢ .

قال البيضاوى : (وما استفهام لهم أن ينفروا جميعاً لنحو غزوٍ أو طلب علمٍ ، كما لا يستقيم لهم أن يتثبطوا جميعاً، فإنَّه يخل بأمرِ المعاش ، فهلا نَفَرَ من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة، ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ، وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة إرشاد القوم وانذارهم، وتخصيصه بالذكر، لأنَّه أهم وفيه دليل على أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية، وانه ينبغى أَنْ يكونَ غرضَ المتعلم فيه أن يستقيم، لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد . " لعلَّهم يحذرون " إرادة أَنْ يحذروا عما ينذرون منه، واستدلَّ به أَنَّ أخبار الآحاد حجةَ، لأَنَّ عموم كل فرقة يقتضى أن ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة إلى التفقه لتنذر فرقتها كى يتذكروا ويحذروا ، فلو لم يعتبر أخبار الآحاد ما لم يتواتر لم يفد ذلك ، وقد اشبعت القولَ فيه تقريراً واعتراضاً فى كتابى المرصاد) (١) .

وقال الفخر الرازى فى الآية : (هذه الآية حُجَّةٌ قويةٌ لمن يرى أَنَّ خبر الواحد حُجَّة ، وقد أطنبنا فى تقريره فى كتاب المحصول من الأصول ، والذى نقوله ههنا أَنَّ كُلَّ ثلاثةٍ فرقة . وقد أوجب الله تعالى أَنْ يخرجَ من كل فرقة طائفة ، والخارج من الثلاثة يكون اثنين أو واحداً ، ثم إنَّه تعالى أوجب العملَ باخبارهم لأَنَّ قولَه " لينذروا قومَهم " عبارة عن اخبارهم، وقوله " لَعَلَّهم يحذرون " . ايجاب على قومهم أَنْ يعملوا باخبارهم ، وذلك يقتضى أَنْ يكون خبر الواحد أو الاثنين حُجَّة فى الشرع ، قال القاضى : هذه الآية لا تدل على وجوب العمل بخبر

---

(١) تفسير البيضاوى ص ٢٣٤ .

الواحد ، لأنَّ الطائفة قد تكون جماعةً يقع بخبرها الحجة ، ولأَنَّ قوله " ولينذروا قومهم " . يصح وان لم يجب القبول، كما أن الشاهد الواحد يلزمه الشهادة ، وإنْ لم يلزم القبول ، ولأنَّ الانذار يتضمن التخويف ، وهذا القدر لا يقتضى وجوب العمل به .

والجواب: أَمَّا قوله الطائفة قد تكون جماعةً ، فجوابه أنا بيَّنا أن كل ثلاثة فرقة ، فلما أوجب الله تعالى أن يخرج من كل فرقة طائفة لزم كون الطائفة، إمَّا اثنين أو واحداً ، وذلك يبطل كون الطائفة جماعة، يحصل العلم بخبرهم .

فإنْ قالوا : إنَّه تعالى أوجب العمل بقول أولئك الطوائف ولعلهم بلغوا فى الكثرة إلى حيث يحصل العلم بقولهم .

قلنا : إنَّه تعالى أوجب على كل طائفة أن يرجعوا إلى قومهم وذلك يقتضى رجوع كل طائفة الى قوم خاص ، ثم انه تعالى أوجب العمل بقول تلك الطائفة وذلك يفيد المطلوب .

وأَمَّا قوله : " ولينذروا قومهم " يصح وان لم يجب القبول ، فنقول إنَّا لا نتمسك فى وجوب العمل بخبر الواحد بقوله " ولينذروا " بل بقوله " لعلهم يحذرون " ترغيب منه تعالى فى الحذر ، بناءً على أَنَّ ذلك الانذار يقتضى ايجاب العمل على وفق ذلك الانذار ، وبهذا الجواب خرج الجوابُ عن سؤاله الثالث، وهو قوله الانذار يتضمن التخويف ، وهذا القدر لا يقتضى وجوب العمل به) (١) .

---

(١) تفسير الرازى ١٦/٢٢٧ ، ٢٢٨ .

فأبى الرازى الا أن يذكر الرأى المخالف بل ويعقد مناظرة بينه وبين من خالفه فى الرأى ويثبت قوله، وهو أن الآية دليل على حجية خبر الآحاد ، وقد اتفق البيضاوى معه فى الرأى غير أن البيضاوى لم يذكر القول المخالف له، وترك ذكر ذلك فى كتابه المرصاد حتى لا يتحول التفسير إلى جدال فى علم الأصول .

خامسا : فى مجال العلوم العقلية :

وأما بالنسبة للعلوم العقلية ، كعلمِ الكلامِ والجدلِ والمنطقِ وغيرها فالبيضاوى أيضاً أستاذ فيها . فألف فى ذلك كتابه "طوالع الأنوار" وكتابه "مصباح الأرواح فى علم الكلام" ، وله أيضا كتاب فى المنطق .

وقد ظهرت هذه العلوم فى تفسيره ظهورا جلياً فمن قرأ تفسيره علم أن البيضاوى له باع فى علم الكلام . فعند تفسير الآية يعرض الحقيقة ويدلل عليها بالمنطق، فيضع لها المقدمات ويستخرج لها النتائج ، وربما رَدَّ بالمنطق على من خالف مذهبه من المعتزلة وغيرهم من أصحاب الفرق . ففى قوله تعالى :

" بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ " . (١)

قال البيضاوى : (ذكر الخير وحده لأنَّه المقضى بالذات ، والشر مقضى بالعَرَض إذْ لا يوجد شَرٌّ جزئى ما لم يتضمن خيراً كلياً ، أو لمراعاة الأدب فى الخطاب... ونبَّه على أنَّ الشرَّ أيضًا بيده لقوله : " إنك على كل شىء قدير ".) (٢)

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٦

(٢) تفسير البيضاوى ص ٧٠ .

والبيضاوى بهذا يرد على من قال أن الشر لا يأتى من الله سبحانه وتعالى، وهم المعتزلة الذين يوجبون فعل الصلاح والأصلح على الله سبحانه وتعالى، وأن العبد يخلق أفعاله الاختيارية بما فى ذلك الايمان وفعل الخير، فالبيضاوى ينفى استدلالهم بالآية " بيدك الخير " ويبين معناه ويرد على زعمهم هذا بقوله " انك على كل شىء قدير " بشىء من الايجاز والألغاز كما هو دأبه، ويتضح مراد البيضاوى عند قراءة كلام الرازى فى الآية لأنه أكثر تفصيلاً من كلام البيضاوى فقال الرازى فى الآية : (... الألف واللام فى الخير يوجبان العموم ، فالمعنى بقدرتك تحصل كل البركات والخيرات ، وأيضاً فقوله " بيدك الخير " يفيد الحصر كأنه قال بيدك الخير لا بيد غيرك ، كما أن قوله تعالى " لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ "[1] أى لكم دينكم أى لا لغيركم، وذلك الحصر ينافى حصول الخير بيد غيره ، فثبت دلالة هذه الآية من هذين الوجهين على أن جميع الخيرات منه ، وبتكوينه وتخليقه وايجاده وابداعه ، إذا عرفت هذا فنقول أفضل الخيرات هو الايمان بالله تعالى ومعرفته ، فوجب أَنْ يكونَ الخير من تخليق الله تعالى لا من تخليق العبد ، وهذا استدلال ظاهر، ومن الأصحاب مَنْ زاد فى هذا التقرير فقال : كل فاعلين فَعلُ أحدهما أشرف وأفضل من فعل الآخر، كان ذلك الفاعل أشرف وأكمل من الآخر، ولا شك أن الايمان أفضل من الخير، ومن كل ما سوى الايمان ، فلو كان الايمان بخلق العبد لا بخلق الله لوجب كون العبد زائداً فى الخيرية على الله تعالى، وفى الفضيلة والكمال ، وذلك كفر

---

(١) سورة الكافرون آية ٦

قبيح فدلت هذه الآية من هذين الوجهين على أن الايمان بخلق الله تعالى .

فإنْ قيل فهذه الآية حجة عليكم من وجه آخر لأنه تعالى لما قال : " بيدك الخير " كان معناه أنه ليس بيدك إلاَّ الخير ، وهذا يقتضى ألاَّ يكون الكفر والمعصية واقعين بتخليق الله .

والجواب أن قوله " بيدك الخير " يفيد أن بيده الخير لا بيد غيره، وهذا ينافى أن يكون بيد غيره، ولكن لا ينافى أن يكون بيده الخير وبيده ما سوى الخير، إلاَّ أنه خص الخير بالذكر، لأنَّ الأمر المنتفع به، فوقع التنصيص عليه لهذا المعنى .

قال القاضى : كل خير حصل من جهة العباد، فلولا أنه تعالى أقدرهم عليه وهداهم إليه لما يمكنوا منه ، فلهذا السبب كان مضافاً إلى الله سبحانه وتعالى، إلاّ أن هذا ضعيف، لأنّ على هذا التقدير يصير بعض الخير مضافاً إلى الله تعالى ، ويصير أشرف الخيرات مضافاً إلى العبد وذلك على خلاف هذا النص) (١) .

حقًا كان كلام البيضاوى مختصرًا أكثر من كلام الرازى، لكنه ذكر مدلول الآية ورد على المخالفين من غير أن يشير أنه يرد على أحد فى أسلوب جامع .

وفى قوله تعالى : " لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ " . (٢)

قال البيضاوى : (لو أراد الله أن يتخذ ولداً كما زعموا لاصطفى مما

---

(١) تفسير الرازى ٨/ ٩٢٨

(٢) سورة الزمر آية ٥

يخلق ما يشاء اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين، ووجوب استناد ما عدا الواجب إليه ، ومن البيّن أن المخلوق لا يماثل الخالق، فيقوم مقام الولد له ثم قرَّر ذلك بقوله : " سبحانه هو الواحد القهار " . فإنَّ الألوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهى تنافى المماثلة، فضلاً عن التوالد لأن كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافى قبول الزوال المحوج إلى الولد) .(١)

وقال الرازى وهو من علماء علم الكلام والمنطق : (المراد من هذا الكلام إقامة الدلائل القاهرة على كونه منزهاً عن الولد، وبيانه من وجوه :

الأول : أنه لو اتخذ ولداً لما رضى إلَّا بأكمل الأولاد وهو الابن، فكيف فنسبتم إليه البنت .

الثانى : أنَّه سبحانه واحد حقيقى، والواحد الحقيقى يمتنع أن يكون له ولد ،

اما أنه واحد حقيقى فلأنه لو كان مركباً لاحتاج إلى كل واحد من أجزائه وجزؤه غيره ، فكان يحتاج إلى غيره والمحتاج الى غيره ممكن لذاته ، والممكن لذاته لا يكون واجب الوجود لذاته .

وأما أن الواحد لا يكون له ولد فلوجوه :

الأول : أن الولد عبارة عن جزء من أجزاء الشيء، ينفصل عنه ثم يحصل له صورة مساوية لصورة الولد ، وهذا إنَّما يعقل فى الشيء الذى ينفصل منه جزء والفرد المطلق لا يقال ذلك فيه .

---

(١) تفسير البيضاوى ص ٦٠٧

الثانى : شرط الولد أن يكون مماثلاً فى تمام الماهية للوالد فتكون حقيقة ذلك الشىء حقيقة نوعية محمولة على شخصين ، وذلك محال، لأنَّ تعيين كل واحدٍ منهما إنْ كان من لوازم تلك الماهية لزم ألاَّ يحصل من تلك الماهية الا الشخص الواحد ، وان لم يكن ذلك التعيين من لوازم تلك الماهية كان ذلك التعيين معلوماً بسبب منفصل ، فلا يكون إلهاً واجب الوجود لذاته ، فثبت أن كونه الهاً واجب الوجوب لذاته يوجب كونه واحداً فى حقيقته . وكونه واحداً فى حقيقته يمنع من ثبوت الولد له . فثبت أن كونه واحداً يمنع من ثبوت الولد .

الثالث : أن الولد لا يحصل إلاّ من الزوج والزوجة، والزوجان لا بُدَّ وأن يكونا من جنس واحد ، فلو كان له ولد لما كان واحداً بل كانت زوجته من جنسه ، وأما أن كونه قهاراً يمنع من ثبوت الولد له ، فلأنَّ المحتاج إلى الولد هو الذى يموت فيحتاج إلى ولدٍ يقوم مقامه ، فالمحتاج إلى الولد هو الذى يكون مقهوراً بالموت ، أما الذى يكون قاهراً ولا يقهره غيره كان الولد فى حَقّه محالاً . فثبت أن قوله " هو الله الواحد القهار " ألفاظ مستعملة على دلائل قاطعة فى نفس الولد عن الله تعالى) . (١)

انظر كيف ظهر علم المنطق والجدل عند كل من الرازى والبيضاوى، النتيجة واحدة ولكن كل منهما استعمل أسلوبه فى الجدل والحجج العقلية فاختلف الأسلوب واتحد الغرض .

---

(١) تفسير الرازى ٢٦/٢٤٢ ، ٢٤٣

سادسا : فى مجال التاريخ :

وأما فيما يتعلق بعلم التاريخ فالبيضاوى مؤرخ ومتمكن فى هذا العلم ، يشهد له كتابه نظام التواريخ الذى ذكر فيه تاريخ العالم منذ أبينا آدم عليه السلام إلى عصر البيضاوى .

وظهر علم التاريخ فى تفسير البيضاوى فكان يذكر أسماء الأعلام والأنساب ويفصلها كأنه واحدٌ منها ، كما كان يخوض فى أخبار الأمم وأحوالها . فإذا عرضت له آية فيها ذكر نسب نبى أو قبيلته أفاض فى ذكر النسب وفَصّل كأنَّه نسبه هو لا نسب ذلك النبى ففى تفسير قوله تعالى : "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ".(١)

قال البيضاوى : (آل ابراهيم إسماعيل وإسحاق وأولادهما ، وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران ابن يصهر بن قاهث ابن لاوى بن يعقوب ، أو عيسى وأمه مريم بنت عمران بن ماثان بن أسعازار بن أبى يود بن يوزن بن بابل بن سالثان بن يوحنا ابن أوشا بن أموزن بن مشكى بن حارفار ابن احاد بن يوتام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشار بن عريد بن سلمون بن ياعر بن يخشون بن عمياذ بن رام بن خضروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام ، وكان بين العمرانيين ألف وثمانمائة سنة).(٢)

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٣

(٢) تفسير البيضاوى ص ٧١

وقال الزمخشرى فى تفسيره : (اسماعيل واسحاق وأولادهما ، وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر ، وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان ... ذرية بعضها من بعض ، يعنى أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض ، موسى وهارون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من إسحاق ، وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران ابن ماثان بن سليمان بن داود بن ايش بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق وقد دخل فى آل إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وامرأة عمران هى امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدة عيسى عليه السلام وهى حنة بنت فاقوذ . وقوله " اذ قالت امرأة عمران " على أثر قوله وآل عمران مما يرجح أن عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى ، والقول الأخير يرجحه أن موسى يقرن بابراهيم كثيراً فى الذكر . فإنْ قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهارون ، ولعمران بن ماثان مريم البتول ، فما أدراك أنّ عمران هذا هو أبو مريم البتول ، دون عمران ابى مريم التى هى أخت موسى وهارون ؟ قلت كفى بكفالة زكريا دليلاً على أنه عمران أبو البتول ، لأنّ زكريا بن اذان وعمران بن ماثان كان فى عصر واحد ، وقد تزوج زكريا بنته ايشاع أخت مريم ، فكان يحيى وعيسى ابنى خالة)[1].

فالبيضاوى ذكر النسب الأنبياء مفصلاً فى حين أنّ الزمخشرى ذكره مجملاً ، غير أن الزمخشرى ناقش النسب وأوضح بالدليل القول الذى يراه راجحاً فكان أكمل من البيضاوى فى ذكر هذه الحقيقة التاريخية وهو تشابه الأسماء فى مريم أم

---

(١) تفسير الزمخشرى ١/ ٤٢٤ .

عيسى عليه السلام ومريم أخت موسى عليه السلام، وعمران والد مريم وعمران، والد موسى، فوضح الزمخشرى اللبس حين أهمله البيضاوى وغفل عنه فكان الزمخشرى فى هذه الحالة أكمل من البيضاوى . ولكن اغفال البيضاوى لهذه الحقيقة لا يجعله جاهلاً بالتاريخ ولكنه غلب على ظنه، أن هذه الحقيقة معلومة لا تحتاج إلى توضيح فى حين أنها مهمة وأساسية فى الآية، لأنَّ اسم السورة تسمى سورة آل عمران .

وفى موضع آخر نجد البيضاوى يهتم بتحقيق الأسماء وبيّنها ويشير إلى أنه اضطلع على كتب التاريخ وعلم ما فيها ، ففى تفسير قوله تعالى : " وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزر أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ "(١) . تحدث البيضاوى عن أبى ابراهيم وما ورد فيه من خلاف فقال : (آزر هو عطفُ بيانٍ لأبيه ، وفى كتب التواريخ أن اسمه تارح، فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب ، وقيل العلم تارح، وآزر وصف معناه الشيخ أو المعوج ، ولَعَلَّ منع صرفه أعجمى حمل على موازنة، أو نعت مشتق من الآزر أو الوزر . والأقرب أنه علم أعجمى على فاعل كغابر وشالخ . وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزومه عبادته أو اطلق عليه بحذف المضاف . وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده أى أتعبد آزر)(٢) .

أما القِصص والروايات فقد كانت قليلة فى تفسيره فهو لا يذكرها كثيراً، خشية التطويل كما بينا فى موقفه من الاسرائيليات .

---

(١) سورة الأنعام آية ٧٤

(٢) تفسير البيضاوى ص ١٨٠

سابعا : فى مجال التصوف :

وأما التصوف فقد ظهر فى تفسيره أيضاً، ففسر بعض الآيات على طريقة الصوفية، فتحدث عن الظاهر والباطن والتفسير الإشارى، فنحا منحا الصوفية وذكر أقوالهم فى تفسير بعض الآيات .

ففى تفسير قوله تعالى : " وإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُم أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً . . . الآيات". (١)

قال البيضاوى : (. . . وإنّ أراد أَنْ يعرف أعدى عدوه الساعى فى اماتته الموت الحقيقى، فطريقه أن يذبح بقرة نفسه، التى هى القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى، ولم يلحقها ضعف الكبر، وكانت معجبة رائعة المنظر غير مذللة فى طلب الدنيا ، مسلمة عن دنسها ، لا سمة بها عن مقابحها، بحيث يصل أثره إلى نفسه ، فتحيا حياة طيبة وتعرب عمّا به ينكشف الحال ، ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارئ والنزاع) . (٢)

قال القشيرى فى لطائف الاشارات فى هذه الآية : (أَنَّ مَنْ أراد حياة قلبه لا يصل إليه إلاّ بذبح نفسه ، فمن ذبح نفسه بالمجاهدات حيّ قلبه بأنوار المشاهدات ، وكذلك مَنْ راد الله حياة ذكره فى الابدال أمات فى الدنيا ذكره بالخمول) (٣)

---

(١) سورة البقرة الآيات من ٦٧ - ٧٣

(٢) تفسير البيضاوى ص ٥

(٣) لطائف الاشارات ١/ ١١١

وفى تفسير سورة المائدة فى قوله تعالى : " إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ . .الآيات" (١)

قال البيضاوى بعد ذكره للروايات التى وردت فى قصة المائدة :

(وعن بعض الصوفية : المائدة ها هنا عبارة عن حقائق المعارف فإنها غذاء الروح كما ان الأطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعلّ الحال أنهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها ، فقال لهم عيسى عليه الصلاة والسلام إنْ حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطّلاع عليها ، فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه ، فسأل لأجل اقتراحهم ، فبيّن الله سبحانه وتعالى أن انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فإنّ السالك إذا انكشف له ما هو أعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالاً بعيداً) (٢) .

وقال فى تفسير قوله تعالى : (والعاديات ضبحاً (١) فالموريات قدحاً (٢) فالمغيرات صبحاً (٣) فأثرن به نقعاً (٤) فوسطن به جمعاً (٥)) .

قال البيضاوى (يحتمل أن يكون القسم بالنفوس العادية أثر كمالهن ، الموريات بأفكارهن أنوار المعارف ، المغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مبدأ أنوار القدس ، فأثرن به شوقاً ، فوسطن به جمعاً من جموع العليّين) (٣)

وذكر الألوسى نفس كلام البيضاوى وأضاف إليه ما نصه :

---

(١) سورة المائدة الآيات ١١٢ - ١١٥

(٢) تفسير البيضاوى ص١٠١

(٣) تفسير البيضاوى ص ٨٠٨

(ومثله ما قيل : أن ذلك قسم بالهمم القالبية التى تعدو فى سبيل الله تعالى خارجاً من جوف اشتياقها صوت الدعاء من شدة العدو، وغاية الشوق بحيث يسمع الروحانيون ضجيج دعائها وتضرعها . . .)(١)

فقد كان البيضاوى صوفيا كما هو واضح من ذكره كلام الصوفية، والقول بالتفسير الاشارى الذى يخرج الآية عن معناها إلى معنى لا يمت إلى الآية ولا إلى التفسير بصلة .

ثامناً : فى مجال علم الفلك :

وأما علم الفلك فالبيضاوى له المام واسع به، وتجلى ذلك فى تفسيره فى كثير من الآيات .

فمثلاً فى تفسير قوله تعالى : " وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ "(٢).

تحدث البيضاوى عن منازل القمر وبينها منزلاً منزلاً فقال :

(وهى ثمانية وعشرون ، السرطان ، البطين ، الثريا ، الدبران ، الهقعة ، الهنعة ، الذراع ، النثرة ، الطرف ، الجبهة ، الزبرة ، الصرفة العواء ، السماك ، الغفر ، الزبانا ، الاكليل ، القلب ، الشولة ، النعائم ، البلدة ، سعد الذابح ، سعد بلع ، سعد السعود ، سعد الأخبية ، فرغ الدلو المقدم ، فرغ الدلو المؤخر ، الرشا وهو بطن الحوت ، ينزل كل ليلة فى واحدة منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنه فاذا كان فى آخر منازله وهو الذى يكون فيه قبيل

(١) روح المعانى ١٠/ ٢٧٨

(٢) سورة يس آية ٣٩

الاجتماع دق واستقوس) .[١]

وجاءت هذه المنازل بهذا الترتيب في تفسير أبي السعود .[٢]

وأمّا الفخر الرازي فقد فَاقَ البيضاوي في هذا المجال وتحدث في هذه الآية وأفاض وخاض في علم الفلك خوض العالم في هذا الفن المتكمن فيه، فتحدث عن سير الشمس ودورانها مقارنة مع حركة القمر ودورانه ، وذكر حركة الكوكبين اليومية والشهرية فقال : (إنّ القمرَ إذا كان على على أفق المشرق أيّام الاستقبال، تكون الشمس في مقابلته على أفق المغرب ، ثم إنّ عند غـــــروب الشمس يطلع القمر ، وعند طلوعها يغرب القمر ، كأنّ لها حركةً واحدةً مع أن الشمس تتأخر عن القمر في ليلة مقداراً ظاهراً في الحس ، فلو كان للقمر حركةٌ واحدةٌ بها يسبق الشمس ولا تدركه الشمس ، وللشمس حركة واحدة بها تتأخر عن القمر ولا تدرك القمر ، لبقي القمر والشمس مدّة مديدة في مكـــان واحد ، لأنّ حركة الشمس كل يوم درجة ، فخلق الله تعالى في جميع الكواكب حركة أخرى غير حركة الشهر والسنة وهي الدورة اليومية وبهذه الدورة لا يسبق كوكب كوكباً أصلاً . الخ) .[٣]

ثم تحدّث عن تعاقب الليل والنهار، وكيفيته من الناحية الفلكية، ثم تحدّث عن استدارة كوكب الأرض واستدارة السماء كذلك ، وتحدّث عن الكسوف والخسوف ثم تحدث عن الكواكب السّيارة الباقية وهي السبعة الباقية من المجموعة الشمسية

---

(١) تفسير البيضاوي ص٣٥٣

(٢) تفسير ابي السعود ٧/١٦٨ .

(٣) تفسير الرازي ٢٦/٧٣

ثم فَصَّلها كوكباً كوكباً وبَيَّن مداراتها بأسلوب علمي مدلل عليه .

كل ذلك أعرض عنه البيضاوى واكتفى بذكر منازل القمر . وعدم ذكره لهذه الأشياء لا تدل على جهله بها ولكنه ضرب الذكر عنها صفحاً خشية التطويل ، فهو بالتأكيد وقف عليها فى تفسير الرازى وفى غيره .

وعلى العموم البيضاوى أودع فى تفسيره كُلَّ هذه العلوم وغيرها ، مما لم تذكره كعلم الحروف وغيرها ، فجاء تفسيره جامعاً لعلوم كثيرة بعضها يتوسع فيه نسبيا والبعض يشير إليه إشارة فقط . فهو قد جمع فنونا تفرقت فى كتب التفسير بالرأى ، لتوسع كل صاحب فن فى فنه فكان البيضاوى وسطاً فى ذلك فجمع من كل فن ثمرة هذه العلوم ، فجاء تفسيره علماً بين كتب التفسير بالرأى ، يجد القارىء فيه مبتغاه فى كل فن قصده ، فعالم اللغة يجد اللغة مبينة أمامه باشتقاقها وشواهدها من الأشعار ، وعالم النحو يجد القواعد النحوية وخلافات النحويين مبينة ، وعالم القراءات يجد كل القراءات أمامه موجهة من العربية مبينة أصول اللغة فيها ، والفقيه يجد ما يرجوه من الأحكام الفقهية وخلافات الفقهاء ، وعالم التاريخ يجد الحقائق التاريخية ، وعالم الفلك يجد فيه علم الفلك فى اختصار ويسر ، وإذا قرأه العوام خرجوا بثمار من العلم مختلفة متنوعة ، وفوائد فى التفسير غزيرة لما فيه من التبيين والايضاح مع الاختصار فى أغلب الأحيان الشىء الذى يبعد الملل ويرغب فى الإطِّلاع .

....

المبحث الثالث

تأثره بمن قبله

تأثر البيضاوى بمن سبقه من المفسرين ، واستفاد من تحقيقاتهم ، ونقل عنهم .

فتأثر بالزمخشرى المتوفى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، ونقل من تفسيره المسمى بالكشاف من حقائق التنزيل ، وتأثر بالفخر الرازى المتوفى سنة ست وستمائة ونقل من تفسيره المسمى بالتفسير الكبير ، أو مفاتح الغيب ، وتأثر بالراغب الأصفهانى المتوفى سنة اثنتين وخمسمائة ، ونقل من تفسيره ، وغيرهم من المفسرين .

فلخص البيضاوى من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعانى والبيان ، ومن تفسير الرازى ما يتعلق بالحكمة والكلام ، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق .

ومن تأثره بتفسير الرازى نذكر مثالاً ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ .... " (١) قسّم الرازى تفسير الآية إلى مسائل فقال : -

(المسألة الأولى : اعلم أنه لما أطنب فى شرح الوعد والوعيد قال لرسوله " فاستقم كما أمرت " وهذه الكلمة كلمة جامعة فى كل ما يتعلق بالعقائد والأعمال ، سواء كان مختصاً به أو كان متعلقاً بتبليغ الوحى وبيان الشرائع ، ولا شك أنّ البقاء على الاستقامة الحقيقية مشكل جداً ، وأنا أضرب لذلك مثلاً يقرب صعوبة

---

(١) سورة هود آية ١١٢

هذا المعنى إلى العقل السليم ، وهو أن الخط المستقيم الذى يفصل بين الظل والضوء جزء واحد لا يقبل القسمة فى العرض ، إلاّ أن عين ذلك الخط مما لا يتميز فى الحس عن طرفيه ، فانه إذا قرب طرف الظل من طرف الضوء اشتبه البعض بالبعض فى الحس ، فلم يقع الحس على ادراك ذلك الخط بعينه بحيث يتميز عن كل ما سواه . فإذا عرفت هذا فى المثال فاعرف مثاله فى جميع أنواع العبودية ،

فأوّلها : معرفة الله تعالى وتحصيل هذه المعرفة على وجه يبقى العبد مصونا فى طرف الاثبات عن التشبيه، وفى طرف النفى عن التعطيل، فى غاية الصعوبة ، واعتبر سائر مقامات المعرفة من نفسك ، وأيضاً فالقوة الغضبية والقوة الشهوانية ، حصل لكل واحدٍ منهما طرفا افراط وتفريط، وهما مذمومان ، والفاصل هو المتوسط بينهما ، بحيث لا يميل إلى أحد الجانبين ، والوقوف عليه صعب ثم العمل به أصعب ، فثبت أن معرفةَ الصراطِ المستقيمِ فى غاية الصعوبة، بتقدير معرفته فالبقاء عليه والعمل به أصعب، ولما كان هذا المقام. فى غاية الصعوبة لا جرم قال ابن عباس: ما نزلت على رسولِ اللّٰه صلى الله عليه وسلم فى جميع القرآن آية أشدّ ولا أشقَ عليه من هذه الآية ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : " شيبتنى هود وأخواتها " . وعن بعضهم قال : (رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت له : روى عنك أنك قلت شيبتنى هود وأخواتها ؟ فقال نعم . قلت وبأى آيةٍ ؟ فقال : " فاستقم كما أمرت " .

المسألة الثانية :

اعلم أن هذه الآية أعظم آية في الشريعة وذلك، لأنّ القرآن لما ورد بالأمر بأعمال الوضوء مرتبة في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيها لقوله : " فاستقم كما أمرت " ولما ورد الأمر في الزكاة بأداء الإبل من الإبل والبقر من البقر وجب اعتبارها وكذا القول في كل ما ورد أمر الله تعالى به وعندي أنه لا يجوز تخصيص النص بالقياس ، لأنه لما دل عموم النص على حكم وجب الحكم بمقتضاه لقوله " فاستقم كما أمرت ". والعمل بالقياس انحراف عنه . .) (١)

وقال البيضاوي في تفسير الآية : (لما بيّن أمر المختلفين في التوحيد والنبوة وأطنب في شرح الوعد والوعيد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما أمر بها، وهي شاملة للاستقامة في العقائد، كالتوسط بين التشبيه والتعطيل، بحيث يبقى العقل مصوناً من الطرفين، والأعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما أنزل، والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوّت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : " شيبتني هود وأخواتها ") . (٢)

ومنها ما جاء في تفسير قوله تعالى " بأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ". (٣) قال الرازي : (يعني أَنَّ البأس الشديد الذي يوصفون به إنَّما يكون إِذا كان بعضهم مع بعض ، فأما اذا قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة ، لأَنَّ الشجاع يجبن

---

(١) تفسير الرازي ١٨/ ٧٠ ، ٧١

(٢) تفسير البيضاوي ص ٣٠٧

(٣) سورة الحشر آية ١٤

والعزيز يذل إذا حارب الله ورسوله).[1]

وقال البيضاوى فى الآية : (أى وليس ذلك لضعفهم وجبنهم، فإنّه يشتد بأسهم إذا حارب بعضهم بعضا، بل لقذف الله الرعب فى قلوبهم، ولأن الشجاع يجبن والعزيز يذل إذا حارب الله ورسوله).[2]

وأما تأثره بالزمخشرى فقد أوردنا لذلك أمثلة فى مصادره من كتب التفسير، ونذكر هنا مثالاً يتبين منه اتباعه لصاحب الكشاف فى النحو والاعراب. ففى تفسير قوله تعالى : " وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ".[3]

قال الزمخشرى : (لولا الأولى امتناعية وجوابها محذوف ، والثانية تحضيضية، وإحدى الفاءين للعطف والأخرى جواب (لولا) لكونها فى حكم الأمر من قبل أن الأمر باعث على الفعل ، والباعث والمحضض من وادٍ واحدٍ ، والمعنى : ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصى : هلّا أرسلت الينا رسولاً محتجين علينا بذلك لما أرسلنا اليهم يعنى ارسال الرسول إليهم إنّما هو ليلزموا الحجة).[4]

وقال البيضاوى (لولا الأولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة فى سياقها) لأنّها إنّما أجيبت بالفاء تشبيها لها بالأمر . مفعول (يقولوا) المعطوف على

---

(١) تفسير الرازى ٢٩/ ٢٩٠

(٢) تفسير البيضاوى ٢/ ٢٢٤

(٣) سورة القصص آية ٤٧

(٤) الكشاف ٣/ ١٨٣

تصديهم بالفاء المعطية معنى السببية المبهمة على أن القول هو المقصود بأن يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وأنه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة. والجواب محذوف والمعنى : لولا قولهم - إذا أصابتهم مصيبة بسبب كفرهم ومعاصيهم - ربنا هلّا أرسلت إلينا رسولاً يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين . وما أرسلناك . أي إنّما أرسلناك قطعاً لعذرهم والزاماً للحجة عليهم) . (١)

وتأثر البيضاوى بالراغب الأصفهانى وأخذ عن تفسيره الكثير .

من ذلك ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ". (٢)

قال الراغب : (.... وفى استعارة الاحاطة أبلغ تشبيه وذاك أن الانسان اذا ارتكب ذنبا فلم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله ، ومعاودة مثله تجعل على قلبه غشاوة فتجر به إلى ارتكاب أكبر منه ، ثم ارتكابه لما هو أكبر منه يطبع على قلبه فيشجعه على المداومة عليه فيصير ذلك عليه خائطاً يمنعه عن رؤية ما وراءه فيرى فى مقابح الذنوب محاسن فيتخبط فى بلايا من دنياه ربما يراها نعماً فيحسب أن لا وراء اللذات الدنيوية ولا بعد التخصيص بقاء وراءه نعمة فهذا معنى احاطت به خطيئته وعلى ذلك دلّ قوله تعالى : " ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ". (٣)

---

(١) تفسير البيضاوى ٢/ ٩٢

(٢) سورة البقرة آية ٨١

(٣) سورة الروم آية ١٠

وقوله : " فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ " (١).

ووجه آخر روى عن السلف - وان كان عائدا الى ما تقدم فالنظر اليهما مختلف - وهو أن السيئة الكفر وذلك عن مجاهد وأبى وائل والربيع فبين تعالى أن من تحرى طريق الكفر ثم استمر مريره فى ترك الاقلاع، إما لترك النظر وإما لشرارة، وإمَّا لشهوة مستولية عليه حتى يصير ذلك كحائط عليه لا خروج له منه، فأولئك أصحاب النار) (٢).

وقال البيضاوى : (وأحاطت به خطيئته أىْ استولت عليه وشملت جملة أحواله، حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شىء من جوانبه وهذا إنَّما يصح فى شأن الكافر لأنَّه غيره، وإنْ لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به لذلك فسرها السلف بالكفر ، وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنباً ولم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو أكبر منه حَتَّى تستولى عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلاً إلى المعاصى مستحسناً إيَّاها معتقدا أنْ لا لذة سواها مبغضاً لمن يمنعه عنها مكذباً لمن ينصحه فيها كما قال تعالى " ثم كان عاقبة الذين أساءوا السُّوأَى أن كذبوا بآيات الله ") (٣).

ومنها ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " ... فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ " (٤).

---

(١) سورة التوبة آية ٧٧

(٢) تفسير الراغب لوحة رقم ٢٠١، ٢٠٢

(٣) تفسير البيضاوى ٣٤/١ه

(٤) سورة البقرة آية ١٤٤.

قال الراغب : (فطر وشطر وشطره ألفاظ متقاربه المعانى ، ففطره معناه انفصل عنه ، فطره أى جانبه ، ومنه الفطرة للقليل المنفصل فى المانع وشطر انفصل ، وتباعد ودار شطور منفصلة الدور ...)(١)

قال البيضاوى : (قيل الشطر فى الأصل لما انفصل عن الشيء من شطره إذا انفصل ودار شطور أى منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه).(٢)

هكذا تأثّر البيضاوى بالمفسرين الذين سبقوه فكما وجدناه ، تارة يتبنى الفكرة ويعبر عنها بأسلوبه وتارة ينقل الكلام كما ورد ، وتارة يوافقهم فى القاعدة النحوية العامة ثم يتوسع فيها ويبين فروعها ومدلولاتها وهكذا ، جمع تفسيره من علم اللغة وعلم الكلام والمنطق وزاد عليها ما أوصله اليه اجتهاده .

....

---

(١) تفسير الراغب لوحة رقم ٢٨٥

(٢) تفسير البيضاوى ١/ ٤٦

المبحث الرابـــع

مـن تـأثـر بـه بعـــده

تأثر بالبيضاوى بعض المفسرين الذين جاءوا من بعده كالنّسفـى المتوفى سنة عشرة وسبعمائة ، وأبى السعود المتوفى سنة اثنين وثمانين وتسعمائة . والألوسى المتوفى سنة سبعين ومائتين وألف وغيرهم .

أمَّا النسفى فقد أخذ من تفسير البيضاوى النكت البلاغية والمعانى الخفية وغير ذلك ، فهو يعتبر ملخصاً من أنوار التنزيل والكشاف ، مثال ذلك قال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى :

" فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ " (١)

(يريد أن ينقض. يدانى أَنْ يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال :

يريد الرمح صَدرأبى بـراء ويعدل عن دماء بنى عقيل

وقال

ان دهرا يلم شملى بجُمْـلٍ لزمان يهم بالاحســان

وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه أو أفعلّ من النقض) (٢).

---

(١) سورة الكهف آية ٧٧

(٢) تفسير البيضاوى ٢/١١

وقال النسفى : (يريد أن ينقض . يكاد يسقط . استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك) [(١)].

فكلام النسفى هو عين كلام البيضاوى غير أنه أسقط منه الاستدلال ببيتى الشعر السابقين ، واستبدل كلمة يدانى عند البيضاوى بكلمة يريد فى يدانى أن يسقط ، ويريد أن يسقط، ولكن ذكر المعنى البلاغى فى الآيـــة وتبيين هو نفس ما ذكره البيضاوى .

ومن تأثير البيضاوى على النسفى ما جاء فى تفسير قوله تعالـــى :
" قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ " [(٢)]. قال البيضاوى : (قابل استعطافه ولطفه فى الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد، فناداه باسمه ولم يقابل يا أبتى بيا بنى، وآخرّه وقدّم الخبر على المبتدأ أو صدره بالهمزة، لانكار نفس الرغبة عن ضرب من التعجب كأنّها مما لا يرغب عنها) [(٣)].

وجاء النسفى بكلام البيضاوى واختصره فقال : (أراغِبٌ أنت عن الهـــتى يا إبراهيم . أى أترغب عن عبادتها فناداه باسمه ولم يقابل يا أبتى بيا بنى وقدم الخبر على المبتدأ لأنّه كان أهم عنده) [(٤)]

ومنها ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا " [(٥)].

---

(١) تفسير النسفى ٣/ ٢١
(٢) سورة مريم آية ٤٦
(٣) تفسير البيضاوى ٢/ ١٧
(٤) تفسير النسفى ٣/ ٣٧
(٥) سورة مريم آية ٦٩

قال البيضاوى : (من كان أعصى وأعتى منهم فنطرحهم فيها . وفى ذكر الأشد تنبيه على أنه تعالى يعفو كثيرا من أهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة ، فالمراد أنه يميز طوائفهم أعتاهم فأعتاهم ويطرحهم فى النار على الترتيب أو يدخل كلا طبقاتها التى تليق به وأيهم مبنى على الضم عند سيبويه، لأنّ حقه أن يبنى كسائر الموصولات لكنه أعرب حملاً على (كل وبعض) للزوم الاضافة وإذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد إلى حقه منصوب المحل بننزعن ......) (١)

وقال النسفى : (أى لنخرجن من كل طائفة من طوائف الغى أعتاهم فأعتاهم، فاذا اجتمعوا طرحناهم فى النار على الترتيب نقدم أولا هم بالعذاب فأولا هم، وقيل المراد بأشد هم عتياً الرؤساء لتضاعف جرمهم، لكونهم ضلالاً ومضلين .

قال سيبويه : أيهم مبنى على الضم لسقوط صدر الجملة التى هى صلته وهو من هو أشد، حتى لو جئ به لأعرب بالنصب ، وقيل أيهم هو أشد، وهذا لأنّ الصلة توضح الموصول وتبينه كما أن المضاف إليه يوضح المضاف ويخصصه، فكما أن حذف المضاف إليه من قبل يوجب بناء المضاف وجب أن يكون حذف الصلة أو شئ منها موجباً للبناء وموضعها نَصْبٌ بنزع) . (٢)

وتأثر شهاب الدين الألوسى بالبيضاوى فى كثير من التحقيقات ونقل عنه لكنه توسع وأرجع مقالات البيضاوى إلى أصولها وذكر أصحابها وقائليها وفصّل فى ما أجمله البيضاوى ففى تفسير قوله تعالى : -

---

(١) تفسير البيضاوى ١٩/٢

(٢) تفسير النسفى ٤٢/٣

" فإن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مريئاً ". (١)

قال البيضاوى :(الضمير للصداق حملاً على المعنى) أو مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة :

كأنه فى الجلد توليع البهق

إذا سئل فقال أردت كان ذاك) وقيل للايتاء، ونفساً تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى ، فان وهبن لكم شيئاً من الصداق عن طيب نفس، لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه يعنى لتضمن معنى التجافى والتجاوز). (٢)

وقال الألوسى : (الضّمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانّه كثيراً ما يشار به إلى المتعدد كقوله تعالى : " قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ". (٣) بعد ذكر الشهوات المعدودة ، وقد روى عن أبى عبيدة أنه قال :

قلت لرؤبة فى قوله :

فيها خطوط من سواد وبلق كأنه فى الجلد توليع البهق

إنْ أردت الخطوط : فقل كأنّها ، وان أردت السواد والبلق فقل كأنّهما فقال : أردت كأنّ ذلك ويلك .

أو للصداق الواقع موقعه صدقاتهن كأنه قيل : - " وآتوا النساء صداقهن - والحمل على المعنى كثير ، ومنه قوله تعالى : " فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ ". (٤) حيث عطف

---

(١) سورة النساء آية ٤

(٢) تفسير البيضاوى ١٠٩/١

(٣) سورة آل عمران آية ١٥

(٤) سورة المنافقين آية ١٠

على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه ، أو للصداق الذى فى ضمن الجمع لأن المعنى آتوا كل واحدة من النساء صداقاً) ،ـ ثم مضى الألوسى فى ذكر الأقوال والرد عليها ثم قال : (نفساً تمييز لبيان الجنس ولذا وحد ، وتوضيح ذلك على ما ذكره بعض المحققين أن التمييز ـ كما قاله النحاة ـ إنْ اتحد معناه بالمميز وجبت المطابقة نحو كرم الزيدون رجالاً،كالخبر والصفة والحال ، وإلاَّ فإنْ كان مفرداً غير متعددٍ وجب افراده نحو:كرم بنو فلان أباً ـ إذ المرادُ أن أصلهم واحد متصف بالكرم فان تعدد والبس وجبخلفه بظاهرـ نحو ـ كرم الزيدون آباءاً ـ إذا أريد أن لكل منهم أباً كريماً،إذ لو أُفرد توهم أنهم من أب واحد ، والغرض خلافه،وان لم يلبس جاز الأمران ومصحح الأفراد عدم الالباس كما هنا لأنَّه لا يتوهم أَنْ لهن نفساً واحدة،ومرجحة أنه الأصل مع خفته ومطابقته لضمير منه وهو اسم جنس،والغرض هنا بيان الجنس، والواحد يدلُّ عليه كقولك : عشرون درهماً ، والمعنى : فإنْ وهبن لكم شيئاً من الصداق متجافياً عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى البذل من شكاسة أخلاقكم وسوء معاملاتكم ، وانَّما أوثر ما فى النظم الكريم دون(فإنْ)وهبن لكم شيئاً منه عن طيب نفس ايذاناً بأنَّ العمدة فى الأمر طيب النفس وتجافيها عن الموهوب بالمرة حيث جعل ذلك مبتدأ وركناً من الكلام لا فضله كما فى التركيب المفروض) (١).

ومن ذلك ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " وإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا " (٢)

---

(١) روح المعانى ٢/١٩٨-١٩٩.

(٢) سورة النساء آية ٣٥

قال البيضاوى : (خلافاً بين المرأة وزوجها أضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجرى ما يدلُّ عليهما واضافة الشقاق إلى الظرف إنَّما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله :

يا سارق الليلة أهل الدار

أو الفاعل كقولهم نَهَارُكَ صائمٌ) .(١)

وقال الألوسى : (شقاق بِيْنِهِما - أى الزوجين ، وهما وإنْ لم يجر ذكرهما صريحا فقد جرى ضمنا لدلالة النشوز الذى هو عصيان المرأة زوجها ، والرجال والنساء عليهما ، والشقاق الخلاف والعداوة واشتقاقه من الشِّق وهو الجانب لأن كلا من المتخالفين فى شقٍّ غير شقّ الآخر، وبَيْنَ من الظروف المكانية التى يقل تصرفها ، وإضافة الشقاق اليها ، اما لاجراء الظرف مجرى المفعول كما فى قوله :

يا سارق الليلة أهل الدار

أو الفاعل كقولهم صام نهاره والأصل شقاقاً بينهما أىأَنْ يخالف أحدهما الآخر، فالملابسة بين الظرف والمظروف نزل منزلة الفاعل أو المفعول وشُبِّه بأحدهما ثم عُوملَ معاملته فى الإضافة إليه) .(٢)

وتأثر أبو السعود بالبيضاوى وظهر ذلك فى تفسيره لكثير من الآيات وخاصةً فى ما يتعلق باللغة والقراءات وتوجيهها والإعراب وغير ذلك، ففى تفسير قوله

---

(١) تفسير البيضاوى ١/ ١١٨

(٢) تفسير الألوسى ٢/ ٢٦

تعالى : "إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ الآية ".(١)

قال البيضاوى : (قرأ حمزة والكسائى وابن عياش عن عاصم بضم القاف - يعنى فى كلمة قرح - والباقون بالفتح ، وهما لغتان كالضَّعف والضُّعف . وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم الألم ، والمعنى إنْ أصابوا منكم يوم أحد فقد أصبتم منهم يوم بدر مثله ، ثم إنَّهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فأنتم أولى بأن لا تضعفوا ، فإنّكم ترجون من الله ما لا يرجون . وقيل : كلا المسين كان يوم أُحد ، فإنّ المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتلك الأيام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقوله :

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر

والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشىء بينهم فتداولوه ، والأيام تحتمل الوصف والخبر ، ونداولها يحتمل الخبر والحال ، والمراد بها أوقات النصر والغلبة) .(٢)

وقال أبو السعود : (القرح بالفتح والضم لغتان كالضَّعف والضُّعف وقد قرىء بهما ، وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها ، وقرىء بفتحتين ، وقيل القرح والقرح كالطَّرد والطُّرد ، والمعنى : إنْ نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ، ثم لم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال ، فأنتم أحق بأنْ لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون ، وقيل كلا المسين كان يوم أُحدٍ فانّ المسلمين

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٠

(٢) تفسير البيضاوى ١/ ٩٩

نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفـا وعشرين رجلاً منهم صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرًا وعقروا عامة خيلهم بالنبل . وتلك الأيام اشارة إلى الأيام الجارية فيما بين الأمم الماضية والآتية كافة لا الى الأيام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم أحد، بل هى داخلة فيها دخـولاً أوليًا والمراد بها أوقات الظفر والغلبة . ونداولها بين الناس . نصرفهـا بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقول من قال :

فيوم علينـا ويـوم لنـا ويوم نساء ويوم نسـر

والمداولة كالمعاورة يقال داولته بينهم فتداولوه أى عاورته فتعاوروه، واسـم الاشارة مبتدأ، والأيام اما صفة له أو بدل منه أو عطف بيان، له فنداولهـا خبره أو خبر فنداولها حال من الأيام والعامل معنى اسم الاشارة أو خبر بعد خبر ، وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للايذان بأن تلك المداولة سنه مسلوكه فيما بين الأمم قاطبة، سابقتها ولاحقتها وفيه ضربٌ من التسلية) (١) .

ويبدو تأثر ابن السعود بالبيضاوى واضحاً جليًا فى معظم التفسير لا يكاد يزيد على قول البيضاوى فمثلاً فى قوله تعالى :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا) (٢) .

قال البيضاوى : (تجامعوهن، وقرأ حمزة والكسائى بالألف وضم التاء فما لكـم عليهن من عدة أيام يتربصن فيها بأنفسهن تعتدونها، تستوفون عددها مـن

---

(١) تفسير أبى السعود ١/٥٦٢ ، ٥٦٣

(٢) سورة الأحزاب آية ٤٩

عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله، أَوْ تعدونَها والاسناد إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق الأزواج، كما أشعر به (فما لكم) وعن ابن كثير تعتدونها مخففاً على ابدال إحدى الدالين بالياء أو على أنه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها، وظاهره يقتضى عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة . وتخصيص المؤمنـــات، والحكم عام ، للتنبيه على أن من شأن المؤمن أن لا ينكح إِلاَّ مؤمنة تخيراً لنطفته، وفائدة ثم ازاحة ما عسى أن يتوهم تراخي الطلاق ريثما تمكّن الاصابة كما يؤثـر فى النسب يؤثر فى العدة)[١].

وقال أبو السعود : (تعتدونها، تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها، وحقيقته عدها لنفسه، وكذلك كلته فاكتاله والاسناد إلى الرجال للدلالة على أَنَّ العدة حق الأزواج كما أشعر به قوله تعالى : (فما لكم) وقُرِئَ تعتدونها علــى ابدال إِحدى الدالين بالتاء ، أو على أنه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها . والخلوة الصحيحة فى حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات، للتنبيه على أن المؤمن من شأنه أن يتخير لنطفته ولا ينكح إِلاَّ مؤمنة، وفائدة ثم ازاحـــة ما عسى أن يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما تمكن الاصابة يؤثر فى العدة كما يؤثر فى النسب)[٢]

هكذا تأثر بعض المفسرين ببعض، واستفاد الخلف من السلف، و فيما يبدو أن تفسير الفخر الرازى والراغب الأصفهانى والزمخشرى أصول اعتمد عليها من جاء بعدهم من أهل التفسير بالرأى ، وكان تفسير البيضاوى يمثل حلقة الوصـل

---

(١) تفسير البيضاوى ٢/ ١١٩

(٢) تفسير ابى السعود ٤/ ٤٢٤ ، ٤٢٥

بين تفسير الرازى والراغب الأصفهانى والزمخشرى، وبين التفاسير المتأخـــرة عنها كالنسفى والألوسى وأبى السعود . فجمع تفسير البيضاوى زبدة التفاسير السابقة وصاغها فى قالب واحد، ليجدها المتأخرون عنه مسبوكة منظمة فأخذوها وأودعوها فى تفاسيرهم، وهنا ننظر قيمة تفسير البيضاوى بالنسبة لكتب التفســير بالرأى المتأخرة عنه . وأمّا لمن يزيد الاطّلاع على التفاسير المتقدمة علــى البيضاوى فسبيله اليها قراءة تفسير البيضاوى، لأنه اختصر طويلها ولخّــص المتشعب منها، وأبعد منها غير المرغوب فيه كالفكر الاعتزالى وغيره من الأفكــار الضالة، وهنا ننظر قيمة تفسير البيضاوى بالنسبة كتب التفسير بالرأى السابقة له . وتلك منزلة تفسيره بين كتب التفسير بالرأى .

. . . .

الفصل الثالث

ميزة تفسيره وقيمته العلمية

وفيه مبحثان

١ - نصره للسنة ورده على الفرق الضالة.
٢ - الحواشي والتعليقات عليه.

الفصل الثالث

ميزة تفسيره وقيمته العلمية

هذا الفصل ينقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول :

نصره للسنة ورده على الفرق الضالة :

تظهر قيمة تفسير البيضاوى العلمية فى نصره للسنة، ورده على الفرق الضالة وأصحاب البدع فقد رد على المعتزلة فى كثير من تأويلاتهم وضلالاتهم، وأثبت قول أهل السنة بالحجة والبرهان، فرد على المعتزلة فى قولهم بالمنزلة بين المنزلتين ، وفى قولهم بانكار الشفاعة ، وفى قولهم بالوجوب على الله تعالى ، وفى قولهم بخلق الأفعال ، وفى قولهم بانكار رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلى غير ذلك من زعاماتهم وافتراءاتهم .

كما رد على الحشوية فى قولهم بعدم عصمة الأنبياء ، ورد على الخوارج فى قولهم بخلود صاحب الكبيرة فى النار ، ورد على الشيعة فى قولهم بولاية على كرم اللهُ وجهه ، وقولهم بعصمة الأئمة من آل البيت وغير ذلك من الأقوال المبتدعة فرد عليها، ودحضها بالأدلة النقلية والعقلية وأوضح سبيل الحق لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وفى ما يلى أمثلة لذلك بشيء من التفصيل :

رده على المعتزلة :

رد البيضاوى على المعتزلة فى قولهم بالمنزلة بين المنزلتين وهى أن مرتكب الكبيرة عندهم فى منزلة بين الايمان والكفر . ففى تفسير قوله تعالى : " يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِى بِهِ كَثِيراً وما يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الفَاسِقِينَ ".(١)

قال البيضاوى : (الفاسق فى الشرع الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث : الأولى التغابى ، وهو أن يرتكبها أحياناً مستقبحاً إياها . والثانية الانهماك وهو يعتاد ارتكابها غير مبالٍ بها . والثالثة الجحود ، وهو أن يرتكبها مستوصباً إيَّاها فإذا شارف هذا المقام وتحطى خططه خلع ربقة الإيمان عن عنقه ولابس الكفر ، وما دام هو فى درجة التغابى أو الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذى هو مسمى الايمان . ولقوله تعالى : " وإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ".(٢)

والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل ، والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسماً ثالثاً نازلاً بين منزلتى المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما فى بعض الأحكام).(٣)

وقول المعتزلة أورده الزمخشرى فى تفسيره فقال : (الفاسق فى الشريعة الخارج على أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أى بين منزلة المؤمن والكافر ، وقالوا إنَّ أوَّل من حَدَّ له هذا الحد : أبو حذيفة

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦

(٢) سورة الحجرات آية ٩

(٣) تفسير البيضاوى ٢٠/١

واصل بن عطاء رضى الله عنه وعن أشياعه . وكونه بين بين أن حكمه حكم المؤمن فى أنه يناكح ويوارث ويغسل وصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين ، وهوكالكافر فى الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته ، وأن لا تقبل له شهادة . ومذهب مالك بن أنس والزيدية أنّ الصلاة لا تجزىء خلفه .

ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة . وقد جاء الاستعمالات فى كتاب الله . " بِئْسَ الإِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ". (١) يريد اللمز والتنابز .

" إِنَّ المُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ". (٢)) (٣)

والحق ما ذهب إليه البيضاوى وهو قول أهل السنة والجماعة، أن كل من كفر فهو فاسق ظالم عاص وليس كل فاسق ظالم عاص كافراً، بل قد يكون مؤمنا . والبيضاوى استدل بقوله تعالى : " وإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُما عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ ". (٤)

قال ابن حزم : (فهذه الآية رافعة للشك جملة فى قوله تعالى، إنّ الطائفة الباغية على الطائفة الأخرى من المؤمنين المأمور سائر المؤمنين بقتالها حتى تفىء إلى أمر الله تعالى أخوة للمؤمنين المقاتلين) وهذا أمر لا يضل عنه إلاّ ضال

---

(١) سورة الحجرات آية ١١

(٢) سورة التوبة آية ٦٧

(٣) تفسير الزمخشرى ١/ ٥٩ - ٦٠

(٤) سورة الحجرات آية ٩ ، ١٠

وهاتان الآيتان حجة قاطعة أيضاً على المعتزلة المسقطة اسم الايمان عن القاتل وعلى كل مَنْ أسقط عن صاحب الكبائر اسم الايمان وليس لأحد أن يقول إِنَّه تعالى انما جعلهم اخواننا إِذا تابوا لأنَّ نص الآية انَّهم إخوان فى حال البغى وقبل الفئة الى الحق) .(١)

وكذلك رد البيضاوى على المعتزلة فى زعمهم أن الشفاعة لا تجوز لأهل الكبائر، وذلك فى تفسير قوله تعالى : " وَٱتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ " .(٢)

قال البيضاوى : (تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لأهل الكبائر، وأجيب بأنَّها مخصوصة بالكفار للآيات والأحاديث الواردة فى الشفاعة، ويؤيده أن الخطاب معهم ، والآية نزلت رداً لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم) .(٣)

وهذا القول أورده الزمخشرى فى تفسير الآية فقال : (فان قلت هل فيه دليل - يعنى نص الآية - على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة ؟ قلت نعم لأنه نفى أن تقضى نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك ، ثم نفى أَنْ تقبل منها شفاعة شفيعٍ ، فعلم أنها لا تقبل للعصاة . فإِنْ قلتَ الضمير فى ولا تقبل منها إلى أى النفسين يرجع ؟ قلت الى الثانية العاصية غير المجزى عنها ، وهى التى لا يؤخذ منها عَدْلٌ ، ومعنى لا تقبل منها شفاعة ؛ ان

---

(١) الفصل فى الملل والاهواء والنحل ٢٣٦/٣

(٢) سورة البقرة آية ٤٨

(٣) تفسير البيضاوى ١٠/١

جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ، ويجوز أن يرجع الى النفس الأولى على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزى عنها شيئاً ولو أعطت عدْلا منها لم يؤخذ منها ".(١)

وأما قول البيضاوى باثبات الشفاعة للعصاة فهو مذهب أهل السنة والجماعة والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة كما قال البيضاوى :
ومن الآيات فى ذلك قوله تعالى : " مَنْ ذا الذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بإِذْنِهِ الآية"(٢) وأثبت الشفاعة بعد الاذن منه تبارك وتعالى . وقوله تعالى : "لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إلاَّ مَنْ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً ".(٣) وقال تعالى "وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالحَقّ ".(٤) وغير ذلك من الآيات .

وأما الأحاديث الواردة فى الشفاعة للعصاة ، منها ما أخرجه مسلم عن طريق نصر بن على عن أبى سعيد قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنَّهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناسا أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجىء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنْهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الجبة تكون فى حميل السيل فقال رجل من

---

(١) الكشاف ٢٧٩/١

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٣) سورة مريم آية ٨٧

(٤) سورة الزخرف آية ٨٦

القوم كأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية)[١]، وغير ذلك من الأحاديث .

وقال النووي نقلاً عن القاضي عياض رحمهما الله : (مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً بصريح قوله تعالى : " يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً "[٢]. وقوله " ولا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى "[٣]. وأمثالها، وبخبر الصادق صلى الله عليه وسلم، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار، واحتجوا بقوله تعالى : " فما تنفعهم شفاعة الشافعين ". وبقوله تعالى " مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ "[٤]. وهذه الآيات في الكفار)[٥]، وفي هذا الرد الكفاية والله ولي التوفيق .

وكذلك رد البيضاوي على المعتزلة في قولهم بالصلاح والأصلح والوجوب على الله تبارك وتعالى، فزعموا أنَّ فعل الصلاح والأصلح واجب على الله تعالى، وأن في الكون أحداثاً تقع على غير مشيئته تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً . قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى :

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الايمان ٣ / ٣٨

(٢) سورة طه آية ١٠٩

(٣) سورة الأنبياء آية ٢٨

(٤) سورة غافر آية ١٨

(٥) شرح النووي لمسلم كتاب الايمان ٣ / ٣٥

" وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ " .(١)

(ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر إلّا أن يشاء الله استثناء من أعم الأحوال أى لا يؤمنون فى حال إلّا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم . وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة) .(٢)

وقال الزمخشرى فى الآية : (إلّا أنْ يشاءَ اللّهُ مشيئة إكراهٍ واضطرارٍ) .(٣)
والزمخشرى قد تبنى رأى المعتزلة فى وجوب فعل الصلاح والأصلح على الله تعالى ولما واجهته هذه الآية جعل المشيئة مشيئة اكراه واضطرار على مذهبهم الباطل فى القول بأنّ الله تعالى له مشيئة اكراه واضطرار . وتعقبه ابن المنير ورد عليه فى ذلك فقال : (بل المراد إلّا أنْ يشاءَ اللهُ منهم اختيار الايمان، فإنّه تعالى لو شاء منهم اختيار الايمان لاختاروه وآمنوا حتماً ، ما شاء الله كان . والزمخشرى بنى على القاعدة الفاسدة فى اعتقاده أن الله تعالى شاء منهم الايمان اختياراً فلم يؤمنوا ، إذ لا يجب على زعم طائفته نفوذ المشيئة ولا يطلقون القول كما أطلقه سلف هذه الأمة وحملة شريعتها من قولهم : ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن ، بل يقولون : إنّ أكثر ما شاءه لم يقع ، إذ شاء الايمان والصلاح من جميع الخلق فلم يؤمن ويعمل

---

(١) سورة الأنعام آية ١١١
(٢) تفسير البيضاوى ١/ ١٨٠
(٣) الكشاف ٢/ ٤٥

الصالح إلّا القليل وقليل ما هم ، وهذا كله مما يتعالى الله عنه علوا كبيراً ، فإذا صدمتهم هذه الآية بالرد تحيلوا فى الموافقة بحمل المشيئة المنفعية على مشيئة القسر والاضطرار ، وإنّما يتمُ لهم ذلك أنْ لو كان القرآن يتبع الآراء ، أمّا وهو القدوة والمتبوع فمن خالفه حينئذٍ وتزحزح عنه فإلى النار وما بعد الحق إلّا الضلال والله الموفق للصواب) (١).

وكذلك ردّ البيضاوى على المعتزلة فى انكارهم رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة وتأويلهم للآيات على غير ظاهرها . ففى قوله تعالى" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ" (٢). قال البيضاوى : (تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عمن سواه ولذلك قدم المفعول ، وليس هذا فى كل الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره . وقيل منتظرة انعامة وردّ بأنّ الانتظار لا يسند إلى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وأن المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر :

وإذا نظرت اليك من ملك ... والبحر دونك زدتنى نعما

بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء) (٣).

وقول المعتزلة أورده الزمخشرى فى تفسيره حين أوّل الآية على غير ظاهرها فقال : (إلى ربها ناظرة": تنظر إلى ربّها خاصة لا تنظر إلى غيره وهذا معنى تقديم المفعول : ألاَ ترى إلى قوله "إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ" (٤).

---

(١) الانصاف على الزمخشرى ٢/٤٦

(٢) سورة القيامة الآيات ٢٢ ، ٢٣

(٣) تفسير البيضاوى ص ٧٧٣

(٤) سورة القيامة آية ١٢

" إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ "(١) ، " إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ "(٢) ، " إِلَيَّ الْمَصِيرُ "(٣) . " وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ "(٤) ، " عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ "(٥) . كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص ، ومعلوم أنهم ينظرون الى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد فى محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم . فإنَّ المؤمنين نظارة ذلك اليوم ، لأنَّهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص ، والذى يصح معه أن يكون من قول الناس أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بى ، تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل :

وإذا نظرن إليك فى ملك ... والبحر دونك زدتنى نعما

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ، ويأوون إلى مقائلهم تقول : عيينتى نويظرة إلى إلله واليكم ، والمعنى : أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلاَّ من ربِّهم كما كانوا فى الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلاَّ إيَّاه)(٦) .

---

(١) سورة القيامة آية ٣٠

(٢) سورة الشورى آية ٥٣

(٣) سورة لقمان آية ١٤

(٤) سورة يس آية ٨٣

(٥) سورة الشورى آية ١٠

(٦) الكشاف ٤/٥٢٩ ، ٥٣٠

والبيضاوى على مذهب أهل السنة والجماعة فى تحقيق رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين فى الآخرة بنص الآية والحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ، ورَدَّ البيضاوى على منكريها من المعتزلة ، والحق أبلج والآية صريحة فى اثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين فى الآخرة وَمَنْ تأولها فى غير معناها الظاهر فهو ضال " والأحاديث الصحيحة كثيرة ومتواترة منها ما رواه مسلم قال :

(عن أبى سعيد الخدرى أَنَّ ناساً فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ، وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ، قالوا لا يا رسول الله قال : ما تضارون فى رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلَّا كما تضارون فى رؤية أحدهما الى آخر الحديث) (١) .

هكذا رَدَّ البيضاوى على المعتزلة وفَنَّد مزاعمهم وضلالاتهم وما ذكرناه أمثلة وقول البيضاوى معهم كثير اكتفينا بذكر ما ذكر .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الايمان ١ /٢٥ ، ٢٦

ردہ على الحشوية :

كما ردَّ البيضاوى على المعتزلة ردَّ أيضاً على الحشوية القائلين بعدم عصمة الأنبياء فدحض مزاعمهم وفند آراءهم ففى قوله تعالى فى قصة آدم :

" وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ".(١)

قال البيضاوى : (وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من وجوه . الأول : أنَّ آدم صلوات الله عليه كان نبياً وارتكب المنهى عنه والمرتكب له عاص .

والثانى : أنَّه جُعِلَ بارتكابه من الظالمين . والظالم ملعون لقوله تعالى : " أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ".(٢)

الثالث : أنه تعالى أسند إليه العصيان والغى فقال : " وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ".(٣)

والرابع : أنه تعالى لقنه التوبة وهى الرجوع عن الذنب والندم عليه.

والخامس : اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة الله تعالى إيّاه بقوله : " وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ".(٤) والخاسر مَنْ يكون ذا كبيرة .

---

(١) سورة البقرة الآيات ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧

(٢) سورة هود آية ١٨

(٣) سورة طه آية ١٢١

(٤) سورة الاعراف آية ٢٣

والسادس : أنه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى .

والجواب من وجوه :

الأول : أنه لم يكن نبياً حينئذٍ، والمدعى مطالب بالبيان .

الثاني : أن النهى للتنزيه، وانَّما سمى ظالماً وخاسرًا لأنه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الأولى له ، وأما إسناد الغى والعصيان إليه ، عصى بأكله من الشجرة ، وغوى ضَلَّ عن المطلوب .

وفى النص عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجرٌ بليغ لأولاده عنها ، وانَّما أمر بالتوبة تلافياً لما فات عنه ، وجرى عليهما جرى معاتبةً له على ترك الأولى ووفاء بما قال للملائكة قبل خلقه .

الثالث : أنه فعله ناسياً لقوله تعالى : " فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ".(١)

ولكنه عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان ولعله وان حُطَّ عن الأمة ولم يحط عن الأنبياء لعظم قدرهم كما قال عليه الصلاة والسلام : (أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل) ،(٢) أو أدَّى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة، كتناول السم على الجاهل بشأنه، لا يقال انه باطل لقوله تعالى : " ما نَهَاكُما رَبُّكُما . . . " و " وَقَاسَمَهُمَا . . . ".(٣) الآيتين لأنه ليس فيهما ما يدلّ على أن تناوله حين ما قاله ابليس فلعَلَّ مقاله أورث فيه ميلاً طبيعيًا، ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى إلى أَنْ نسى

---

(١) سورة طه آية ١١٥

(٢) أخرجه الترمذى فى أبواب الزهد وقال حديث حسن صحيح ٤/ ٢٨

(٣) سورة الاعراف آية ٢٠ ، ٢١

ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه .

الرابع : أنه عليه السلام أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه، فإنه ظن أن النهي للتنزيه أو الاشارة إلى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة إلى النوع كما روى أنه عليه الصلاة والسلام أخذ حريراً وذهباً بيده وقال : (هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثها)(١)

وإنما جرى عليه ما جرى تعظيماً لشأن الخطيئة ليجتنبها أولاده)(٢)

والحق ما ذهب إليه البيضاوي ، وهو أن الأنبياء معصومون، عصمهم الله تعالى من المعاصي وهو قول جمهور العلماء وعليه الاجماع .

قال القاضي عياض : (... فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر والموبقات ، ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي أبو بكر ، ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة)(٣) .

والتفسيرات التي ذكرها البيضاوي في شأن آدم كلها مقبولة يقبلها الشرع والعقل ، من أن آدم عليه السلام أكل من الشجرة ناسياً بدليل الآية أو متأولا ظن أن النهي نهي تنزيه لا نهي تحريم، أو أن ذلك كان قبل النبوة وغير ذلك، ففي كل الأحوال ليس هذا دليل على عدم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والله أعلم .

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب اللباس وقال حديث حسن صحيح ٣/١٢٢

(٢) تفسير البيضاوي ص ٢٦

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ٢/١٤٤ .

رده على الشيعة :

فكما رَدّ البيضاوى على المعتزلة والخوارج والحشوية ردّ أيضاً على الشيعة فى قولهم بولاية على رضى الله عنه، وفى قولهم بعصمة آل البيت رضوان الله عليهم.

ففى القول بولاية على رضى الله عنه قالت الشيعة فى قوله تعالى : "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ".(١) إِنَّ الآية تدلّ على امامة على رضى الله عنه قال الطوسى : (واعلم أن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد النبى بلا فصلٍ .

ووجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولى فى الآية بمعنى الأولى والأحق، وثبت أيضاً أن المعنى بقوله " والذين آمنوا " أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإذا ثبت هذان الأصلان دل على إمامته ، لأنّ كل من قال : أن معنى الولى فى الآية ما ذكرناه قال انها خاصة فيه ، وَمَنْ قال باختصاصها به (عليه السلام) قال المراد بها الامامة).(٢)

وقال البيضاوى فى الرّد عليهم : (لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها ، وانما قال وليكم الله ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله على الأصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع) " والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة "، صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى الاسم أو بدل منه ويجوز

---

(١) سورة المائدة آية ٥٥

(٢) تفسير الطوسى ٣/٥٤٩

رفعه ونصبه على المدح . " وهم راكعون " متخشعون فى صلاتهم وزكاتهم ، وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون أى يؤتون الزكاة فى حال ركوعهم فى الصلاة ، حرصاً على الاحسان ومسارعة اليه . وهى نزلت فى على رضى الله تعالى عنه حين سأله سائل وهو راجع فى صلاته فطرح له خاتماً . واستدل بها الشيعة على إمامته زاعمين أن المراد بالولى المتولى للأمور والمستحق للتصرف فيها، والظاهر ما ذكرناه مع أن حمل الجمع على الواحد أيضاً خلاف الظاهر، وان صحّ أنه نزل فيه فلعله جيئ بلفظ الجمع لترغيب الناس فى مثل فعله ، فيتدرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلاً على أن الفعل القليل فى الصلاة لا يبطلها وأن صدقة التطوع تسمى زكاة) (١) .

ورَدُّ البيضاوى رَدٌّ مقنعٌ وداحض للحجة من عدة وجوه :

أولا : أنه تعالى بعد أن نهى عن موالاة الكفار ذكر من هو أحق بالموالاة فقال : " انما وليكم الله ورسوله الذين آمنوا " ، ثم ذكر بعض صفات المؤمنين الذين هم أهل للولاية فقال : " الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون " .

ثانيا : أنَّ معنى " راكعون " متخشعون فى صلاتهم، ثم ذكر أنها مخصوصة بصيغة التضعيف فقال : (قيل هو حال مخصوصة بيؤتون) ثم ذكر القول بأنها نزلت فى عليٍّ، وأورده أيضا بصيغة التضعيف والشك فى الأثر فقال : (وان صحّ أنه نزل فيه .. الخ)

والحقيقة أن الأثر أخرجه الطبرى فى تفسيره وفى سنده غالب بن عبيد الله

---

(١) تفسير البيضاوى ١/ ١٥٤

العقيلى الجزرى وهو منكر الحديث متروك (١).

ثالثاً : ان صحت الرواية فى أن الآية نزلت فى على رضى الله عنه فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجيئ بلفظ الجمع للترغيب فى مثل ذلك الفعل .

رابعاً : الخلاف فى معنى الولاية فقد وردت فى لغة العرب معان كثيرة للولاية فجاءت بمعنى تولى الأمور وتدبيرها وبمعنى النصرة وبمعنى الامارة وغير ذلك جاء فى لسان العرب فى الحديث عن المولى :

(هو اسم يقع على جماعةٍ كثيرةٍ : فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار ، وابن العم ، والحليف ، والعقيد ، والصهر ، والعبد والمعتق والمنعم عليه ، ثم قال - وقد تختلف مصادر هذه الأسماء ، فالولاية بالفتح فى النسب والنصرة والعتق ، والولاية بالكسر فى الإمارة ، والولاء فى المعتق والموالاة مَنْ والى القوم) (٢).

فليس هناك دليل على حملها على معنى الامامة أو الامارة لا سيما أنها جاءت فى الآية بصيغة الجمع ، وبهذا فان تفنيد البيضاوى لدعوى الشيعة صائب ومقنع .

والحديث فى ذلك طويل وقد تمسك الشيعة أيضاً بحديث " مَنْ كنت مولاه فعلى مولاه " والحديث أخرجه الترمذى (٣) وصححه ، ولكن معنى الحديث

---

(١) لسان الميزان ٤/٤١٤

(٢) لسان العرب ١٥/٤٠٩

(٣) سنن الترمذى كتاب المناقب ٥/٦٣٣

أن الولاية ولاية الاسلام ، وأن الولاء له كما في قوله تعالى : " ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ".(١) وكما في قوله تعالى : " وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ".(٢) وهي ولاية عامة يدخل فيها كلّ المؤمنين .

وردّ البيضاوي على الشيعة أيضاً في قولهم بعصمة آل البيت وأن اجماعهم حجة ، جاء ذلك في تفسير قوله تعالى : " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ".(٣)

فقد أورد قولَ الشيعةِ الطوسيُّ في تفسيره فقال : (واستدل أصحابنا بهذه الآية على أنّ في جملة أهل البيت معصوماً لا يجوز عليه الغلط، وان اجماعهم لا يكون إلا صواباً بأن قالوا ليس يخلو ارادة الله لاذهاب الرجس عن أهل البيت من أن يكون هو ما أراد منهم من فعل الطاعات واجتناب المعاصي ، أو يكون عبارة عن أنَّه أذهب عنهم الرجس بأنْ فعلَ لهم لطفاً اختاروا عنده الامتناع عن القبائح ، والأوَّلُ لا يجوز أن يكون مراداً ، لأن هذه الارادة حاصلة من جميع المكلفين ، فلا اختصاص لأهل البيت في ذلك ولا خلاف أن الله تعالى خص بهذه الآية أهل البيت بأمر لم يشركهم فيه غيرهم، فكيف يحمل على ما يبطل هذا التخصيص، ويخرج الآية من أن يكون لهم

---

(١) سورة محمد الآية ١١

(٢) سورة التوبة آية ٧١

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٣

فيها فضيلة ومزية على غيرهم ؟ على أن لفظة انما تجرى مجرى ليس ، وقد دللنا على ذلك فى ما تقدم وحكيناه عن جماعة من أهل اللغة كالزجاج وغيره، فيكون تلخيص الكلام : ليس يريد الله إلاّ اذهاب الرجس على هذا الحدّ عن أهل البيت ، فدل ذلك على أن اذهاب الرجس قد حصل فيهم ، وذلك يدل على عصمتهم ، وإذا ثبت عصمتهم ثبت ما أردناه)[(١)] .

وقال البيضاوى فى الردّ عليهم : (وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلىّ وابنيهما رضى الله عنهم لما روى أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرطٌ مرحلٌ من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علىٌّ فأدخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ثم قال إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت[(٢)] والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف ، لأنّ التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والحديث يقتضى أنهم أهل البيت لا أنه ليس غيرهم)[(٣)]

والحق ما ذهب إليه البيضاوى إذْ ليس فى الآية دليل على عصمتهم ولا أنّ اجماعهم حجة ، وأهل البيت علىّ وفاطمة والحسن والحسين وغيرهم كأزواج النبى صلى الله عليه وسلم وأولاده وأعمامه المؤمنين وغيرهم ممن انتمى إلى النبى وهو مؤمن لا تخص على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله

---

(١) تفسير الطوسى ٨/ ٣٠٨

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل ٥/ ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٣) تفسير البيضاوى ص ٥٥٧

عنهم وحدهم . والحديث كما قال البيضاوى ينص على أنهم من أهل البيت ولا ينفى ما عداهم .

هكذا يرد البيضاوى على أهل الفرق ويفنّد مزاعمهم وآراءهم بالحجج العقلية والنقلية فتبدو من ذلك ميزة تفسيره وقيمته العلمية .

....

التعليقات والحواشي عليه

تبدو قيمة تفسير البيضاوى العلمية في اهتمام العلماء به وانكبابهم عليه بالحواشى والتعليقات، حتى فاقت تلك الحواشى والتعليقات المائة،

ذلك لما وجدوه فيه من مادةٍ علميةٍ غزيرةٍ وعبارةٍ موجزةٍ جامعةٍ ، وجمع لعلوم متنوعة وآراء في فنون جمة، فحاول العلماء شرح تلك العلوم، ومناقشة تلك الآراء وفك العبارات المجملة، وكشف عن ما تحويه من نكت وعلوم، فكأنهم يتنافسون فى الحواشى والتعليق عليه، الشىء الذى أكثر من عدد الحواشى والتعليقات فوجد قُرّاء تفسير البيضاوى علوما كثيرة فى الحواشى والتعليقات ، وقد جمع منها صاحب كتاب كشف الظنون الكثير وترك الكثير، فقال عند ذكره لتلك الحواشى : (ثم إنَّ هذا الكتاب رزق من عند الله سبحانه وتعالى بحسن القبول عند جمهور الأفاضل والفحول ، فعكفوا عليه بالدرس والتحشية فمنهم مَنْ علق تعليقه على سورة منه ، ومنهم مَنْ حشى تحشية تامة ومنهم مَنْ كتب على بعض مواضع منه أما الحاشية التامة فكثيرة منها :

حاشية

العالم الفاضل محى الدين محمد بن الشيخ مصلح الدين مصطفى القوجوى المتوفى سنة احدى وخمسين وتسعمائة ، وهى أعظم الحواشى فائدة وأكثرها نفعا وأسهلها عبارة ، كتبها أولا على سبيل الايضاح والبيان للمبدىء فى ثمان مجلدات ثم استأنفها ثانيا بنوع تصرف فيه وزيادة عليه فانتشر هاتان النسختان وتلاعب بهما أيدى النساخ حتى كاد لا يفرق بينهما . ولبعض

الفضول منتخب تلك الحاشية ولا يخفى أنها من أعز الحواشى وأكثرها قيمة واعتبارا وذلك لبركة زهده وصلاحه .

وحاشـــــية

العالم مصلح الدين مصطفى بن ابراهيم المشهور بابن التمجيد معلم السلطان محمد خان الفاتح وهى مفيدة جامعة أيضا لخصها من حواشى الكشاف فى ثلاث مجلدات .

وحاشـــــية

القاضى الفاضل زكريا بن محمد الأنصارى المصرى المتوفى سنة ستة وعشرين وتسعمائة وهى فى مجلد سماها فتح الجليل ببيان خفى أنوار التنزيل . أولها : " الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب . . " نبه فيها على الأحاديث الموضوعة فى آخر السور .

وحاشـــــية

الشيخ جلال الدين بن عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى المتوفى سنة احدى عشر وتسعمائة وهى فى مجلد سماه نواهد الأبكار وشواهد الأفكار .

وحاشـــــية

الفاضل أبى الفضل القرشى الصديقى الخطيب المشهور بالكازرونى المتوفى سنة خمس وأربعين وتسعمائة وهى حاشية لطيفة فى مجلد أورد فيها من الدقائق والحقائق ما لا يحصى أولها :

" الحمد لله الذى أنزل آيات بينات محكمة " .

وحاشيــــــــة

شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني المتوفى سنة خمس وسبعين وسبعمائة في مجلد أيضا أولها : " الحمد لله الذى وفقنا للخوض . . . الخ ".

وحاشيــــــــة

العالم الفاضل محمد بن جمال الدين بن رمضان الشرواني في مجلد يـــن أولهما : " قال الفقير بعد حمد الله العليم العلام. الخ ".

وحاشيــــــــة

الشيخ الفاضل جمال الدين اسحاق القراماني المتوفى سنة ثلاث وثلاثـــين وتسعمائة وهى حاشية مفيدة جامعة .

وحاشيــــــــة

العالم المشهور بروشـــني الآيـد يــني .

وحاشيــــــــة

الشيخ محمود بن الحسيني الأفضل الحاذ قي الشهير بالصاد قي الكيلانـــي المتوفى في حدود سبعين وتسعمائة وهى من سورة الأعراف الى آخر القرآن سماها - هداية الرواة الى الفاروق المداوى للعجز عن تفسير البيضاوى - وفرغ من تحريرها سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة .

وحاشيــــــــة

الشيخ بابا نعمة الله بن محمد النخجواني المتوفى في تسعمائة

وحاشـــــية

العالم مصطفى بن شعبان الشهير بالسروري المتوفى سنة تسع وستين وتسعمائة وهي كبرى وصغرى أول الكبرى " الحمد لله الذي جعلني كشاف القرآن . الخ"

وحاشـــــية

المولى الشهير بمناوعوض المتوفى سنة أربع وتسعين وتسعمائة وهي في نحـــو ثلاثين مجلدا .

وحاشـــــية

الشيخ ابي بكر بن أحمد بن الصائغ الحنبلي المتوفى سنة أربع عشرة وسبعمائـــة وسماه ـ الحـــام الماضي في ايضاح غريب القاضي ـ شرح فيه غريبـه وضم اليه فوائد كثيرة .

وأما التعليقات والحواشي الغير تامة فكثيرة جدا فنذكر منها ما وصـــل الينا خبره ونقدم الأشهر فالأشهر منها :

حاشـــــية

المولى المحقق محمد بن فرامرز الشهير بملا خسرو المتوفى سنة خمس وثمانـين وثمانمائة وهي من أحسن التعليقات عليه بل أرجحها الى قوله سبحانه وتعالـى " سيقول السفهاء " وذيلها الى تمام سورة البقرة لمحمد بن عبد الملك البغدادي (الحنفي المتوفى بدمشق سنة ست عشر والف ذكره خلاصة الأثر) الفه ســـنة اثنى عشرة والف أوله الحمد لله هادي المتقين .

وحاشـــــية

العالم الفاضل نور الدين حمزة بن محمود القراماني المتوفى سنة احدى وسبعين وثمانمائة وهي على الزهراوين سماها " تقشير التفسير " .

وتعليقـــــــــة

سنان الدين يوسف البردعي الشهير بعجم سنان المحشي لشرح الفرائـــض كتبها الى قوله سبحانه " وما كانوا يفعلون ". وهي كالخسروية حجما عـبر فيها عن ملا حمزة بالأستاذ الأوسط وعن ملا خسرو بالأستاذ الأخير أولـــه :
" الحمد لله الذى نور قلوبنا ".

وحاشـــــــية

الفاضل المحقق عصام الدين بن ابراهيم بن محمد بن عربشاة الاسفرايـــنى المتوفى سنة ثلاث واربعين وتسعمائة وهى مشحونة بالتصرفات اللائقة والتحقيقات الفائقة من أول القرآن الى آخر الأعراف ومن أول سورة النبأ الى آخر القــرآن أهداها الى السلطان سليمان خان أوله :
" الحمد لله الذى عم بارفاد ارشاد الفرقان .. الخ ".

وحاشـــــــية

المولى العلامة سعد الله بن عيسى الشهير بسعدى أفندى المتوفى سنة خمسة وأربعين وتسعمائة وهى من أول سورة هود الى آخر القرآن ، وأما التى وقعت على الأوائل فجمعها ولده بير محمد من الهوامش فألحقها الى ما علقه وفيهـا تحقيقات لطيفة ومباحث شريفة لخصها من حواشي الكشاف وضم اليها ما عنـده من تصرفاته المسلمة فوقع اعتماد المدرسين عليها ، ورجوعهم عند البحـــث والمذاكرة اليها وقد علقوا عليها رسائل لا تحصى .

وحاشـــــية

الفاضل سنان الدين يوسف بن حسام المتوفى سنة ست وثمانين وتسعمائة، وهى أيضا حاشية مقبولة من أول الأنعام الى آخر الكهف ، وعلق على سورة الملك والمثر والقمر وألحقها وأهداها الى السلطان سليم خان الثانى .

وحاشـــــية

المولى محمد بن عبد الوهاب الشهير بعبد الكريم زادة المتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة وهى من أول القرآن الى سورة طه ولم تنتشر .

وتعليقـــــة

المولى مصطفى بن محمد الشهير ببستان أفندى المتوفى سنة سبع وسبعين وتسعمائة وهى على سورة الأنعام خاصة .

وتعليقـــــة

المولى محمد بن مصطفى بن الحاج حسن المتوفى سنة احدى عشر وتسعمائة وهى أيضا على سورة الأنعام.

وتعليقـــــة

العالم الفاضل مصلح الدين محمد اللارى المتوفى سنة سبعة وسبعين وتسعمائة وهى الى آخر الزهراوين مشحونة بالمباحث الدقيقة .

وتعليقـــــة

نصر الله الرومى

وتعليقـــــة

الشيخ الأديب غرس الدين الحلبى الطبيب .

وتعليقـــــــة

المحقق الملا حسين الخلخالى الحسينى من سورة يسن الى آخر القرآن أولها : " الحمد لله الذى توله العرفاء فى كبرياء ذاته ".

وتعليقـــــــة

الشيخ محى الدين محمد الاسكليبى المتوفى سنة اثنين وعشرين وتسعمائة .

وتعليقـــــــة

محى الدين محمد بن القاسم الشهير بالأخوين المتوفى سنة أربع وتسعمائـــة وهى على الزهراوين .

وتعليقـــــــة

السيد أحمد بن عبد الله القريمى المتوفى سنة خمسين وثمانمائة وهى الى قريب من تمامه .

وتعليقـــــــة

الفاضل محمد بن كمال الدين التاشكندى على سورة الأنعام أهداها الـــى السلطان سليم خان .

وتعليقـــــــة

المولى زكريا بن بيرم الانقراوى المتوفى سنة احدى وألف على سورة الأعراف.

وتعليقـــــــة

المولى محمد بن عبد الغنى المتوفى سنة ستة وثلاثين وألف الى نصف البقرة فى نحو خمسين جزءا .

وتعليقـــــــة

الفاضل محمد أمين الشهير بابن صدر الدين الشروانى المتوفى سنة عشريـــن

وألف وهى الى قوله تعالى " الم ذلك الكتاب ". أورد عبارة البيضاوى تماما بقوله وبدأ بما بدأ به الصفدى فى شرح لامية العجم وهى قوله " الحمد لله الذى شرح صدر من تأدب .. " .

وتعليقة

المولى هداية الله العلائى المتوفى سنة تسع وثلاثين وألف .

وتعليقة

الفاضل محمد الشرانشى وهى على جزء النبأ .

وتعليقة

الفاضل محمد أمين الشهير بأمير بادشاة البخارى الحسينى نزيل مكة وهى الى سورة الأنعام.

وتعليقة

الفاضل محمد بن موسى البسنوى المتوفى سنة ستة وأربعين وألف وهى الى آخر سورة الأنعام كتبها على طريق الايجاز بل على سبيل التعمية والألغاز أولها : "الحمد لله الذى فضل بفضله العالمين على الجاهلين " .

وتعليقة

الفاضل المشهور بالعلائى ابن محبّى الشيرازى" علاء الدين على بن محى الدين محمد المتوفى سنة خمسة واربعين وتسعمائة وهى على الزهراوين أولها : " الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ". فرغ منها فى رجب سنة خمس وأربعين وتسعمائة وسماها : " مصباح التعديل فى كشف أنوار التنزيل ".

وتعليقـــــة

المولى أحمد بن روح الله الأنصارى المتوفى سنة تسع وألف وهى الى آخـر الأعـراف .

وتعليقـــــة

محمد بن ابراهيم الحنبلى الحلبى المتوفى سنة احدى وسبعين وتسعمائة .

وصنف الشيخ الامام محمد بن يوسف الشامى مختصرا سماه :

(التحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوى صاحب الكشاف) .

أوله : " الحمد لله الهادى للصواب " .

والشيخ عبد الرؤوف المناوى خرج أحاديثه فى كتاب أوله : " الله أحمد أن جعلنى من خدام أهل الكتاب " .

وسماه : (الفتح السماوى بتخريج أحاديث البيضاوى) .

وممن علق عليه كمال الدين محمد بن محمد بن أبى شريف القدسى المتوفى سنة ثلاثة وتسعمائة .

والشيخ قاسم بن قطلبوقا الحنفى المتوفى سنة تسع وسبعين وثمانمائة كتب الى قوله سبحانه وتعالى : " فهم لا يرجعون " .

والعلامة السيد الشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى سنة ست عشـــرة وثمانمائة ذكره السخاوى نقلا عن سبطه .

ومن التعليقات عليه مع الكشاف وتفسير أبى السعود ، تعليقة الشيخ رضى الدين محمد بن يوسف الشهير بابن أبى اللطف القدسى المتوفى سنة ثمان وعشريـن وألف وهى فى مجلد ضخم أوله " الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب " .

علقها فى درسه عند الصخرة . الى آخر الأنعام فبيضها وأرسلها الى المولـــى أسعد المفتى .

ومختصر تفسير البيضاوى لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بأم الكاملية الشافعى القاهرى المتوفى سنة أربع وسبعين وثمانمائة).[1]

وأما صاحب كتاب ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون فقد أورد تسعاً وستين حاشية وشرحاً وتعليقاً زيادة على ما أورده صاحب كشف الظنون وهى كالآتى :-

١ - شرحه جمال الدين عبد الرحيم بن حسن الأسنوى الشافعى المتوفى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة .

٢ - شرحان على أنوار التنزيل مطولا ومختصرا لكمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن المصرى المعروف بامام الكاملية المتوفى سنة أربع وسبعين وثمانمائة .

٣ - شرح خطبته لبدر الدين حسين بن الخواجة شهاب الدين الكيلانى الشافعى المعروف بابن قاوان المتوفى بمكة سنة تسع وثمانين وثمانمائة .

٤ - شرح القاضى عمر بن عبد الله الرومى الحنفى الى آخر سورة آل عمران فى مجلد وتكملة هذا الشرح من سورة الاسراء الى آخر القرآن لعلى بن محمد الدمشقى الصالحى المعروف بالسليمى المتوفى سنة مائتين وألف .

٥ - حاشية لعز الدين بن جماعة محمد بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الكنانى الشافعى المتوفى سنة تسع عشرة وثمانمائة .

٦ - حاشية على شرح العبرى لابن جماعة أيضا .

---

(١) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ١/١٨٨/١٩٤ .

٧ - حاشية لسيف الدين محمد بن محمد بن عمر بن قطلبوقا الحنفى شيخ السيوطى المتوفى سنة سبعين وثمانمائة .

٨ - حاشية لسرى الدين محمد بن ابراهيم الدرورى المصرى الحنفى المعروف بابن الصائغ المتوفى سنة ست وستين وألف .

٩ - حاشية لابن هلال الحنفى محمد بن على .

١٠ - حاشية للقاضى عبد الحليم بن الشيخ نصوح الرومى الحنفى المتوفى سنة ثمان وثمانين وألف على الزهراوين وسورة النساء .

١١ - حاشية لنور الدين بن صالح الأحمد أبادى الهندى الحنفى المتوفى سنة خمس وخمسين ومائة وألف .

١٢ - حاشية للقاضى محمد بن يوسف الحميدى المعروف بجثى المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وألف .

١٣ - حاشية للصدر عبد الله بن محمد الرومى المعروف بالتونى جوق زادة المتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف .

١٤ - حاشية لمحى الدين محمد بن محمد بن محمد البردعى التبريزى المتوفى سنة سبع وعشرين وتسعمائة .

١٥ - حاشية البسمل هو الحاج أكبر نواب الشيرازى المتخلص ببسمل صاحب كتاب بحر اللالى .

١٦ - حاشية البلقينى هو القاضى بدر الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشافعى المتوفى سنة تسعين وثمانمائة .

١٧ - حاشية لمحمد بن محمد بن محمد المغربي المالكي المعروف بالبليدى المتوفى سنة ست وسبعين ومائة وألف .

١٨ - حاشية للحافظ أمان الله بن نور الله بن حسين البنارسي الهندى الحنفي المتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف .

١٩ - حاشية البوريني بدر الدين حسن الدمشقي المتوفى سنة أربع وعشرين وألف .

٢٠ - حاشية لزين الدين عبد الرحمن بن يوسف بن علي البهوتي المصرى الحنبلي المتوفى سنة تسع وثمانين وألف .

٢١ - حاشية لفتح الله بن محمود بن محمد العمرى الحلبي المعروف بالبيلوني الشافعي المتوفى سنة اثنين وأربعين وألف .

٢٢ - حاشية لسيف الدين محمد بن محمد بن عمر التركي المصرى الحنفي المتوفى سنة احدى وثمانين وثمانمائة .

٢٣ - حاشية لمحمد بن الحاج حسن الرومي الحنفي المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة .

٢٤ - تعليقة لعلاء الدين الحصكفي محمد بن علي الدمشقي المتوفى سنة خمس وستين وألف .

٢٥ - حاشية لمحمد بن ابراهيم الشهير بالخطيب الوزيرى المالكي المتوفى سنة احدى وتسعين وثمانمائة في مجلد أوله " الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب " .

٢٦ - حاشية لعلي بن صادق بن محمد بن ابراهيم الداغستاني الشهير بالشماخي

الحنفى المدرس بدمشق المتوفى بها سنة تسع وتسعين ومائة وألف .

٢٧ - حاشية دباغزادة على جزء النبأ . هو شيخ الاسلام الرومى محمد صاحب التبيان .

٢٨ - حاشية الداماد ، هو القاضى حسن بن أحمد الزعفرانبولى الرومى الحنفى المتوفى ببروسة سنة ثلاث عشرة ومائة وألف .

٢٩ - حاشية السفرحلانى ، هو عبد الرحمن بن عمر بن ابراهيم الدمشقى الحنفى المتوفى سنة خمسين ومائة وألف .

٣٠ - حاشية داماد وانى ، مصطفى بن عبد الله الكردى المدرس المتوفى ببروسة ثمان وتسعين وألف .

٣١ - حاشية السمرقندى ، هو الخواجة أبو القاسم .

٣٢ - حاشية السندى ، هو نور الدين محمد بن عبد الهادى الحنفى نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف .

٣٣ - حاشية السيالكوتى هو منلا عبد الحكيم الهندى الحنفى المتوفى سنة سبع وستين وألف .

٣٤ - حاشية للشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى سنة ست عشرة وثمانمائة .

٣٥ - حاشية لمحمد بن جمال الدين بن رمضان الشروانى السكرى فى أربع مجلدات (من كتب الخديوية) .

٣٦ - حاشية الشروانى هو نور الدين نور الله بن محمد رفيع المدرس ببروسة المتوفى بها سنة خمس وستين وألف .

٣٧ - حاشية الشروانى ، هو الفاضل اسماعيل بن عبد الله الحنفى نزل مكة

المتوفى سنة اثنين وأربعين وتسعمائة .

٣٨ - حاشية الصيامى بن ولى ، هو قاضى الخيرة يولى الرومى الحنفى المتوفى سنة احدى وسبعين وتسعمائة .

٣٩ - حاشية طاشكرى زادة ، هو الصدر كمال الدين أحمد بن عصام الدين أحمد الرومى الحنفى المتوفى سنة ثلاثين وألف الى سورة الكهف .

٤٠ - حاشية الطاشكندى هو محمد كمال الدين الشاشى الفركندى الحنفى النقشبندى نزيل الروم المتوفى سنة ثمانين وتسعمائة .

٤١ - حاشية الظهورى ، هو القاضى صالح بن اسحاق القرة باغى الشروانى الأصل الرومى المتوفى سنة ثلاث وسبعين وألف .

٤٢ - حاشية العاملى هو بهاء الدين محمد بن حسين الهمدانى الشيعى صاحب كتاب تشريح الأفلاك .

٤٣ - حاشية عرب زادة ، هو القاضى محمد عبد الواعظ محمد الانطاكى الرومى المتوفى سنة تسع وستين وتسعمائة .

٤٤ - حاشية العرض ، هو أبو الوفاء محمد بن عمر الحلبى الشافعى المتوفى سنة احدى وسبعين وألف .

٤٥ - حاشية العشاقى ، هو القاضى عبد الباقى بن عبد الرحيم الرومى الحنفى المتوفى سنة تسعين وألف .

٤٦ - حاشية عضد الدين عبد الرحمن بن يحيى بن يوسف المصرى الحنفى المتوفى سنة ثمانين وثمانمائة .

٤٧ - حاشية عناية الله الوابكنى البخارى الحنفى المشهور باخوند المتوفى سنة

ست وسبعين ومائة وألف ، من أوله الى آخر سورة البقرة وعلى تمـــام جزء النبأ .

٤٨ - حاشية العينتابى ، هو محمد بن حمزة الحنفى نزيل دمشق المتوفى سنة احدى عشر ومائة وألف .

٤٩ - حاشية العزى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الله صاحب البحر المبتغى .

٥٠ - حاشية الفكارى ، هو الشريف مهدى الشيرازى المتوفى سنة سبع وخمسين وتسعمائة .

٥١ - حاشية القرة باغى ، هو محمد بن على الرومى بازنيق سنة اثنين وأربعين وتسعمائة .

٥٢ - حاشية القرة مانى هو كمال الدين اسماعيل الرومى المتوفى سنة عشريـــن ومائة .

٥٣ - حاشية القنوى ، هو المفتى خليل بن أحمد الحنفى المتوفى سنة ثلاثين ومائتين وألف .

٥٤ - حاشية القنوى ، هو عصام الدين اسماعيل بن مصطفى رئيس العلماء الرومى الحنفى المتوفى سنة خمسروتسعين وألف .

٥٥ - حاشية الكردى ، هو القاضى عبد الله بن محمد المدرس المتوفى سنة أربع وستين وألف .

٥٦ - حاشية الكواكبى ، هو محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الحنفى المفتى الحلبى المتوفى سنة ست وتسعين وألف .

٥٧ - حاشية الكورانى ، هو محمد بن شريت بن يوسف بن القاضى محمود الشاهوى

الشافعي المتوفى باليمن سنة ثمان وسبعين وألف .

٥٨ - حاشية الكيلاني هو أحمد بن توفيق القاضي الحنفي المتوفى سنة احدى وخمسين وألف .

٥٩ - حاشية المولى محمد الرومي الامام بجامع محمود باشا المتوفى سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة .

٦٠ - مستجي زادة ، هو عبد الله بن عمر بن عثمان الحنفي الرومي المتوفى سنة ثمان وأربعين ومائة وألف الى سورة يونس .

٦١ - حاشية المغنيساوي، هو عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله القدوسي الخلوتي المتوفى سنة ثمانين وألف .

٦٢ - حاشية مكي زادة ، هو شيخ الاسلام محمد الرومي المتوفى سنة اثني عشر ومائتين وألف .

٦٣ - حاشية المنقاري ، هو شيخ الاسلام يحيى بن عمر الرومي المتوفى سنة ثمان وثمانين وألف .

٦٤ - حاشية الموصلي ، هو محمود بن عبد الله المفتي بها المتوفى سنة اثنتان وثمانين وألف .

٦٥ - حاشية الميموني ، هو ابراهيم بن محمد المصري الشافعي المتوفى سنة تسع وسبعين وألف .

٦٦ - حاشية نشابجي زادة ، هو القاضي احمد بن محمد بن رمضان الرومي الحنفي المتوفى سنة ست وثمانين وتسعمائة .

٦٧ - حاشية النكدوي ، هو شرف الدين يعقوب بن ادريس بن عبد الله الرومي

المتوفى سنة أربع وأربعين وثمانمائة .

٦٨ - حاشية العسكارى محى الدين محمد بن ابراهيم بن حسن الرومى الحنفى المتوفى سنة احدى وتسعمائة .

٦٩ - حاشية يوسف زادة عبد الله بن محمد بن يوسف الرومى صاحب الائتلاف فى وجوه الاختلاف (١) .

ومن ما تركه صاحب الكشف وصاحب الذيل كثير منها تعليق على سورة الأعراف . تأليف زكريا بن بيرم الأنقرى المولود سنة عشرين وتسعمائة والمتوفى سنة احدى وألف وهو مخروم من أوله ويبدأ عند التعليق على قوله " فرج منه لتنذر به " مخطوط بمكتبة الحرم المكى (٢) .

ومنها الحاشية الالهامية السليمية . تأليف على بن محمد بن على الآمدى وهى على جزء تسعة وعشرين وثلاثين من تفسير البيضاوى أوله " نحمدك اللهم على ما مننت علينا من انعامك " .

ومنها حاشية الشهاب المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى وهى للعلامة الأديب محمد أمين الدين بن فضل الله المحبى الدمشقى الحنفى الشهير بالشهاب الخفاجى وهى فى ثمان مجلدات وهى من أشهر الحواشى على تفسير البيضاوى . ومنها الاسعاف شرح أبيات القاضى والكشاف تأليف خضر بن عبد الله الموصلى نزيل مكة المتوفى سنة سبع وألف . خط جميل أوله " اللهم يا كاشف صبابة الأوهام بشموس شواهد العلوم " .

---

(١) ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون ١ / ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠

(٢) فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكى ص ٤٧ .

ومنها كتاب اتحاف الراوى فى تخريج أحاديث البيضاوى لابن همات القرشى الدمشقى .(١)

خرج فيه أحاديث البيضاوى معتمدا على حاشية السيوطى المسماة نواهد الأبكار وشواهد الأفكار .

ومنها كتاب جامع الأحاديث الأنوارية والأخبار المصطفوية لعبد الكريم ابن ولى الدين بن يوسف القادرى المتوفى سنة مائة وألف مصورة بمكتبة مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى خرّج فيه أحاديث البيضاوى والزمخشرى فى الكشاف (٢)

ومنها دفع اعتراضات العصام على البيضاوى فى سورة النبأ لمحى الدين زادة .(٣)

ومنها رفع الاختلاف عن كلامى القاضى والكشاف لعبد الغنى بن اسماعيل ابن عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف .(٤)

ومنها رفع الكسا عن عبارة البيضاوى فى سورة النساء لعبد الغنى النابلسى .(٥)

---

(١) مخطوط مصور بمكتبة جامعة أم القرى ٢١٨٧ حديث

(٢) مصورة من مكتبة الأزهر تحت رقم ٧٥١ ورقمها فى مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى ١٦٤ حديث .

(٣) فهرس مخطوطات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ص ١٣٢

(٤) فهرس مخطوطات جامعة الامام محمد ص ١٣٨

(٥) فهرس مخطوطات جامعة الامام محمد ص ١٣٩

وهذه الحواشي والتعليقات على البيضاوى معظمها لم لم ير النور لم تحقق ولم تطبع ، منها ما هو مخطوط باللغة الفارسية ومنها ما هو مخطوط باللغة العربية . ومن الحواشي التي كتبت باللغة الفارسية حاشية سعدى جلبى تأليف سعد الله بن عيسى بن أمير خان المسمى بسعدى جلبى وسعدى افندى المتوفى سنة خمس وأربعين وتسعمائة .(١)

وحاشية عصام الدين وهو عصام الدين ابراهيم بن محمد بن عربشاه الاسفراييني المولود سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة .(٢)

وحاشية على تفسير جزء عم لمحمد سعيد الخادمى (٣) وغير ذلك من الحواشي التي كتبت باللغة الفارسية . ومن الحواشي التي تم طبعها :

حاشية ابن التمجيد طبعت فى استانبول سنة سبع وعشرين وثمانمائة وألف فى سبع مجلدات .

وحاشية محمد بن مصطفى القوجوى شيخ زادة . طبعت فى استانبول فى أربع مجلدات سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف .

وحاشية عبد الحاكم السيالكوتي طبعت فى استانبول أيضا سنة احدى وسبعين ومائتين وألف .

وحاشية الشهاب الخفاجي المسماه عناية القاضي وكفاية الراضي طبعت ببولاق سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف فى ثمان مجلدات.

---

(١) مكتبة الحرم المكى برقم ٢٩١ تفسير

(٢) مكتبة الحرم المكى برقم ١٣٢ تفسير

(٣) مكتبة الحرم المكى برقم ٢٣٢ تفسير

وحاشية اسماعيل بن محمد القونوى على هامش حاشية ابن التمجيد .(١)

وكان لزاما التعليق على هذه الحواشي وتبيين أثرها في تفسير البيضاوى ، ومقدار الفائدة منها على التفسير ، وبيان منهج صاحب كل حاشية . ونسبة لكثرة هذه الحواشي نكتفي بذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر .

والذى نود التعليق عليه من هذه الحواشي :

١ - حاشية الشهاب . المسماه عناية القاضى وكفاية الراضى .

٢ - حاشية الكازرونى .

٣ - حاشية محى الدين زادة .

وفيما يلى ذكر هذه الحواشي بشيء من التفصيل .

---

(١) انظر دائرة المعارف الاسلامية ٤ / ٤١٨

حاشـــية الشهـــاب

وتسمى عناية القاضي وكفاية الراضي ، وهي للشيخ أحمد بن محمد ابن عمر قاضي القضاة الملقب بشهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي .

وهي حاشية عظيمة الفائدة بل من أشهر الحواشي على البيضاوي ، تتبع الشهاب فيها كل تفسير البيضاوي بالتوضيح والتعليق والمناقشة ، وخاصة فيما يتعلق باللغة والاعراب وتوجيه القراءات ، والفقه ، والحديث .

ففي حين نجده يخالف البيضاوي أحياناً يوافقه ، ثم يقارن بينه وبين الزمخشري فيوافق أحدهما ويخالف الآخر بالدليل والبرهان دون تعصب أو تشدد .

ولتمام الفائدة نذكر كل فن ناقش الشهاب فيه البيضاوي على حده . فنقول :

١ - في مجال اللغة :

وقف الشهاب مع البيضاوي في مجال اللغة وقوف الند للند ، كما وقف البيضاوي من قبل مع الزمخشري فيها ، فأورد الشهاب عبارة البيضاوي ووضعها في ميزان اللغة ، فأخذ يعلق عليها ويناقش مدلولاتها ويقارن بينها وبين ما دلت عليه عبارة غيره ، فيرجح الذي يراه راجحاً مدعما قوله بقول العلماء من أهل اللغة وشعراء العرب ، ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى في سورة يونس : " الٓرۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ " . قال البيضاوي : (إلى رجل منهم : من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم الخ) .

---

(١) سورة يونس الآية ١ ، ٢

وقال الشهاب الخفاجي : (قولهم من أفناء رجالهم - أفناء بفتح الهمزة وسكون الفاء والنون والمد ، وهذه العبارة وان استعملت فى خمول النسب فليس بمراد ، لأن نسبه فيهم وشرفه نار على علم ، بل المراد أنه ممن لم يشتهر بالجاه والمال ، اللذين اعتقدوا أنهما سبب العز والاجلال لجهلهم وجاهليتهم ، لأنه قد يستعمل لعدم التعيين مطلقاً أو التعيين كقول أبى تمام .

مَنْ مبلغ أفناء يعرب كلها * إنى بنيت الجار قبل المنزل

يقال هو من أفناء الناس إذا لم يعلم ممن هو قاله الجوهرى . وقال الأزهرى عن ابن الإعرابى : أعفاء الناس وأفناؤهم أخلاطهم ، الواحد عفو وفنو . وعن أبى حاتم عن أم الهيثم هؤلاء من أفناء الناس ولا يقال فى الواحد هو من أفناء الناس وفسروه بقوم نزاع من ههنا ومن ههنا ، ولم تعرّف أم الهيثم الأفناء واحداً ، والمراد بالخلط ابهام النسب وليس بمراد هنا ، ومراد أبى تمام التعميم .

ومنهم مَنْ اعترض على المصنف رحمه الله ومتابعته الزمخشرى فى هذه العبارة ، واختار أن المراد برجل أنه مشهور بينهم بالجلالة والعفة والصدق كما قال : " لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفَسِكُمْ " (١) فإنّه محل الانكار وهو أنسب بالمقام . وهو غير ظاهر لأنّه وان كان أعظم مما ذكر لكن السياق يقتضى بيان

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٨ قراءة ابن محيصن بفتح الباء من النفاسة أى من أفضلكم وأشرفكم .

انظر القراءات الشاذة لعبد الفتاح القاضى ص ٥٢

كفرهم وتذليلهم وتحقيرهم لمن أعزه الله وعظمه، وما ذكره يناسب القسم الثانى لا الأول، فقد خلط تفسيرا بآخر، لأنّ تعجبهم يحتمل أن يكون لكونه ليس له مال وجاه كقوله تعالى : " وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ".(١) أو لكونه من البشر كقوله تعالى : " لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ". أو لكونه أنذرهم بالبعث الذى أنكروه ، والمصنف رحمه الله لم يلتفت إلى هذه البعدة عن السياق).(٢)

ونجده تارة يؤيد البيضاوى ويدافع عن عبارته ويدلل عليها وردّ أقوال المعارضين من ذلك ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ".(٣)

قال البيضاوى : (ونذر الظالمين فيها جثياً، منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها، وأن المؤمنين يفارقون الفجرة إلى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارة بهم على هيئاتهم).(٤)

قال الشهاب الخفاجى : (قوله وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو الخ، وجه الدلالة أنه لما ذكر أن الجميع واردون لها ثم قسمهم إلى ناجٍ والى متروك على حاله فى الجثى، عُلِمَ أن مقابله جاثٍ لكنه غير متروك على جثيه فجاء ما ذكر وهو ظاهر والدليل هو قوله ونذر الظالمين الخ وقد بَيَّنَ أيضاً

---

(١) سورة الزخرف آية ٣١

(٢) حاشية الشهاب ٥/٤

(٣) سورة مريم آية ٧٢

(٤) تفسير البيضاوى مع حاشية الشهاب ٦/١٧٦ .

بأن المؤمنين يفارقون الكفرة إلى الجنة بعد نجاتهم، وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين ، والتركيب يدل على انجاء المؤمنين من الورطة، التي يبقى الظالمون فيها، للتقابل بينهما، فدل على أن تلك الورطة هي الجثو حولها، وأنهما يشتركان فيها وقد كانا اشتركا في الورود فدل هذا على أن المراد بالورود هو الجثي ، وهذا إنّما يتأتى بتقدير مضاف في قوله فيها، أي في حواليها بقرينة الجثو كما أشار إليه المصنف رحمه الله . فمن قال انه لا يجري في كلام المصنف رحمه الله لم يصب ، لكنه قيل عليه أنَّ الجثو إنّما يصلح قرينة ان ثبت أنه لا جثو في النار وهو غير مسلم، وأيد بأن الظالمين لا يتركون حولها بل يدخلون النار ، ورد بأن الجثو حول جهنم علم من الآية السابقة فردّ هذا اليها ، والتفصيل بالمعلوم أولى، وليس المراد بالدلالة الدالة القطعية حتى يخل بها الاحتمال، وقوله لا يتركون الخ لا دليلٌ فيه، ولا يخفى أن ما ادعاه من الأولوية الظاهر خلافه، لأنَّ جثياً نكره أعيدت فالظاهر أنّها غير الأولى، لا سيما وقد وقعت فاصلة وهي كالقافية لا يحسن تكرارها مع ما فيها من التقدير المخالف للظاهر فتأمله)(١)

٢ - في مجال الإعراب :

وفي مجال الإعراب ناقش الشهاب عبارة البيضاوي وبيّن مدلولاتها وخلاف العلماء فيها وبيّن الرأي الذي يراه راجحاً بالأدلة .

ومما ناقش فيه عبارة البيضاوي وبيّن مدلولها والخلاف فيه ما جاء في تفسير قوله تعالى : " وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ

(١) حاشية الشهاب ٦/١٧٦ .

أَن يُغْوِيَكم ." [1] قال البيضاوى : (ولا ينفعكم نصحى إِنْ أردت أن أنصح لكم شرط ودليل جواب، والجملة دليل جواب قوله "ان كان الله يريد أن يغويكم"، وتقدير الكلام : ان كان الله يريد أن يغويكم فان أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحى، ولذا نقول لو قال الرجل أنت طالق إن دخلت الدار إنْ كلمت زيداً، فدخلت ثم كلمت زيداً لم تطلق وهو جواب لما أوهموا من أن جداله كلام بلا طائل) .

وقال الشهاب : (قوله شرط ودليل جواب . الشرط هو قوله ان أردت أن أنصح لكم ودليل الجواب هو قوله ولا ينفعكم نصحى ، ومجموع قوله ولا ينفعكم نصحى إِنْ أردت أن أنصح لكم دليل على جواب الشرط الآخر وهو قوله "ان كان الله يريد أن يغويكم"، وفى الكشاف قوله ان كان الله يريد أن يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحى ، وهذا الدال فى حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط فى قولك ان أحسنت الى أحسنت اليك ان أمكننى، يعنى ان ما تقدم جزاء حكماً لا لفظاً، فقيد بشرط آخر كما قيد صريح الجزاء لأنَّ التقييد من مقتضيات معنى الجزاء لا لفظه، وحينئذٍ جاز أن يكون قيداً للجزاء المجرد، فيتعلق الشرط الأول بالجزاء معلقاً على الثانى ويحتمل العكس فليس ما ذكر بناء على قواعد الشافعية على ما توهم ، ثم ان كان أحد الشرطين لا ينفك عنه الجزاء أو الشرط الأول، فهو لتحقيق المرام وتأكيده كما فى ما نحن فيه، وقول القائل ان دخلت الدار فأنت

---

(١) سورة هود آية ٣٤ .

طالق ان كنتى زوجتى، وإلا فهو لتقييد الجزاء على أحد الوجهين ، والذى حققه النحاة كما فى شرح التسهيل لابن عقيل رحمه الله انه اذا توالى شرطان فأكثر كقولك ان جئتنى إنْ وعدتك أحسنت اليك فأحسنت اليك جواب ان جئتنى استغنى به عن جواب إنْ وعدتك ، وزعم ابن مالك أن الشرط الثانى مقيد للأول بمنزلة الحال، وكأنه قال إنْ جئتنى فى حال وعدى لك .
والصحيح فى هذه المسألة أن الجواب للأول وجواب الثانى محذوف لدلالة الشرط الأول وجوابه عليه فان قلت ان دخلت الدار ان كلمت زيداً إنْ جاء إليك فأنت حر، فأنت حر جواب ان دخلت وان دخلت جوابه دليل جواب ان كلمت وان كلمت وجوابه دليل جواب ان جاء ، والدليل على الجواب جواب فى المعنى والجواب متأخر فالشرط الثالث مقدم، وكذا الثانى وكأنه قيل إنْ جاء فان كلمت فان دخلت، فأنت حر، فلا يعتق الا اذا وقعت هكذا مجىء ثم كلام ثم دخول وهو مذهب الشافعى رحمه الله) (١) ثم استفاض الشهاب فى هذه المسألة وذكر خلاف الفقهاء والنحويين وهو منهج الشهاب فى حاشيته كلها الاسهاب فى توضيح المسألة وذكر الأقوال والخلافات فيها وقد اكتفينا بذكر طرف منها على سبيل المثال .

٣ - فى مجال الفقه والأصول :

ففى مجال الفقه كان الشهاب فى أغلب الأحيان يوضح عبارة البيضاوى ويبين غامضها من غير اعتراض على حكم من الأحكام الفقهية، فاللغة كانت تغلب على الشهاب فى كل المجالات فيرجع كل كلمة تقريباً إلى أصلها اللغوى ثم

---

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ٥/ ٩٤

يذكر بعد ذلك ما يتوصل اليه من أحكام فقهية وغيرها .

ففي قوله تعالى : " وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ " . (١)

قال البيضاوى : (واذكروا الله فى أيام معدودات . كبروه أدبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها فى أيام التشريق ، فَمَنْ تعجل فمن استعجل نفر فى يومين يوم القر والذى بعده ، أى فمن نفر فى ثانى أيام التشريق بعد رمى الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده ، فلا اثم عليه باستعجاله ، وَمَنْ تأخر فلا اثم عليه ، وَمَنْ تأخر فى النفر حتى رمى فى اليوم الثالث بعد الزوال ، وقال أبو حنيفة : يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفى الإثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما ، والرَدّ على أهل الجاهلية فان منهم مَنْ أثَّم المتعجل ومنهم مَنْ أثَّم المتأخر) . (٢)

وقال الشهاب فى التعقيب على تفسير البيضاوى : (قوله كبّروه أدبار الصلوات وعند ذبح القرابين الخ ، أدبار جمع دبر بمعنى عقب ، والقرابين جمع قربان وهو الذبيحة المتقرب بها ، وقوله فى أيام التشريق ، قيل: ينبغى إلَّا يخص بها ليشمل يوم النحر ، وليس بشىء ، قال الجصاص لا خلاف بين أهل العلم أن المراد بالأيام المعدودات أيام التشريق ، وهو مروى عن عمر وعلى وابن عباس رضى الله عنهم ، وغيرهم ، إلَّا فى رواية عن ابن أبى ليلى أنها يوم النحر ويومان

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٣

(٢) تفسير البيضاوى مع حاشية الشهاب ٢/ ٢٩٤ - ٢٩٥ .

بعده وقيل انه وهم اهـ) . ثم خاض في المباحث اللغوية وخرج منها إلى اكمال كلام البيضاوى فقال : (وقوله فَمَنْ نفر الخ . إشارة الى أن النفر في يومين ليس شاملاً للنفر في اليوم الأول فإنّه لا يجوز إذ لا يقال فعلت كذا في يومين بلا مدخلية لليوم الثاني ، فمن قال التقدير في أحد يومين أخل بالبيان، وقوله بعد رمى الجمار عندنا إشارة إلى وقت جواز النفر لكنه عليه أن يقيده بقوله إلى غروب الشمس لأنه لا يجوز بعده ، وقوله عنده أى عند أبي حنيفة رحمه الله، والمقام مقام الاظهار فعنده، أنه لا يصح النفر بعد طلوع فجر الثالث قبل الرمى ولذا قال قبل طلوع الفجر وسقط قبل في بعض النسخ وهو من الكاتب وكان المصنف رحمه الله تساهل في البيان لأنه معلوم في الفروع مفروغ منه . قوله ومعنى نفي الاثم الخ . تبع فيه الكشاف لأن التخيير يجوز بين الفاضل والمفضول لأنّ التأخير أفضل ورده في الانتصاف بأن التخيير يوجب التساوى فلا يصح ما قاله واجب بأنه انما يمتنع اذا لم يسبق بمنع لأحد الطرفين فان سبق به جاز التخيير إشارة إلى مطلق الجواز فيهما ولذلك عطف عليه الردّ على أهل الجاهلية).(١)

وعبارة البيضاوى واضحة لا تحتاج إلى كل هذا التطويل فهو عندما ذكر الأيام المعدودات والذكر فيها خَصَّها بأيَّام التشريق، وهو قول جمهور العلماء . ثم ذكر الرمي والنفر، وقول الشافعية والحنفية فيه وبَيَّن قول أبي حنيفة في جواز النفر قبل طلوع فجر اليوم الثالث من أيّام التشريق، وكذلك قول أبي حنيفة في

---

(١) حاشية الشهاب ٢/ ٢٩٤ - ٢٩٥ .

تقديم الرمى على الزوال يوم النفر . ثم ذكر التخيير فى الاستعجال والتأخير وبين أن ذلك فى نفى الإثم وذلك فى الجاهلية لأن منهم مَنْ أَثَّم المتعجل ومنهم من أثم المتأخر فلا داعى للتطويل .

وفى مجال أصول الفقه فالشهاب لا يخوض فيها كثيراً ويتجنب الخوض فيها بقدر الامكان، بعكس اللغة التى لا يترك فيها كلمة إلَّا وأبرز علمه فيهـــا . ومن تعقيبه على البيضاوى فى الأصول ما جاء فى تفسير قوله تعالى :
" وإذا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا . الآية ".(١)

قال البيضاوى : (أُذن فى الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة هاهنا من الأمر دلالة الأمر الآتى بعد الحظر، على الاباحة مطلقا)(٢)

وقال الشهاب: (قال الزجاج ومثله لا تدخلن هذه الدار حتى تؤدى ثمنها، فإذا أديت ثمنها فأدخلها أى إذا أديت أبيح لك دخولها، وهذه مسألـــة أصولية، فقيل الأمر بعد الحظر يقتضى الاباحة، واستدل بهذه الآية، والمصنف رحمه الله لا يراه، فلذا قال ان الأمر ههنا للتوسعة ورفع المنع والصيد ليــس مأموراً به، فلا وجه للايجاب فيه ولا تكون الآية دليلاً على ما ذكر ، فإنْ كـــان ما يقتضى الايجاب أو الاستحباب عمل به ومَنْ قال حقيقته الايجاب قال انـــه مبالغة فى صحة المباح حتى كأنه واجب وقيل ان الأمر فى مثله لوجوب اعتقـــاد الحل وفيه نظر وتحقيقه فى أصول الفقه).(٣)

---

(١) سورة المائدة آية ٢

(٢) تفسير البيضاوى مع حاشية الشهاب ٣/ ٢١٤

(٣) حاشية الشهاب ٣/ ٢١٤ .

وتحقيق المسألة أن القاعدة الأصولية تقول أن زوال الحظر يعني الاباحة عند قوم، وعند آخرين أن زوال الحظر يعني أن الأمر يعود الى ما كان عليه قبل الحظر إن واجباً فواجبٌ، وانْ مباحاً فهو مباح، وان كان مندوباً فهو مندوب وهكذا ، والآية نصت على اباحة الصيد بعد الحل، فهل هذه الاباحة جاءت وفق القاعدة، أنَّ زوال الحظر يعني الاباحة أم أنها جاءت منصوصاً عليها، وأن زوال الحظر يعني أن الأمر يعود الى الحالة التي كان عليها قبل الحظر فقد كان مباحاً قبل الحظر أي قبل حالة الاحرام.

والبيضاوي بالطبع أصولي يقول بالقول للثاني أن زوال الحظر يعني أن الأمر يرجع إلى ما كان عليه قبل الحظر، وجاءت الاباحة بنص الآية، وأن الصيد قبل الاحرام كان مباحاً فرجع بعد الحظر إلى الاباحة، وهي الحالة التي كان عليها قبل الحظر وليس زوال الحظر يعني الاباحة مطلقاً .

ووافق البيضاوي في ذلك كثير من علماء الأصول منهم القاضي أبو بكر بن العربي . قال في أحكام القرآن : (كان سبحانه حرّم الصيد بقوله تعالى : " غير محلي الصيد " . ثم أباحه بعد الاحلال ، وهو زيادة بيان ، لأن ربطه التحريم بالاحرام يدل على أنه إذا زال الاحرام زال التحريم ، ولكن يجوز أن يبقى التحريم لعلة أخرى غير الاحرام ، فبين الله سبحانه عدم العلة بما صرح به من الاباحة ، فكان نصاً في موضع الاستثناء ، وهو محمول على الاباحة اتفاقاً ، وقد توهم قوم أن حمله على الاباحة انما كان لأجل تقديم الحظر عليه وقد بيناه في أصول الفقه)(١) .

---

(١) احكام القرآن لابن العربي ٢/ ٥٣٥

٤ - في مجال العقيــــدة :

علمنا أن عقيدة البيضاوى هى عقيدة أهل الكلام كالأشاعرة والماتريدية والمعتزلة الذين يؤمنون بمبدأ التأويل ، وهو الخروج بالمعنى من ظاهره إلى معنى آخر وخاصة فيما يتعلق بالصفات الخبرية والغيبيات خلافاً لعقيدة السلف الصالح، الذين يؤمنون بنصوص الكتاب والسنة من غير تشبيه ولا تعطيل .

والبيضاوى كواحد من المتكلمين عندما نهج منهج التأويل ، لم يوافقــه الشهاب الخفاجي على هذا المنهج ولم يجامله بل وقف على حدود الكتاب والسنة، ولم يتبع البيضاوى فى ذلك كما تبع البيضاوى والزمخشرى من قبل، بـل رد الشهاب البيضاوى وأبطله . ففي تفسير قوله تعالى : " الَّذِينَ يَحْمِلُــونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ".(١)

قال البيضاوى : (الكروبيون أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجوداً ، وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم فى نفاذ أمره) .(٢)

وقال الشهاب : (قوله مجاز عن حفظهم الخ . حمل العرش ظاهرٌ هنا ، وأما ذكره الحفيف فيحتمل أن يكون استطراداً ، ويحتمل أنه تفسير لمن حوله هنـــا ، لأنه بمعنى حافين وهو الظاهر ولا مانع من حملهما على الحقيقة، وهو ظاهـــر الأحاديث والآيات ، وما ذكره كلام الحكماء وأكثر المتكلمين ، والمراد بالحفظ والتدبير له أن لا يعرض له ما يخل به أو بشىء من أحواله التى لا يعلمهـــا

---

(١) سورة غافر آية ٧

(٢) تفسير البيضاوى مع حاشية الشهاب ٧/ ٣٥٩ .

الا الله ولما كانت الكناية والمجاز لا يجتمعان في لفظ واحد حملوه على اللف والنشر المرتب بجعل المجاز للحمل والكناية للحفيف ، والتخصيص كما قيل لأن العرش كرى في حيزه الطبيعي فلا يحتاج الى حامل ففيه قرينة عقلية على منع ارادة المعنى الحقيقي وأما الحفيف والطواف به فلا مانع من ارادته منه فيكون كناية لأَنَّ هذا شأنها وفيه نظر لأن عدم احتياجه له لا يصيره مجاز لأَنَّ الكناية لا يكفي فيها امكان المعنى الحقيقي لا ارادته منه بالفعل وهو موجود هنا فتدبر)(١) .

ظهر من كلام الشهاب الخفاجي عقيدته السلفية التي هي الايمان بنصوص الكتاب والسنة من غير تشبيه ولا تعطيل فلم يوافق البيضاوي فيما ذهب إليه من أقوال المتكلمين في قولهم بالمجاز في حمل الملائكة للعرش وحفيفهم حوله حيث قال (لا مانع من حملهما على الحقيقة وهو ظاهر الأحاديث والآيات) . وما يضير المتكلمين إذا آمنوا بالآيات والصفات كما جاءت من غير تشبيه ولا تعطيلٍ وتركوا علمها لعلّام الغيوب أليس ذلك خير من اتباع العقل ذى القدرة المحدودة التي لا تعرف حتى الانسان نفسه فضلاً من معرفة صفات رب العالمين فيطيش العقل ويتخبط في ظلمات التأويل ؟

٥ - في مجال الحديث :

وفيما يتعلق بالأحاديث الواردة في تفسير البيضاوي فقد بينا أن البيضاوي كان يذكر في تفسيره الحديث الصحيح والضعيف والموضوع ولا يتحرج في ذلك

---

(١) حاشية الشهاب ٧/٣٥٩

فقد كان يذكر الحديث الصحيح والضعيف في الاستشهاد في تفسير الآيات، وأما الأحاديث الموضوعة فقد كان يذكرها في أواخر السور في فضل الآيات فتتبعه الشهاب الخفاجي في كل هذه الأحاديث وبينها سواء في تفسير الآيات أو في أواخر السور .

ففي تفسير قوله تعالى : " وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ".(١)

قال البيضاوي بعد تفسير الآية : (روى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية . وعنه عليه السلام ، " من قرأ سورة بني اسرائيل فَرَقَّ قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطاراً في الجنة والقنطار ألف أوقية ومئتا أوقية).(٢)

قال الشهاب الخفاجي: (وهذا الحديث -يقصد الحديث الأول - رواه ابن أَبي شيبة وعبد الرزاق وغيرهما ... وقوله من قرأ الخ حديث موضوع).(٣)

وعن سورة مريم روى البيضاوي حديثا فقال : (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذّب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورين فيها، وبعدد من دعا الله في الدنيا ومَنْ لم يدع الله).(٤)

---

(١) سورة الاسراء الآية ١١١

(٢) تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ٦/٧١

(٣) حاشية الشهاب ٦/٧١

(٤) تفسير البيضاوي بحاشية الشهاب ٦/١٨٦ .

قال الشهاب الخفاجى : (هو موضوع ووجه التكثير وتعديد حسناته بمن ذكر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كذكرهم فى هذه السورة كما أشار اليه وذكر الدعاء لوقوعه فيها ولوقوعه فى مقابلة من دعا غير الله) .(١)

وروى البيضاوى حديثا فى سورة الأنبياء فقال : (عن النبى صلى الله عليه وسلم : مَنْ قرأ اقترب ، حاسبه الله حساباً يسيراً وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن) .(٢)

قال الشهاب الخفاجى : (هو حديث موضوع . واقترب عَلَم لهذه السورة تسمية لها بأولها وقوله صافحه وسلم عليه هو فى الآخرة كما هو الظاهر ووجهه كونه سورة متضمنه لأحوالهم) .(٣)

هكذا تتبع الشهاب الخفاجى الأحاديث التى رواها البيضاوى فى أواخر السور حديثاً حديثاً وبيَّن الموضوع منها فى غير محاباة ولا مجاملة .

. . . .

---

(١) حاشية الشهاب ١٨٦/٦

(٢) تفسير البيضاوى بحاشية الشهاب ٢٨٠/٦

(٣) حاشية الشهاب ٢٨٠/٦

حاشية الكازروني

وهى للعلامة أبى الفضل القرشى الصديقى الخطيب المشهور بالكازرونى

وهذه حاشية قيمة أقل فائدة من حاشية الشهاب، فكان صاحبها أى الكازرونى يميل إلى الاختصار أكثر من الشهاب الخفاجى ، فكان يترك كثيراً من الآيات التى فسرها البيضاوى بدون تعليق أو مناقشة ، فالآيات التى يرى أن تفسير البيضاوى لها يحتاج إلى توضيح أو تعليق فهو يوضح ويعلق ويذكر أمثلة توضح المعنى والآيات التى يرى أن تفسير البيضاوى لها كافٍ لا يحتاج إلى توضيح أو تعليق يتركها، وهكذا فى سائر التفسير .

وعلى سبيل المثال نذكر مناقشة الكازرونى للبيضاوى فى اللغة والاعراب والفقه والأصول والعقيدة والحديث . فنذكر :

أولا : فى مجال اللغة :

فى مجال اللغة كان الكازرونى يشرح كلام البيضاوى ويوضحه ويبيّن مغزاه وإذا استشهد البيضاوى ببيت من الشعر، فإنّ الكازرونى يشرحه ويبيّن ما غمض من معانى كلماته فهو شارح كلام البيضاوى واستشهاده متعمداً فى ذلك على أقوال أصحاب الحواشى على الكشاف باعتباره أُستاذ البيضاوى فى اللُّغة ، والمصدر الأول فى تفسيره ، وقلّ ما يعترض الكازرونى على البيضاوى فى شيءٍ من ذلك .

ومن ذلك ما جاء فى تفسير قوله تعالى : "يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ الآية" .(١)

---

(١) سورة المائدة الآية ١

قال البيضاوى : (الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثوق قال الحُطيئة :

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم * شدّوا العناج وشدّوا فوقه الكربا

وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التى عقدها الله سبحانه وتعالى على عباده وألزمها اياهم من التكاليف ، وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن إنْ حملنا الأمر على المشترك بين الوجوب والندب)[١].

وقال الكازرونى : (وقوله شدد العناج الخ . العناج حبل يشدُّ فى أسفل الدلو، ثم يشدّ إلى العراقى، والعرقوتات الخشبتان المعترضتان على الدلو كالصليب ، والكرب الحبل الذى يشدُّ فى وسط العراقى، ثم يثنى ويثلث ، ليكون هو الذى يلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير، فاستعار عقد الحبل على الدلو للعهد، ورشح بذكر شدّ العناج وشدّ الكرب. هكذا قال جمعٌ من المعلقين على الكشاف وفيه أن المذكور فى البيت هو العقد بلا تقييد بشىء وهو أعم من عقد الحبل على الدلو الا أن يراد أنه استعمل العقد أولا فى عقد الحبل بطريق استعمال العام فى الخاص مجازاً ثم استعمل فى العهد تجوزاً عن هذا المعنى وفيه تكلف لكن الباعث عليه استعمال الألفاظ المخصوصة ههنا بعقد الحبل على الدلو)[٢].

---

(١) تفسير البيضاوى بحاشية الكازرونى ٢ / ١٣٢، ١٣٣

(٢) حاشية الكازرونى ٢ / ١٣٣ .

هكذا نرى اختصار الكازرونى على توضيح عبارة البيضاوى واستشهاده بالشعر وشرح بيت الحطيئة والمراد من الاستدلال به وهو مضمون كـلام أصحاب الحواشى على الكشاف كما أشار إلى ذلك .

ثانيا : فى مجال النحو :

وكعادة الكازرونى فى الاستفادة من كلام حواشى الكشاف علّق على كلام البيضاوى فى النحو فيوضح ما اختصره وبيّن مدلوله ففى قوله تعالى : " اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ". (١)

قال البيضاوى : (اقترب للناس حسابهم ، بالاضافة إلى ما مضى ، أو عند الله لقوله تعالى : " إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً ". (٢) ولقوله : " وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ". (٣)

أو لأنّ كل ما هو آت قريب ، وانّما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب ، أو تأكيد للاضافة ، وأصله اقترب حساب الناس ، ثم اقترب للناس الحساب ، ثم اقترب للناس حسابهم) (٤)

وقال الكازرونى : (قوله بالاضافة إلى ما مضى . يريد بيان وجه اقتراب الحساب ووجّهه بأربعة أوجهٍ . قوله أو تأكيد للاضافة كما قالوا فى لا أبالك أن الـلام

---

(١) سورة الأنبياء آية ١

(٢) سورة المعارج آية ٦ ، ٧

(٣) سورة الحج آية ٤٧

(٤) تفسير البيضاوى مع حاشية الكازرونى ٤/ ٣٤ ، ٣٥ .

الظاهرة تأكيد للام المقدرة . قوله وأصله اقترب حساب الناس أى الأصل ما ذكر باضافة الحساب الى الناس ، ثم قيل اقترب للناس الحساب ليحصل التبيين بعد الابهام ، ثم اقترب للناس حسابهم بتقدير اقترب حساب للناس حسابهم فيحصل منه فائدتان ، احداهما : تأكيد معنى الاضافة ، والثانى : التبيين بعد الابهام ، هكذا ذكره العلامة الطيّبى ، وفيه انه يلزم منه حذف الفاعل الذى هو الحساب ، فى قوله " اقترب حساب للناس حسابهم ، فالوجه الاختصار على أن المآل ، أى اقترب للناس حسابهم " حتى لا يكون الفاعل حساب للناس.(١)

فلم يزد الكازرونى على كلام البيضاوى غير الشرح والتوضيح .

ثالثا : فى مجال الفقه والأصول :

وفى مجال الفقه أيضا لم يضف الكازرونى شيئا أو يعترض بشىء على البيضاوى وانما هو الشرح والتوضيح ، غير أن شرحه لبعض المسائل يزيل عنها الغموض ولولا تبينه لها وتوضيحه لخفى مدلولها على كثير من الناس لأن شأن البيضاوى ومنهجه دوما الاختصار الشديد ، وفى الفقه والأصول قد يصل الى درجة الألغاز فعبارة الكازرونى توضح ذلك الغموض وتبيينه ، فمثلا فى تفسير قوله تعالى فى سورة النمل : " وتفقد الطير فقال ما لى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين (٢٠) لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين ".(٢)

قال البيضاوى : (أو ليأتينى بسلطان مبين . بحجة تبين عذره والحلف فى الحقيقة على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع أحد الأمور الثلاثة ثلّث المحلوف عليه بعطفه عليهما).(٣)

---

(١) حاشية الكازرونى على تفسير البيضاوى ٤/٣٤ ، ٣٥

(٢) سورة النمل آية ٢٠ ، ٢١

(٣) تفسير البيضاوى مع حاشية الكازرونى ٤/١١٥ .

يقصد البيضاوى بالحلف على أحد الأولين . هو الحلف على عذاب الهدهد أو ذبحه ، واما الثالث الذى المقدر عدم حدوثه هو ايراد الحجة المقنعة لسليمان . والكازرونى استخرج من ذلك قاعدة فقهية وهى هل يجوز للانسان أن يحلف على فعل غيره كما حلف سليمان عليه السلام على فعل الهدهد ، وهو الايتاء بسلطان مبين أى حجة قاطعة والا فسيعذبه عذاباً شديداً أو ليذبحنه . قال الكازرونى : (قوله والحلف فى الحقيقة الخ لأن الأصل الغالب أن يحلف الحالف على فعل نفسه دون فعل غيره ، ويفهم من كلامه أنه يجوز أن يحلف على فعل غيره وهو كذلك فقد صرح به الفقهاء . فقالوا : لو قال أحد لآخر أقسمت عليك بالله لتفعلن كذا ، وقصد به يمين نفسه كان يميناً . ويستحب إبرار القسم ان لم يتضمن محرماً أو مكروهاً) (١).

وشأنه فى الأصول كشأنه فى الفقه التبيين واستخراج القواعد الأصولية من كلام البيضاوى وتوضيح معناها ، وبيان المراد منها ، والرد على المخالفين والمعترضين إن لزم الأمر . ففى قوله تعالى : " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً " . (٢)

قال البيضاوى : (اليوم أكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الأديان كلها ، أو بالتنصيص على قواعد العقائد ، والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد . وأتممت عليكم نعمتى بالهداية والتوفيق أو بكمال الدين أو بفتح مكة وهدم

---

(١) حاشية الكازرونى على تفسير البيضاوى ١١٥/٤

(٢) سورة المائدة الآية ٣

منار الجاهلية) .(١)

وقال الكازرونى : (قوله على قواعد العقائد . هى أصول الاعتقادات والمراد بأصول الشرائع القواعد التى تستنبط منها الأحكام والمراد بقوانين الاجتهاد ما يجب أن يراعى فيه، وهذا جواب عن دليل نفاة القياس فإنّهم تمسكوا على ابطاله بأنَّ الدين كمل فى آخر عهد النبىّ صلّى اللّه عليه وسلّم فلو كان القياس جائزاً بعده كان ذلك القياس لا بد أن يكون لاظهار حكم لم يكن معلوما فكان القياس موجباً لكمال الدين فلم يكن كاملاً فى ذلك الزمان . والجواب عنه ماذكر، وهو أن المراد بكمال الدين تحقيق قواعد العقائد ، وتبيين قواعد الاجتهاد، وهذا لا ينافى وقوع الاجتهاد وتخريج الأحكام بعده).(٢)

رابعا : فى مجال العقيدة :

وعقيدة الكازرونى هى عقيدة السلف الصالح، وهى الايمان بنصوص الكتاب والسنة من غير تأويل ، وقد خالف البيضاوى فى هذا المذهب، وهذا التأويل بمعنى الخروج باللفظ من معناه الى معنى آخر غير مراد ، ورد على البيضاوى بالحجج القاطعة والأحاديث الصحيحة غير أنه يعتمد فى ذلك على أقوال أصحاب الحواشى على الكشاف كالطيبى وغيره.

ففى تفسير قوله تعالى : " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ

---

(١) تفسير البيضاوى مع حاشية الكازرونى ٢/١٣٥ ، ١٣٦

(٢) حاشية الكازرونى على تفسير البيضاوى ٢/١٣٦ ، ١٣٧

وكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِم أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ". (١)

قال البيضاوى : (نصب لهم من دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم إلى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى، فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه بمنزلة الأشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل، ويدل عليه قوله " أن تقولوا يوم القيامة " أى كراهة أن تقولوا : " إنّا كنا عن هذا غافلين ". لم ننبه عليه بدليل . . وقيل لمّا خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحياهم وجعل لهم العقل والمنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضى الله تعالى عنه . وقد حققت الكلام فيه فى شرحى لكتاب المصابيح) (٢)

وقال الكازرونى : (اعلم أنّ معنى كلامه أن قوله تعالى "وأشهدهم" واقع على طريقة التمثيل ،لكن العلامة الطيبى قال : ذهب أهل التأويل الى أن المراد بالاشهاد ما ركبه الله فيهم من العقول، وآتاهم من البصائر، وكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم، وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى، فذهبوا فى معناه الى أنه تمثيل وتصوير للمعنى، وهذا الذى ذهبوا إليه فى تأويل حديث عمر تأويل مستقيم لولا مخالفة حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، وهو ما رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعنى عرفه، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قائلاً ألست بربكم، قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة

---

(١) سورة الاعراف الآيات ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) تفسير البيضاوى بحاشية الكازرونى ٣ / ٣٤ .

انا كنا عن هذا غافلين وهذا الحديث مخرج فى كتاب النسائى (١) لا يحتمل من التأويل ما يحتمله حديث عمر لظهور المراد منه ، أقول لأنَّ قوله صلى الله عليه وسلم ثم كلمهم قائلاً بإيراد التكليم، والقول كالصريح فى أن الاشهاد هو التكليم والقول، والجواب أيضا القول الحقيقى وإلَّا لما كان لا يراد التكليم وايراده بالقول كبير وجه ، ثم قال أى العلامة الطيبى .

ان الأحاديث الثلاثة الواردة فى هذا الباب متعاضدة متوافقة ، الأول حديث عمر رضى الله عنه قال : سُئِل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الآية فقال: إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون. (٢)

الثانى حديث أبى هريرة وهو أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة. (٣)

الحديث الثالث حديث ابن عباس . وهو ما ذكرناه واذا تقرر هذا فالواجب على المفسر المحقق الا يفسر كلام الله المجيد برأيه إذا وجد من جانب السلف الصالح نقلاً معتمداً فكيف بالنص القاطع من حضرة الرسالة صلى الله عليه وسلم، فان الصحابى رضى الله عنه لما سأله صلى الله عليه وسلم عما أشكل

---

(١) مسند أحمد ١/٢٧٢

(٢) سنن ابى داود كتاب السنة باب فى القدر ٢/٥٢٩

(٣) أخرجه الترمذى فى التفسير وقال حديث حسن صحيح . صحيح الترمذى ١١/١٩٦ .

عليه من معنى الآية أن الاشهاد هل هو حقيقة أو لا؟ والاخراج والمقاولة
بقوله ألست بربكم قالوا بلى انما هو على المتعارف أم على الاستعارة ؟
فلما أجابه صلى الله عليه وسلم بما عرف منه ما أراده سكت انتهى كلامه ،
وهو صريح في أنه يجب حمل الآية على المعنى الحقيقي دون التمثيل ،
كما حمله القاضي وغيره تبعاً للزمخشري ، وتوضيح كلام الطيبي أنه لو لم نحمل
الأحاديث على الحقيقة لم يكن لجوابه صلى الله عليه وسلم في سؤال الصحابي
فائدة ، إذ الصحابي حمل الكلام على المعنى الحقيقي ويكون المراد من
الحديث غيره على التقدير المذكور . ثم إنَّ ههنا سؤالاً أورده بعضهم وهو
أنه اذا كان اقرار الذرية بما ذكر وقت الاخراج من الظهور ان كان عن
اضطرار حيث كوشفت بحقيقة ما شاهدوه عين اليقين ، فلهم أن يقولوا يوم
القيامة شهدنا يومئذ فلما زال عنا علم الضرورة ووكلنا الى آرائنا كان منّا من
أصاب ومنا مَنْ أخطأ ، وان كان عن استدلال ولكنهم عصموا عنده من الخطأ ،
فلهم أن يقولوا يوم القيامة أيدنا يوم الاقرار بتوفيق الله وعصمته وحرمناهما
من بعد ولو مددنا بهما أيضاً لكانت شهادتنا في كل حين كشهادتنا في
اليوم الأول بعد تبين أن الميثاق ما ركب الله فيهم من العقول وآتاهم
من البصائر لأنها هي الحجة القاطعة المانعة لهم من قولهم انا كنا عن
هذا غافلين . وأجاب العلّامة الطيبي عن قوله انهم يقولون شهدنا يومئذ
الخ بأنكم ما وكلتم الى آرائكم بل أرسلنا رسلا تترى لتوقظكم من سنة الغفلة .
وأما الجواب عن قوله فلهم أن يقولوا يوم القيامة أيدنا يوم الاقرار الخ فهو أن
هذا مشترك الالزام لأنه إذا قيل لهم الم نمنحكم العقول والبصائر ؟

فلهم أن يقولوا فاذا حرما اللطف والتوفيق فأى فائدة لنا فى العقل والبصيرة؟
أقول بقى ههنا إشكال وهو أنه إذا حمل الآية على المعنى الحقيقى كما قاله الطيبى، والحال أن الله تعالى عليم بأن الذرية عالمون بأنه تعالى ربهم إذ لو لم يعلموا لم يكن للسؤال عنهم معنى ولم يكن لجوابهم أيضا وجه، ولما تقرر أنه تعالى ربهم وعلم الله تعالى أنهم عالمون، فما فائدة هذا السؤال؟ والجواب يمكن أن يقال الفائدة اظهار كمال القدرة لمن حضر ذلك المشهد من الملائكة وغيرهم من خلق الله تعالى فانه لا يخفى أن اخراج ذرية آدم الى يوم القيامة مرة واحدة كالذر والسوءال عنهم عما ذكر وجوابهم بما ذكروا من غرائب القدرة التى بهرت عقول أولى الأبصار، أو يقال الفائدة اطلاع مَنْ حضر ذلك المكان حتى يشهد عليهم يوم القيامة هذا ما خطر على خاطرى القاصر والله ورسوله أعلم . فإنْ قيل كيف التوفيق بين الآية والحديث، فان الآية دلّت على اخراج الذرية من ظهور بنى آدم، والحديث على اخراج الذرية من ظهر آدم ؟ فجوابه أن المراد من بنى آدم آدم وذريته لكن غلب اخراج الذرارى من أصلاب أولاده نسلاً بعد نسل حينئذ على ذرارى نفسه ويعضده ما رواه الواحدى عن الكسائى أنه قال : لم يذكر ظهر آدم وانما خرجوا جميعاً عن ظهره لأن الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من بعضٍ على نحو ما هو المشاهد من الآباء، واستغنى عن ذكر ظهر آدم لم علم أنهم كلهم أولاده فأخرجوا عن ظهره .
ويمكن أن يقال المراد من اخراج الذرية من ظهر آدم اخراجها من ظهره أعم من أن يكون بلا واسطة أو بواسطة واحدة أو وسائط قليلة أو كثيرة ، ولما

كان من أخرج من ظهر آدم بلا واسطة قليلا ، ورد القرآن ناظراً إلى الغالب الذى كان ما سواه كالعدم فان ما ظهر من آدم بلا واسطة بالنسبة إلى ما خرج من ظهور ذريته كالعدم فقال تعالى : وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم ا.هـ)[(١)]

هكذا لم يوافق الكازرونى البيضاوى فى صرف الآيات عن ظاهرها وتأويل الأحاديث عن مدلولها لتوافق مذهب المتكلمين ، وانما عارضه الكازرونى بالحجة القاطعة واستشهد فى ذلك بالنصوص من الكتاب والسنة غير أن جل اعتماده فى ذلك قول الطيبى صاحب الحاشية على الكشاف.

خامسا : فى مجال الحديث :

وأما فى مجال الحديث فان الكازرونى يعرض عنها ولا يتعرض للأحاديث التى ذكرها البيضاوى سواء أكانت صحيحة أو ضعيفة أو موضوعة ، وعندما يأتى الكازرونى للأحاديث الموضوعة التى أتى بها البيضاوى فى آخر السور يقف تعليقه قبلها ثم ينتقل إلى السورة التى بعدها كأنه لم يمر عليها بخلاف الشهاب الخفاجى الذى تتبعها حديثاً حديثاً بالحكم عليها .

---

(١) حاشية الكازرونى على البيضاوى ٣ / ٣٣ - ٣٤

حاشية محى الدين زادة

أما حاشية الشيخ محى الدين شيخ زادة فإنّها أطول من حاشية الكازرونى وأقصر من حاشية الشهاب الخفاجى فهى وسط بينهما ، والشيخ زاده علق على كلام البيضاوى وشرحه شرحاً وافياً وخاصة فى جانب اللغة والاعراب فوضح غامضه وفكّ طلاسمه ، وأسوة بما مضى من التعليق على الحواشى نذكر كل فن على حده ونقول :

أولا : فى مجال اللغة :

والبيضاوى لتمكنه من اللغة وطول باعه فيها فانه يأتى بالمعانى اللغوية موجزة فيأتى الشيخ زادة ليشرح المعنى ويوضحه ويبين المراد منه وإذا استشهد البيضاوى ببيت من شعر فان الشيخ زاده يوضح المراد منه ويشرح كلماته ويبيّن معناها مثال ذلك ما جاء فى تفسير قوله تعالى :

" أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ " (١).

قال البيضاوى : (... والصيّب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللحساب قال الشّماخ :

واسحم دانٍ صادق الرعد صيّب

وفى الآية يحتملهما وتنكيره لأنّه أريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على أن الغمام مطبّق آخذ بآفاق السماء كلها فإنّ كل أفق منها يُسمَّى سماءً كما أن كل طبقة منها سماء وقال :

---

(١) سورة البقرة آية ١٩ .

ومن بعد أرض بيننا وسماء

أمدّ به ما في الصيب من المبالغة من جهة الأصل والبناء والتنكير، وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية).(١)

وقال الشيخ زادة: (قوله والصيّب فيعل من صاب يصوب إذا نزل وأصله صيوب فلما اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياءً وأدغمت الياء في الياء. ويقال لكل واحد من المطر والسحاب صيّب لوجود معنى النزول فيهما، وأورد البيت استشهاداً به على اطلاق الصيّب على السحاب وأوله:

عفا آية نسج الجنوب مع الصبا   واسحم دانٍ صادق الرعد صيّب

قوله عفا أي درس ومحا والآى جمع آية، وهي العلامة وضمير آية راجع إلى منزل الحبيبة، ونسج الجنوب والصبا هبوبهما، والجنوب ريح تهب عن يمين مَنْ يتوجه إلى المشرق، والصبا ريح تهب من جانب المشرق. شبه اختلافهما بنسج الحائك فجعل احدإهما بمنزلة السدى والآخر بمنزلة اللحمة. واسحم أي وسحاب أسود دانٍ أي قريب من الأرض. صادق الرعد أي ليس خداعاً بل كان ممطراً أي هطال متتابع المطر وهذه الأوصاف ظاهرة الثبوت للسحاب دون المطر. بل الدنو وصدق الرعد كأنهما نعتان فيه، والصيّب لكونه من صيغ الصفة المشبعة أبلغ من الصائبُ فيدل على الثبات والاستمرار والصائب إنّما يدل على الحدوث. قوله وفي الآية يحتملها:

---

(١) تفسير البيضاوي مع حاشية الشيخ زادة ١/١٦٥

أى أن لفظ الصيّب الذى ورد فى الآية يحتمل أن يراد به المطر والسحاب الا أن قوله بعد هذه الآية أريد به نوع من المطر شديد يدل على رجحان حمله على المطر حيث أورده على صورة القطع بإرادته).[1]

هكذا يستطرد الشيخ زادة فى شرحه لعبارة البيضاوى وينتقل إلى شرح الشاهد من الشعر ويعمد إلى الميزان الصرفي لبعض الكلمات حتى ينسى القارئ مدلول الآية .

وقد يبالغ الشيخ زاده فى شرح العبارة ويدلل على شرحه بالمنطق ثم يستدرك على البيضاوى فى استشهاده بالشعر ويصحح الخطأ غير أن القارئ ينتوه فى هذه المباحث . ففى تعليقه على بقية كلام البيضاوى فى الآية قال :

(قوله وتعريف السماء : يعنى أن قوله من السماء ذكر مع أن الصيّب لا يكون إلاّ من السماء ليتوصل بذكره الى تعريفه المفيد للاستغراق والمبالغة، فإنَّ اللام الكائنة لتعريف الجنس عند انتفاء قرينة تحمل على الاستغراق، فتفيد أن الصيب لا يختص بسماء ولو لم تذكر السماء أو ذكرت منكرة لم تحصل هذه الفائدة لجواز أن يكون الصيب من بعض السماء فقط فلما ذكرت معرفة علم أن الغمام مطبق بمعنى أن مطره أصاب جميع الأرض فإنَّ تطبيق الغيم والغمام عبارة عن شمول المطر النازل لأقطار الأرض ، فإنْ قيل اللام الاستغراقية الداخلة على اسم الجنس إنَّما تفيد شمول افراد ما دخلت هى عليه لا شمول أجزائه، فما وجه قوله "عرّف السماء" ليدل على أن الغيم مطبق وأن الصيّب نازل من الآفاق كلها ؟

---

(١) حاشية الشيخ زاده على البيضاوى ١٦٥/١ .

قلنا أشار المصنف رحمه الله تعالى إلى جوابه بقوله "فان كل أفق منها يسمى سماء"، يعني أنه يسمى سماء مجازا كما أن كل طبقة منها تسمى سماء حقيقة واستدل عليه بقوله :

فأوه لذكراها إذا ما ذكرتها * ومن بعد أرض بيننا وسماء

والرواية الصحيحة أوه بسكون الواو وكسر الهاء وربما قلبوا الواو الفاً وقالوا آه من كذا وربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا الهاء وقالوا : اوه من كذا . وعلى التقادير كلها هي كلمة توجع تستعمل مع اللام أي توجعت لذكر الحبيبة ومن بعدها بحيث وقع بيني وبينها قطعة أرض وقطعة سماء تقابل تلك القطعة من الأرض ، فالمراد بالأرض بعضها وبالسماء بعضها فلذلك نكرهما ليدل على الفردية ولو عرفهما لدل على أن جميع قطع الأرض وآفاق السماء حال بينه وبينها وذلك غير متصور ، ولما صح اطلاق السماء على كل ناحية وافق منها جيء بها في الآية معرفة باللام الاستغراقية ليفيد العموم ويدل على أن الصيّب نازل من جميع أفاق السماء ولو نكرت لاحتمل نزوله من بعض الآفاق دون بعض) (١) .

هكذا ينقلب التفسير إلى مباحث لغوية وجدلية فكان يكفي في الآية أن تشرح كلمة الصيّب ويبين المراد منها ثم يوضح فائدة ذكر التشبيه الوارد في الآية والعبرة منه بدلاً من الاستطراد في شرح العبارات اللغوية التي مجالها كتب اللغة .

---

(١) حاشية الشيخ زاده على البيضاوى ١/١٦٥ .

ثانيا : فى مجال النحـــو :

وفى مجال النحو ناقش الشيخ زادة عبارة البيضاوى ووجهها ووضع الغامض منها غير أنه يسهب كثيراً فى ذلك لما أسهب فى اللغة . ففى تفسير قوله تعالى : " وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ . . . الآية ". (١)

قال البيضاوى : (وما يتلى عليكم فى الكتاب عطف على اسم الله أو ضميره المستكن فى يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسنداً إلى الله تعالى والى ما فى القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره أغنانى زيد وعطاؤه . أو استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على أن ما يتلى عليكم مبتدأ وفى الكتاب خبره ، والمراد به اللوح المحفوظ ، ويجوز أن ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم أو يخفض على القسم كأنه قيل أقسم بما يتلى عليكم فى الكتاب ، ولا يجوز عطفه على المجرور فى "فيهن" لاختلاله لفظاً ومعنىً . فى يتامى النساء صلة يتلى ان عطف على الموصول على ما قبله أى يتلى عليكم فى شأنهن ، وإلّا فبدل من "فيهن" ، أو صلة أخرى "ليفتيكم" على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم فى زيد وهذه الاضافة بمعنى من لأنها اضافة الشىء الى جنسه) . (٢)

---

(١) سورة النساء الآية ١٢٧

(٢) حاشية الشيخ زادة على البيضاوى ٢/ ٧٣

وقال الشيخ زادة : (قوله وساغ للفصل أى جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير تأكيده بمنفصل للفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالمفعول والجار والمجرور مع أن الفصل باحداهما كافٍ ، كأنه قيل يفتيكم الله وكلامه كما يقال أعجبنى زيد وكرمه وأغنانى زيد وعطاؤه ، فان المسند إليه بالحقيقة شىء واحدٌ فى الجميع وهو المعطوف عليه إلاّ أنه عطف عليه شىء من الأحوال الدالة على أن الفصل انما قام بذلك الفاعل باعتبار اتصافه بتلك الحالة . قوله أو استئناف معترض أى بين البدل والمبدل منه ، فانَّ قوله فى يتامى النساء بدل من فيهن وفائدة الاخبار بأن المتلو الذى هو من القرآن مثبت فى اللوح تعظيم المتلو ورفع شأنه كقوله تعالى "وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم" . قوله لاختلاله لفظا ومعنى . أما من حيث اللفظ فلأنه عطف على المضمر المجرور من غير اعادة الجار وهو رأى الكوفيين ، وأما من حيث المعنى فلأن قوله "فيهن" معناه فى حقهن ، فلو كان ما يتلى معطوفا عليه لكان المعنى يفتيكم فى حق توريث النساء وفى حق ما يتلى عليكم وليس بسديد . قوله صلة يتلى ، كما أن فى الكتاب متعلق به أيضا فان قيل كيف يجوز تعلق حرفى جر بلفظ واحد ، ومعنى واحد بعامل واحد ؟ فالجواب ان معناهما مختلف لأن الأولى للظرفية على بابها والثانية بمعنى الباء السببية كما تقول جئتك فى يوم الجمعة فى أمر زيد ." قوله والا فبدلٌ ، أى وان لم يعطف الموصول على ما قبله جعل مبتدأ وفى الكتاب خبره ، يكون قوله فى يتامى النساء بدلا من فيهن بدل البعض من الكل باعادة الخافض على تقدير أن يكون

الخافض فى الموضعين بمعنى واحد وهو الظرفية أو يكون صلة أخرى ليفتيكم على تقدير أن تكون الأولى للظرفية والثانية بمعنى باء السببية كيلا يتعلق حرفا جرٍّ بلفظ واحدٍ ومعنى واحد بعامل واحد)(١)

تبين مما مضى أن تعليق الشيخ زادة على عبارة البيضاوى مجرد توضيح وشرح للمعنى وهذا محمدةٌ عظيمةٌ للشيخ زادة لأن عبارة البيضاوى بالفعل تحتاج الى شرح لأنها فى غاية الاختصار بل هى رموز لا يعرفها إلَّا أهل الشأن فى هذا الفن ، فحين قال البيضاوى : وساغ للفصل يقف القارىء حائراً فى ارجاع الضمائر لمعرفة المعنى وربما لا يدرك المعنى فتأتى عبارة الشيخ زاده موضحة مراد البيضاوى ومزيلة ذلك الغموضَ فقال جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير تأكيده بمنفصل للفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ، والشيخ زادة فى توضيحه مشعر بأنه لا يعتمد على شرح سابق أو حاشية لغيره كما يفعل الكازرونى الذى كان يعتمد اعتمادا كلياً على حواشى الكشاف .

ثالثا : فى مجال الفقه والأصول :

وأما فى مجال الفقه فإنَّ الشيخ زادة لا يتدخل فى الأحكام الفقهية التى يستنبطها البيضاوى من النصوص ولكن يشرح ما استنبطه البيضاوى من غير تأييدٍ ولا اعتراض ففى قوله تعالى : " فَإِن جَآؤُكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ "(٢).

---

(١) حاشية محى الدين شيخ زادة على البيضاوى ٢ / ٧٣

(٢) سورة المائدة آية ٤٢ .

قال البيضاوى : (تخييرٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تحاكموا إليه - يعنى أهل الكتاب - بين الحكم والاعراض. ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان إلى القاضى لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعى والأصح وجوبه إذا كان المترافعان أو أحدهما ذمّياً، لأنّا التزمنا الذبّ عنهم ودفع الظلم عنهم والآية ليست فى أهل الذمة وعند أبى حنيفة يجب مطلقاً)(١).

وقال محى الدين شيخ زادة : (قوله ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان إلى القاضى لم يجب عليه الحكم ، لأنَّ الله تعالى خيّر النبى صلى الله عليه وسلم فى الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا اليه إنْ شاء حكم وإنْ شاء ترك . فلو وجب على القاضى أن يحكم بينهم بحكم الاسلام لزم أن يكون هذا التخيير منسوخاً بقوله تعالى : " وأنِ احْكُمْ بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ "(٢))(٣) .

وفى قوله تعالى فى سورة براءة : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا "(٤).

دلت الآية إلى ثلاثة مسائل مسألتان فقهيتان ومسألة أصولية .

فالمسألتان الفقهيتان إحداهما : فى نجاسة المشركين هل النجاسة عالقة بهم أم النجسة أعيانهم ؟ . والثانية فى حكم دخولهم المسجد الحرام.

وأما المسألة الأصولية فهى هل الكفار مخاطبون بالفروع أم لا ؟

---

(١) تفسير البيضاوى بحاسية الشيخ زادة ٢/١١٤

(٢) سورة المائدة آية ٤٩

(٣) حاشية محى الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوى ٢/١١٤

(٤) سورة براءة آية ٢٨

ففي حكم نجاسة المشركين قال البيضاوي : (إِنَّما المشركون نجس لخبث باطنهم، أو لأنه يجب أن يجتنب عنهم كما يجتنب عن الأنجاس، أو لأنهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات، فهم ملابسون لها غالباً ، وفيه دليل على أنَّ ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن أعيانهم نجسة كالكلاب) [(١)] .

وقال الشيخ زادة بعد توضيح المعاني اللغوية : (قوله أو لأنه يجب أن يجتنب عنهم ، يعني أن التركيب من قبيل زيد أسد من باب التشبيه البليغ كأنه قيل انهم بمنزلة الشيء النجس العين في وجوب الاجتناب عنهم وهو قريب من قول صاحب الكشاف « أو جُعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها . قوله " أو لأنهم لا يتطهرون " . أي من الجنابة والحدث ولا يتجنبون من النجاسات العينية فكانوا ذوي نجاسات حكمية وحقيقية، فحكم عليهم بأنهم نجسٌ بمعنى ذوي نجس في أعضائهم الظاهرة، كما أن المعنى على الوجه الثاني كون الكلام محمولاً على التشبيه والمبالغة، والحاصل أن جمهور الفقهاء اتفقوا على أن الكفر لا يؤثر في نجاسة بدن الكافر نجاسة حقيقية، وإنَّما يؤثر في نجاسة باطنة، فكان صفة الكفر القائم بهم بمنزلة النجاسة الملتصقة بالشيء ومنهم مَنْ يقول في تأويل الآية إنَّهم لما لم يتطهروا من الجنابة والحدث ولا من سائر النجاسات التي تصيب أجسادهم كانوا ذوي نجس فحكم عليهم بأنهم نجس لذلك . ومنهم مَنْ يقول معنى الآية انهم

---

(١) تفسير البيضاوي مع حاشية محي الدين شيخ زاده ٢/٣٢٧ .

بمنزلة الأعيان النجسة فى وجوب الاجتناب عنهم) .[(١)]

وفى المسألة الثانية وهى فى حكم دخول المشركين المسجد الحرام قال البيضاوى : (قيل المراد به النهى عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقاً وإليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى ، وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام فى المنع) .[(٢)]

وأما محى الدين شيخ زادة فقد أطنب فى المسألة وتعرَّض إلى تحديد موضع المسجد الحرام وذكر الخلاف فيه وسرد الأقوال فقال :

(قيل المراد بالمسجد الحرام نفس المسجد ، وقيل جميع الحرم وهو الأقرب لقوله تعالى : " وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ "[(٣)] وذلك لأن موضع التجارات ليس هو عين المسجد ، فلو كان المقصود من هذه الآية المنع من المسجد خاصة لما خافوا بسبب هذا المنع وانَّما يخافون العيلة إذا منعوا من حضور الأسواق والمواسم ويؤكد هذا قوله تعالى " سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ " .[(٤)] مع أنهم أجمعوا على أنه انَّما رفع الرسول عليه الصلاة والسلام من بيت أم هانىء ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام : لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب[(٥)] . وهى من أقصى عدن أبين

---

(١) حاشية محى الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوى ٢ / ٣٢٧

(٢) تفسير البيضاوى مع حاشية الشيخ زاده ٢ / ٣٢٨

(٣) سورة التوبة آية ٢٨

(٤) سورة الاسراء آية ١

(٥) مسند أحمد ٦ / ٢٧٥

إلى ريف العراق طولا . ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى أطراف الشام عرضاً . وأعلم أن جملة بلاد الاسلام فى حق الكفر ثلاثة أقسام :

القسم الأول الحرم فلا يجوز لكافر أنْ يدخله بحال ذمياً كان أو مستأمناً لظاهر هذه الآية، وإذا جاء رسول من دار الكفر إلى الإمام والإمام فى الحرم لا يأذن له فى دخوله، بل يبعث إليه من يسمع رسالته خارج الحرم، وان دخل مشرك فى الحرم متواريا فمرض فيه أخرجناه مريضاً . وان مات ودفن ولم نعلم نبشناه وأخرجنا عظامه إذا أمكن . هذا مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه . وجوز أهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم وانما يمنع من الحج والعمرة . والقسم الثانى من بلاد الإسلام الحجاز فيجوز للكافر دخولها بالإذن ولكن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام لما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لئن عشت إلى قابل لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلاّ مسلماً (١)، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر وأجلاهم عمر فى خلافته وأجّل لمن يقدم منهم تاجراً ثلاثاً . والقسم الثالث ، سائر بلاد الإسلام يجوز للكافر أن يقيم فيها بذمة أو أمان ولكن لا يدخل المساجد إلاّ بإذن المسلم) (٢) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجهاد ١٢/٩٢

(٢) حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوى ٢/٣٢٨

وأما المسألة الثالثة وهى هل الكفار مخاطبون بالفروع فقد أعرض عنها الشيخ زادة حيث أوردها البيضاوى واستدل بهذه الآية فى مخاطبة الكفار بالفروع وأنهم مأمورون بها كأمرنا بها . والمسألة خلافية فمن العلماء من قال أن الكفار مخاطبون بالفروع كالبيضاوى ومَنْ وافقه ومنهم مَنْ قال أنهم مخاطبون بالاسلام أولا فاذا فعلوه خوطبوا بالفروع وان لم يستجيبوا للاسلام فلا خطاب لهم بشىء إذ لا عمل ينفع بغير إسلام.

وفى مجال الأصول قد يعترض الشيخ زادة أحياناً على البيضاوى ويرد قوله ، والبيضاوى يتبنى مذهب الشافعية فى الأصول القائل بجواز تأخير البيان عن وقت الخطاب ، جاء ذلك فى تفسير قوله تعالى :

" إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ "(١)

قال البيضاوى : (إنّكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الأوثان وابليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم فى حكم عبدتهم لما روى أنه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى : قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيراً والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك فأنزل الله " إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ(٢) الآية " وعلى هذا يعم الخطاب ويكون (ما) مؤولا بمن أو بما يعمه ويدل عليه ما روى أن ابن

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٨

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠١

الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله فقال عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيان للتجوز أو التخصيص تأخر عن الخطاب) (١).

وقال الشيخ زادة : (قوله بيان للتجوز أو التخصيص تأخر عن الخطاب. الأول على تقدير أن يكون المقصود من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى بيان تناول الحكم لغير أهل الحسنى من العقلاء . والثاني على تقدير أن يكون المقصود تخصيص ما تعبدون بغير أهل الحسنى مع كونه في نفسه يعم أهل الحسنى وغيرهم وعلى التقديرين يكون قوله تعالى: "ان الذين سبقت لهم منا الحسنى" من قبيل بيان التفسير ومثل هذا البيان لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة الى العمل بالاتفاق، لأنه تكليف ما لا يطاق، وأما جواز تأخيره عن وقت الخطاب، فهو مختلف فيه بين الحنفية والشافعية، جوَّزه الشافعية استدلالا بهذه الآية ووجه الاستدلال ما أشار به المصنف من أنه تعالى أنزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أى تحصبون فيها وترمون وتأخر عنه نزول قوله "ان الذين سبقت لهم منا الحسنى" وهو بيان لما نزل قبله بيان تجوز أو بيان تخصيص حتى جرى بين ابن الزبعرى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرى، وأجاب الحنفية عن هذا الاستدلال بأن قوله وما تعبدون لم يتناول عيسى عليه الصلاة والسلام وعزيراً والملائكة حقيقة، لأنّ (ما) لغير العقلاء الا ترى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له ما أجهلك بلغة قومك يا غلام

---

(١) تفسير البيضاوى مع حاشية محى الدين شيخ زادة ٣٦٦/٣

أما علمت أن(ما) لما لا يعقل فيكون قوله تعالى" ان الذين سبقت لهم منا الحسنى" على هذا بيان تقرير وبيان التقرير يصح متراخياً وسؤال ابن الزبعرى وارد على طريق التعنت بناءً على أنه جعل ما مستعملة بمعنى من مجازاً ،أو حمله على التغليب فسأل بناء على ظنه الفاسد ثم انه عليه الصلاة والسلام أجابه بقوله ما أجهلك،فقد رد عليه بأن(ما) لما لا يعقل فلا يرد ما أوردته على الآية من النقض بالملائكة ونحوهم،وان صح أنه عليه الصلاة والسلام أجاب بأن قال انهم ما عبدوا ما ذكرته من أهل الحسنى وانما عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك فهو جواب بطريق التسليم أى لو سلم أن قوله تعالى ما تعبدون يتناول العقلاء الفضلاء لكن لا نسلم أنهم عبدوا أولئك المكرمين فى الحقيقة بل عبدوا الشياطين الذين أمروا بذلك،والتعبير عنهم بلفظ (ما)ليس مبنياً على حمله على المعنى المجازى بل مبنى على عدهم، أى على عد الشياطين فى عداد الأصنام الجامدة التى تبعد بمراحل عن العقل والتمييز،وكذا قوله عليه الصلاة والسلام "بل لكل من عبد من دون الله" إن صح ذلك عنه مبنى على التسليم أيضاً والحاصل أن المراد بقوله ما تعبدون الشياطين وعلى التقديرين لم يكن قوله وما تعبدون مستعملاً فى العقلاء مجازاً ولا متناولاً لأهل الحسنى ، حتى يقال قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى بيان للتجوز أو التخصيص تأخّر عن الخطاب كما قاله الشافعية،بل ليس ذلك إلاّ بيان تقرير يصح متراخياً عن الخطاب ، فليس فى الآية ما يدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب على جميع الروايات فليتأمل فان المقام

محل التفات) (١) .

رابعاً : فى مجال العقيدة :

وفى مجال العقيدة نجد الشيخ زادة يوافق البيضاوى فى كثير من التحقيقات وخاصة فى ما يتعلق بتأويل آيات الصفات وصرفها عن ظاهرها إلّا أنه يترك ذلك ويرجع عنه ويعود إلى الأصل الصافى من الكتاب والسنة فيثبته ويقول به ويعتمده . ففى تفسير قوله تعالى : " وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ " (٢) . حين قال البيضاوى فيها : (تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى : " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ " (٣) . ولا كرسى فى الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه أو ملكه الخ) (٤) .

قال الشيخ زادة : (قوله تصوير لعظمته - تقريره أنه تعالى خاطب الخلق فى تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه فى ملوكهم وعظمائهم كما جعل الكعبة بيتاً له يطوق الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وأمر الناس بزيادته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر فى الحجر الأسود أنه يمين الله تعالى فى أرضه ثم جعله موضعا للتقبيل كما يقبل الناس أيدى ملوكهم ، وكذلك ما ذكر فى محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء

---

(١) حاشية محى الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوى ٣٦٩/٣ ، ٣٧٠

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٣) سورة الزمر آية ٦٧

(٤) تفسير البيضاوى مع حاشية محى الدين شيخ زادة ٥٦٩/١

ووضع الميزان وعلى هذا القياس، أثبت لنفسه عرشا فقال " الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى "(١) ثم أثبت لنفسه كرسياً فقال " وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ "(٢) والحاصل أن كل ما كان ما جاء من الألفاظ الموهمة للتشبيه في العرش والكرسي، فقد ورد مثلها بل أقوى منها في الكعبة والطواف وتقبيل الحجر، ولما توافقت الأمة ههنا على أن المقصود تعريف عظمة الله تعالى وكبريائه، مع القطع بأنه تعالى منزه عن أن يكون في الكعبة، كما توهمه تلك الألفاظ، فكذا الكلام في العرش والكرسي . قال الإمام هذا تأويل متين إلَّا أن فيه ترك الظاهر بغير دليل وذا لا يجوز والمعتمد هو قول مَنْ قال أن الكرسي جسم عظيم يسع السموات والأرض، والقائلون بهذا القول اختلفوا فقال الحسن الكرسي هو نفس العرش لأنَّ السرير قد يوصف بأنه عرش، وبأنه كرسي، لكون كل منهما بحيث يصح التمكن عليه، وقال بعضهم بل الكرسي غير العرش . ثم اختلفوا فمنهم من قال انه دون العرش وفوق السماء السابعة وقال آخرون انه تحت الأرض وهو المنقول عند السدى . وقد جاء في الأخبار الصحيحة أن الكرسي جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة . ولا امتناع من القول به فوجب القول به).(٣)

فالعجب كل العجب للشيخ زادة يذكر الحديث ويصححه ويقول به، بل يوجب القول به ويأتي في أول الكلام بالتأويل الذى يخالف الحديث الصحيح .

---

(١) سورة طه آية ٥

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٣) حاشية محى الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوى ١/٥٦٩

فاذا آمن الانسان بما ورد في الحديث فما هو الداعي لايراد التأويل المخالف للحديث فكان ينبغي له أن يورد الحديث في البداية ويرد به قول البيضاوى لأنه نص صريح بدلاً من الخوض في هذا التأويل الباطل .

خامسا : في مجال الحديث :

وأما في مجال الحديث فقد أعرض الشيخ زادة عن مناقشة الأحاديث الضعيفة والموضوعة التى أتى بها البيضاوى في أواخر السور فتركها الشيخ زادة وكأنه لم يراها فكان الأجدر به أن يبين الموضوع منها والضعيف لأن عدم ذكر الحكم عليها يفهم منه أنه يرتضيها ويوافق عليها لأنه لو لم يرتضيها لتعرض لها وذكر ضعيفها وموضوعها كما كان يعترض على المسائل التى لا يوافق عليها، فمثلاً في أسباب النزول لم يوافق على أن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن . قال البيضاوى فيها : (المدثر أى المدتثر وهو لابس الدثار روى أنه عليه الصلاة والسلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم أر شيئاً فنظرت فوقي فاذا هو على العرش بين السماء والأرض يعني الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر[(١)] ولذلك قيل هى أول سورة نزلت) .[(٢)]

---

(١) أخرجه البخارى كتاب بدء الوحي . صحيح البخارى بشرح فتح البارئ ٦٢/١

(٢) تفسير البيضاوى بحاشية محى الدين شيخ زادة ٤/ ٥٦٨ .

وقال محى الدين شيخ زادة : (قال صاحب الكشف : وهذه الرواية لا تدل على أنها أول سورة نزلت والظاهر أنها (إقرأ) الى قوله تعالى ما لم يعلم للأحاديث الصحاح فى ذلك ولأنها كانت فى حراء وهذه بعد الهبوط ولقوله عليه الصلاة والسلام لست بقارىء فانه لا يتصور إلا اذا أنزل ذلك أولا وإلا لكان الامتناع عنه معصية والوجه أن يراد بالسورة فى قول مَنْ قال انها أول سورة نزلت السورة كاملة) . (١)

هذا تعليق مختصر على بعض حواشي البيضاوى يكون مثالا لمنهج أصحاب الحواشي . ولم يكن التعليق شاملاً لكل الفنون والمسائل التى ناقش فيها أصحاب الحواشي البيضاوىء ولكن اكتفينا بذكر أهمها ليكون نموذجاً عن منهجهم فى التعليق على عبارة البيضاوى والله وراء القصد وهو يهدى السبيل .

....

---

(١) حاشية محى الدين زادة على تفسير البيضاوى ٤ / ٥٦٨

(الخاتمـــــــة)

أهـم النتـائـج الـتي توصـلت اليهـا في البحـث

سلك المفسرون في تفسير القرآن الكريم مسلكين . مسلك الـتزم أصحابه في تفسيرهم للآيات الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم وأصحابه والتابعين ويسمى التفسير بالمأثور . ومسلك سار فيه أصحابـه في تفسيرهم للآيات على المعاني اللغوية وما دلّت إليه الآية مـن الأحكام داخل اطار الشرع وعبّر عنه السيوطي بقوله : (التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع)(١) ويسمى بالتفسير بالـرأى . ولكن أصحاب المسلك الثاني وهم أهل التفسير بالرأى لم يسلم الكثـير منهم من اتباع بعض الفرق الضالة والمذاهب الهدامة فأدخلوا في تفسيرهم أشياء تخالف منهج السلف .

والبيضاوي من أصحاب المسلك الثاني وهم أهل التفسير بالـرأى وتفسيره من بين التفاسـير التي دخلتها أفكار أهل البدع والاهواء غـير أن له فوائد علمية قيمة . وأستطيع أن ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها في دراسة تفسير البيضاوي في نقاط فأقـول :

١ - جمع البيضاوي أصول العلوم كالفقه وأصوله ، واللغة وفروعهـا ، والتفسير والمنطق ، وعلم الكلام والتاريخ وغيرها ، فأودع في تفسيره كثيراً من هذه العلوم أضفت على تفسيره قيمة علمية جيدة .

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ٢/ ٢٢٩

٢ - امتاز تفسير البيضاوى بالدقة والاختصار ، فعباراته موجزة للغاية، غير أنها جامعة لكثير من الحقائق العلمية فلو بسطت أو شرحت لكان التفسير مطولاً وكبيراً .

٣ - غلب علم الكلام على البيضاوى الأمر الذى أثّر فى عقيدته فناصر الأشاعرة وتأثّر بالمعتزلة وخاصةً الزمخشرى فتبعه فى كثير من الآراء . وانتهج أسلوب التأويل فخرج بكثير من الآيات من معناها إلى معنى يوافق عقائد المتكلمين ، لذا يجب الحذر عند قراءته والرجوع إلى أقوال السلف فى المتشابه من الآيات .

٤ - تعاملُ البيضاوى مع الأحاديث فى تفسيره ، خلا عن ذكر السند أو الاشارة إلى درجة الحديث بالصحة أو الضعف، لذا نجد التفسير قد جمع الحديث الصحيح والحسن والضعيف
والموضوع ولم يتحرج من ذكر الحديث الضعيف
والموضوع وخاصة فى أواخر السور فى ذكر فضائلها . لذا يجب التنبيه عند قراءته بالرجوع إلى كتب التفسير بالمأثور والاكتفاء بما أوردوه من أثر فى فضائل السور .

٥ - اشتهر تفسير البيضاوى واهتم العلماء به، وتولوه بالشرح والتحشية والتعليق حتى فاقت هذه الحواشى على المائة .

٦ - لم يحظ تفسير البيضاوى بطباعة جيدة سواء أكان التفسير مجرداً أو مع أى حاشية من الحواشى . فانى اقترح أن يطبع هذا التفسير طباعة جيدة مجرداً مرة وعليه بعض الحواشى
وإنى أقترح أن تكون حاشية الشهاب لما فيها من
فائدة عظيمة وأن يراعى فى ذلك تجريده من الأحاديث الموضوعة فى أواخر السور .

والله وراء القصد وهو يهدى السبيل . !

* * * *

*

الفهارس

. . . .

*

فهـــــرس الآيـــــات

الآيـــة	رقمهـا	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
اياك نعبد واياك نستعـين	٥	٦٧
سورة البقرة		
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الاخر وماهم بمؤمنين	٨	٨٧
أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين	١٩	٣٨٠
يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا	٢٠	٦٨
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله	٢٣	٢٠٠
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين	٢٤	٢٤٦
يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين	٢٦	٣١٧
واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة	٣٠	٧٢
وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة	٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧	٣٢٦
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .	٣٩	٤٥٦
واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعـة .	٤٨	٣١٩
ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة	٦٧	١٣٥
واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة .	من ٦٧ - ٧٣	٢٩٣

الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين	١٨٠	١٩٠
وعلى الذين يطيقونه فديـــــة طعام مسكين	١٨٤	١٢٨،١٨٣،١٨٤،
فمن شهد منكم الشهر فليصمــــه	١٨٥	٢٦٩
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر	١٨٧	١٥٩، ٢٠٨
وأتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر مـــن الهدى ولاتحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله	١٩٦	٢٧٦
فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام	١٩٨	٢٥٦
واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه	٢٠٣	٣٦١
يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين	٢١٥	١٩٢
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والاخرة .	٢١٧	٢١٥
والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء	٢٢٨	٥١، ٢٠٩
حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى	٢٣٨	٤٦
والكافرون هم الظالمون	٢٥٤	٢١٤
وسع كرسيه السموات والأرض	٢٥٥	،٣٢٠، ٣٩٤ ٣٩٥، ٩٤

الآيـــــــة	رقمهـــا	رقم الصفحة
سورة النســـاء		
وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها	٣٥	٣٠٩
فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا .	٤١	٤٢
فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا	٤٣	١٣
ان الله لا يغفر ان يشرك به	٤٨	١٩٦
ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما	٥٤	٢٠٨
بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب	٥٦	٥٨
فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول	٥٩	٩٣
وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله	٦٤	٧٢
واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به	٨٣	٢٦١
ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم	٩٣	١٩٦
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم	١١٥	٨٠
ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن	١٢٧	١٠٨ ، ٣٨٤

الآيـــــــــــة	رقمهـــا	رقم الصفحة
سورة التوبـــــه		
وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا	٣١	٢٢٣
انفروا خفافا وثقـالا	٤١	٣٦١
انما الصدقات للفقراء والمساكين	٦٠	٣٨
ان المنافقين هم الغاســـقون	٦٧	٣١٨
المؤمنون والمؤمنـات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكـر	٧١	٣٣
فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم	٧٧	٣٠٣
أفمن أسس بنيانـــــه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به	١٠٩	٢٠٢
وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة	١٢٢	٢٨٢
لقد جاءكم رسول من أنفسكم	١٢٨	٣٥٦
ســـورة يونـــس		
الم تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم	١ ، ٢	٣٥٥
يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا	٢٣	٢٧٤
انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء	٢٤	٢٠٠
والله يدعوا الى دار السلام	٢٥	٢٠٢

الآيـــــة	رقمهـا	رقم الصفحة
ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور	٤٣	١٩٧
الى الله تصير الأمـور	٥٣	٣٢٤
سورة الزخـرف		
ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم	٩	٢٢٣
أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين	١٨	١٢٣
وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم	٣١	٣٥٧
لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسـون	٧٥	٢٢١
ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك	٧٧	٢٢١
ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة	٨٦	٣٢٠
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله	٨٧	٢٢٣
سورة الفتح		
يد الله فوق أيديهـم	١١	١٣
سورة محمـد		
ذلك بأن الله مولى الذين آمنـوا	١١	٣٣٢
سورة الحجرات		
يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي .. الى قوله وأجر عظيم	٢ ، ٣	١٦٢

فهرس الحديث

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

١ - اتحاف الراوى فى تخريج أحاديث البيضاوى ، لابن همام الدمشقى ، شريط مصور بمكتبة . .

٢ - اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر ، للشيخ أحمد البنا ، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفى بمصر ، بدون .

٣ - الاتقان فى علوم القرآن / لجلال الدين السيوطى ، مطبعة مصطفى الحلبى بالقاهرة ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

٤ - أحكام القرآن للجصاص (أبو بكر أحمد بن على) ، مطبعة دار الكتاب ببيروت. (بدون) .

٥ - أحكام القرآن لابن العربى (أبو بكر محمد بن عبد الله) تحقيق الأستاذ على محمد البيجاوى / طبعة ثانية / مطبعة عيسى الحلبى بالقاهرة - ١٣٨٧ هـ - ١٩٥٩م.

٦ - أسباب النزول (للواحدى) لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

٧ - أصول الدين (للبغدادى) ، لأبى منصور عبد القادر بن طاهر التميمى البغدادى ، مطبعة الدولة باستانبول ، ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨م.

٨ - أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م

٩ - اعراب القرآن (للنحاس) لأبى جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس، تحقيق د . زهير غازى زاهد ، مطبعة العانى بغداد ١٩٨٠م .

١٠ - اعراب القرآن (للزجاج) ، لأبى اسحاق ابراهيم بن السرى بن سهل النحوى المشهور بالزجاج ، مطبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .

١١ - الأعلام ، لخير الدين الزركلى ، الطبعة الثالثة بيروت ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م .

١٢ - أمثال القرآن ، لشمس الدين محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى الحنبلى المعروف بابن القيم الجوزية ، تحقيق ناصر بن سعد الرشيد ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م .

١٣ - الناسخ والمنسوخ لأبى القاسم هبة الله بن سلامه أبى نصر ، مطبوع بهامش أسباب النزول للواحدى ، مطبعة عالم الكتب ، بيروت ، بدون .

١٤ - الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير السكندرى المالكى ، مطبوع بهامش الكشاف ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، بدون .

١٥ - الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ، لأبى محمد مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار القيسى ، تحقيق أحمد حسن فرحات ، الرياض ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧١م .

١٦ - ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لاسماعيل باشا بن محمد أمين بن ميرسليم ، مطبعة مكتبة المثنى بغداد ، بدون .

١٧ - البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى الغرناطى ، مطبعة دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

١٨ - بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ، لعلاء الدين أبى بكر بن مسعود الكاسانى الحنفى ، مطبعة الامام ١٣ شارع محمد كريم بالقلعة بالقاهرة ، بدون .

١٩ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، للقاضى أبى الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبى الأندلسى الشهير بابن رشد الحفيد ، مطبعة دار الفكر ، بدون .

٢٠ - البداية والنهاية ، لاسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى ، مطبعة مكتبة المعارف ببيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٧م .

٢١ - البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة ، لعبد الفتاح القاضى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .

٢٢ - البرهان فى أصول الفقه ، لامام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى ، تحقيق د . عبد العظيم الديب ، مطابع الدوحة الحديثة ١٣٩٩هـ .

٢٣ - بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥م .

٢٤ - تاريخ التمدن الاسلامى ، لجرجي زيدان ، مطابع الهلال ١٩٥٨م.

٢٥ - التاريخ الكبير ، للحافظ أبى عبد الله اسماعيل بن ابراهيم الجعفى البخارى ، مطبعة دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان .

٢٦ - التبيان فى اعراب القرآن ، لأبى البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

٢٧ - التسهيل لعلوم التنزيل ، لمحمد بن أحمد بن جزى الكلبى الغرناطى ، مطبعة حسان القاهرة ، بدون .

٢٨ - تفسير ابن كثير ، لعماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقى ، مطبعة دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، بدون .

٢٩ - تفسير أبى السعود ، لقاضى القضاة أبى السعود بن محمد العمادى الحنفى ، مطبعة السعادة ، بدون .

٣٠ - تفسير البغوى لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء ، مطبوع بهامش تفسير الخازن ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م.

٣١ - تفسير البيضاوى ، لناصر الدين عبد الله بن عمر القاضى البيضاوى ، مطبعة المشهد الحسينى بمصر ، بدون .

٣٢ - تفسير التبيان ، لأبى جعفر محمد بن الحسن بن على بن الحسن الطوسى ، مطبعة النعمان النجف الأشرف ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م.

٣٣ - تفسير الخازن ، لعلاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .

٣٤ - تفسير الراغب الأصفهانى ، لأبى القاسم الراغب الأصفهانى ، مخطوط مصور من مكتبة أيا صوفيا بتركيا تحت رقم ٢١٢ .

٣٥ - تفسير الزمخشرى ، لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

٣٦ - تفسير النسفى ، لعبد الله بن أحمد النسفى ، مطبعة دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه .

٣٧ - تفسير الطبرى ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر .

٣٨ - تفسيرالقاسمى ، لمحمد جمال الدين القاسمى ، مطبعة دار الفكر بيروت ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

٣٩ - تفسير القرطبى ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ، ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩م .

٤٠ - التفسير القيم ، لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية ، مطبعة لجنة التراث العربى بيروت لبنان .

٤١ - التفسير الكبير ، للامام أبى بكر فخر الدين الرازى ، المطبعة البهية المصرية ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م .

٤٢ - التفسير والمفسرون ، للدكتور محمد حسين الذهبى ، مطبعة السعادة الطبعة الثانية ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م .

٤٣ - التفسير ورجاله ، لمحمد الفاضل بن عاشور ، مطبعة دار الكتب الشرقية تونس .

٤٤ - تهذيب التهذيب ، للحافظ أحمد بن حجر العسقلانى ، مطبعة دار المعارف النظامية بالهند ، ١٣٢٥ هـ .

٤٥ - حاشية الشريف الجرجانى على الكشاف ، لعلى بن محمد بن على السيد زين الدين بن الحسن الحسينى الجرجانى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، بدون .

٤٦ - حاشية الكازرونى ، لأبى الفضل القرشى الصديقى الخطيب المشهور بالكازرونى ، مؤسسة شعبان بيروت .

٤٧ - حاشية الشهاب المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى ، للشيخ أحمد بن محمد ابن عمر الملقب بشهاب الدين الخفاجى المصرى الحنفى ، دار صادر بيروت ، بدون .

٤٨ - حاشية زادة ، لمحى الدين شيخ زاده ، مطبعة المكتبة الاسلامية ، بدون .

٤٩ - حجة القراءات ، لأبى زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق سعيد الأفغانى ، مطبعة مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

٥٠ - الحجة فى القراءات السبع ، لأبى عبد الله الحسين بن أحمد بن خالوية بن حمدان ، تحقيق د . عبد العال سالم مكرم ، مطبعة دار الشروق ، الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م.

٥١ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (لأبى نعيم) أحمد بن عبد الله الأصهبانى ، مطبعة السعادة مصر ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٥٢ - دائرة المعارف الاسلامية ، مطبعة تمران بوذر حميرى ، بدون .

٥٣ - الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطى ، مطبعة دار الفكر لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

٥٤ - روح البيان ، لاسماعيل حقى البرسوى ، مطبعة دار الفكر ، بدون .

٥٥ - روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى ، لأبى الفضل شهاب الدين محمود الألوسى ، مطبعة دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

٥٦ - روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات ، للميرزا محمد باقر الموسوى الخوانسارى الأصبهانى ، تحقيق أسد الله اسماعيليان مطبعة مهر استوار قم طهرالى ١٣٩١ هـ .

٥٧ - زاد المسير فى علم التفسير ، لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى القرشى البغدادى ، مطبعة المكتب الاسلامى للطباعة والنشر الطبعة الأولى ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

٥٨ - السبعة فى القراءات ، لأبى بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمى البغدادى ، مطبعة دار المعارف القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠ هـ .

٥٩ - سنن ابن ماجة ، لأبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجه ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمى ، مطبعة شركة الطباعة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

٦٠ - سنن أبى داود بشرح عون المعبود ، للحافظ سليمان بن الأشعث السجستانى ، مطبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، بدون .

٦١ - سنن الترمذى بشرح عارضة الأحوذى ، للحافظ أبى عيش محمد بن عيسى السلمى ، مطبعة دار العلم للجميع ، بدون .

٦٢ - سنن الدارقطنى ، لعلى بن عمر الدارقطنى ، المطبعة العربية ملتان باكستان ، بدون .

٦٣ - سنن الدارمى ، لأبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمى السمرقندى الدارمى ، مطبعة دار الفكر القاهرة ، بدون .

٦٤ - السنن الكبرى (للبيهقى) مع الجوهر النقى لأبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ، مطبعة دار الفكر ، بدون ، ومطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن .

٦٥ - سنن النسائى بشرح جلال الدين السيوطى حاشية السندى ، لأبى عبدالرحمن بن شعيب النسائى ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ادارة محمد محمد عبداللطيف .

٦٦ - شد الأزار وحط الأوزار ، لمعين الدين أبو القاسم ، مطبعة طهـران ، نسخة دار الكتب ، بدون .

٦٧ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ، مطبعة المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

٦٨ = شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، لأبى محمد عبد الله جمال الدين بن يونس ابن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصارى ، مطبعة السعادة ، الطبعة الثامنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م .

٦٩ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضى ابى الفضل عياض اليحصبى ، مطبعة المكتبة التجارية الكبرى ، بيروت .

٧٠ - الصحاح المسمى تاج اللغة وصحاح العربية لاسماعيل بن حماد الجوهـرى تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، مطبعة دار العلم للملايين بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

٧١ - صحيح ابن خزيمه ، لأبى بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة السلمى النيسابورى ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمى ، مطبعة المكتب الاسلامى بيروت ، الطبعـة الأولى ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

٧٢ - صحيح البخارى بحاشية السندى ، مطبعة ومكتبة أحمد بن سعيد بن نبهان وأولاده سربايا ، اندونيسيا ، بدون .

٧٣ - صحيح البخارى بشرح فتح البارى لأبى عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩م .

٧٤ - صحيح مسلم بشرح الندوى ، لأبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ، مطبعة دار احياء التراث العربى بيروت ، ١٣٤٧هـ ١٩٢٩م .

٧٥ - طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى ، المطبعة الحسينية المصرية ، بدون .

٧٦ - طبقات الشافعية (للأسنوى) ، جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى ، تحقيق عبد الله الجبور ، مطبعة الارشاد بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م .

٧٧ - طبقات الفقهاء ، لأبى اسحاق الشيرازى ، مطبعة المكتبة العربية ببغداد ، ١٣٥٦ هـ .

٧٨ - عمل اليوم والليلة (لابن السنى) ، أحمد بن محمد بن السنى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م .

٧٩ - عيون التواريخ لمحمد بن شاكر بن أحمد المعروف بابن شاكر الكتبى ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٧٦ .

٨٠ - الغاية القصوى في دراية الفتوى ، للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي ، تحقيق علي محي الدين علي القره داغي ، مطبعة دار الاصلاح للطبع والنشر والتوزيع .

٨١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لشهاب الدين أبي الفضل العسقلاني المعروف بابن حجر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩م .

٨٢ - الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، لعبد الله مصطفى المراغي ، مطبعة محمد أمين رمج وشركاه ، بيروت ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م .

٨٣ - فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، الطبعة الثانية ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .

٨٤ - الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لعلي بن أحمد بن حزم الظاهري الأندلسي ، مطبعة مكتبة المثنى بغداد ، بدون .

٨٥ - فهرس مخطوطات جامعة أم القرى .

٨٦ - فهرس مخطوطات جامعة الامام محمد بن سعود .

٨٧ - فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكي .

٨٨ - القراءة الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ، لعبد الفتاح القاضي ، مطبعة دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بدون .

٨٩ - الكامل فى اللغة والأدب ، لأبى العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ، مطبعة مكتبة المعارف بيروت .

٩٠ - كتاب سيبويه ، لأبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م.

٩١ - كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لمصطفى عبد الله الشهير بحاجى خليفة ، مطبعة وكالة المعارف ، ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١م.

٩٢ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لابى محمد مكى ابن أبى طالب القيسى تحقيق د . محى الدين رمضان ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٩٣ - لسان الميزان ، لأحمد بن على بن حجر العسقلانى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٢٩ هـ .

٩٤ - لسان العرب (لابن منظور) ، لجمال الدين محمد بن مكرّم الأنصارى ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق .

٩٥ - لطائف الاشارات لفنون القراءات ، للامام شهاب الدين القسطلانى ، بتحقيق عام السيد عثمان و د . عبد الصبور شاهين ، مطبعة القاهرة ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م.

٩٦ - مجمع البيان فى تفسير القرآن ، لأبى على بن الحسن الطبرسى ، مطبعة مكتبة الحياة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١م.

٩٧ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين على بن أبى بكر الهيتمى ، مطبعة دار الكتاب بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

٩٨ - مجموع الفتاوى ، لشيخ الاسلام أحمد بن تقى الدين بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مطبعة مكتبة المعارف الرباط المغرب.

٩٩ - المحصول فى علم أصول الفقه ، للامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازى ، دراسة وتحقيق الدكتور فياض العلوانى ، طبع جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

١٠٠ - مختار الصحاح ، لمحمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى ، مطبعة دار التراث العربى للطباعة والنشر ، بدون.

١٠١ - مختصر سنن أبى داود ، للحافظ المنذرى ، تحقيق محمد حامد الفقى ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠م.

١٠٢ - المدونة الكبرى ، لامام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحى رواية سحنون ابن سعد التنوخى عن عبد الرحمن بن القاسم القلقى ، مطبعة دار السعادة بمصر ١٣٢٣ هـ .

١٠٣ - مرآة الجنان وغيرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لعبد الله بن أسعد اليافعى ، مطبعة مؤسسة الأعلى للمطبوعات ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

١٠٤ - المستدرك على الصحيحين في الحديث ، لأبي عبد الله محمد المعروف بالحاكم النيسابوري مع تلخيص المستدرك لشمس الدين الذهبي ، مطبعة دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

١٠٥ - المستصفى لابن حامد محمد بن محمد الغزالي ، المطبعة الأميرية ببولاق ، الطبعة الأولى ١٣٢٤ هـ .

١٠٦ - مصنف عبد الرزاق لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، مطبعة دار القلم بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م.

١٠٧ - معاني الآثار لابي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمه الأزدي الحجري المصري الطحاوي ، مطبعة دار الكتب العلمية بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

١٠٨ - معاني القرآن (للأخفش) لأوسط سعيد بن سعدة الأخفش الأوسط ، تحقيق فايز فارس ، طبع الشركة الكويتيه لصناعة الدفاتر والورق- الكويت ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

١٠٩ - معاني القرآن (للفراء) ، ليحيى بن زياد الفراء ، تحقيق محمد على النجار وعبد الفتاح اسماعيل شلبي ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

١١٠ - معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي ، تصحيح وترتيب محمد أمين الخفاجي ، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٦م.

١١١ - المعجم الصغير (للطبرانى) لأبى القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطبرانى ، دار النصر القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م.

١١٢ - المغنى ، لأبى محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، تحقيق محمد عبد الوهاب فايد ، مطابع سجل العرب، بدون .

١١٣ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، لأحمد بن مصطفى الشهير لطاش كبرى زاده ، مطبعة الاستقلال الكبرى .

١١٤ - مفردات غريب القرآن ، للحسن بن محمد الراغب الاصفهانى ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م.

١١٥ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، لأبى الحسن على بن اسماعيل الأشعرى بتحقيق محمد محى الدين عبد المكتب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤م.

١١٦ - منهاج الوصول الى علم الأصول ، للقاضى عبد الله بن عمر البيضاوى ، مطبوع مع شرحه نهاية السول ، المطبعة السلفية ومكتبتها بدون .

١١٧ - المهذب فى فقه الامام الشافعى لأبى اسحاق ابراهيم بن على بن يوسف الفيروز أبادى الشيرازى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، ١٣٤٣ هـ .

١١٨ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال لابي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق محمد على البجاوى ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م.

١١٩ - الناسخ والمنسوخ ، لأبي القاسم هبة الله بن سلامة ابي نصر مطبوع مع أسباب النزول للواحدى ،مطبعة عالم الكتب بيروت .

١٢٠ - النشر فى القراءات العشر لأبى الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجوزى ، مطبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

١٢١ - نهاية السول فى شرح منهاج الأصول ، جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٣ هـ .

١٢٢ - نوادر الأصول فى معرفة أحاديث الرسول ، لأبى عبد الله محمد الحكيم الترمذى ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

١٢٣ - نواسخ القرآن (لابن الجوزى) ، لأبى الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجوزى ، تحقيق محمد أشرف على الملبارى ، المجلس العلمى احياء التراث الاسلامى بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

١٢٤ - هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ، لاسماعيل باشا البغدادى ، دار الفكر ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

١٢٥ - همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطى ، تحقيـــق عبد السلام هارون الأستاذ والدكتور عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٥م.

١٢٦ - الوجيز فى فقه الشافعى لمحمد بن محمد الغزالى ، شركة طبع الكتـــب العربية ، القاهرة ١٣١٧ هـ .

----

*

فهـــرس الموضـــوعـــات

****

****

******

*